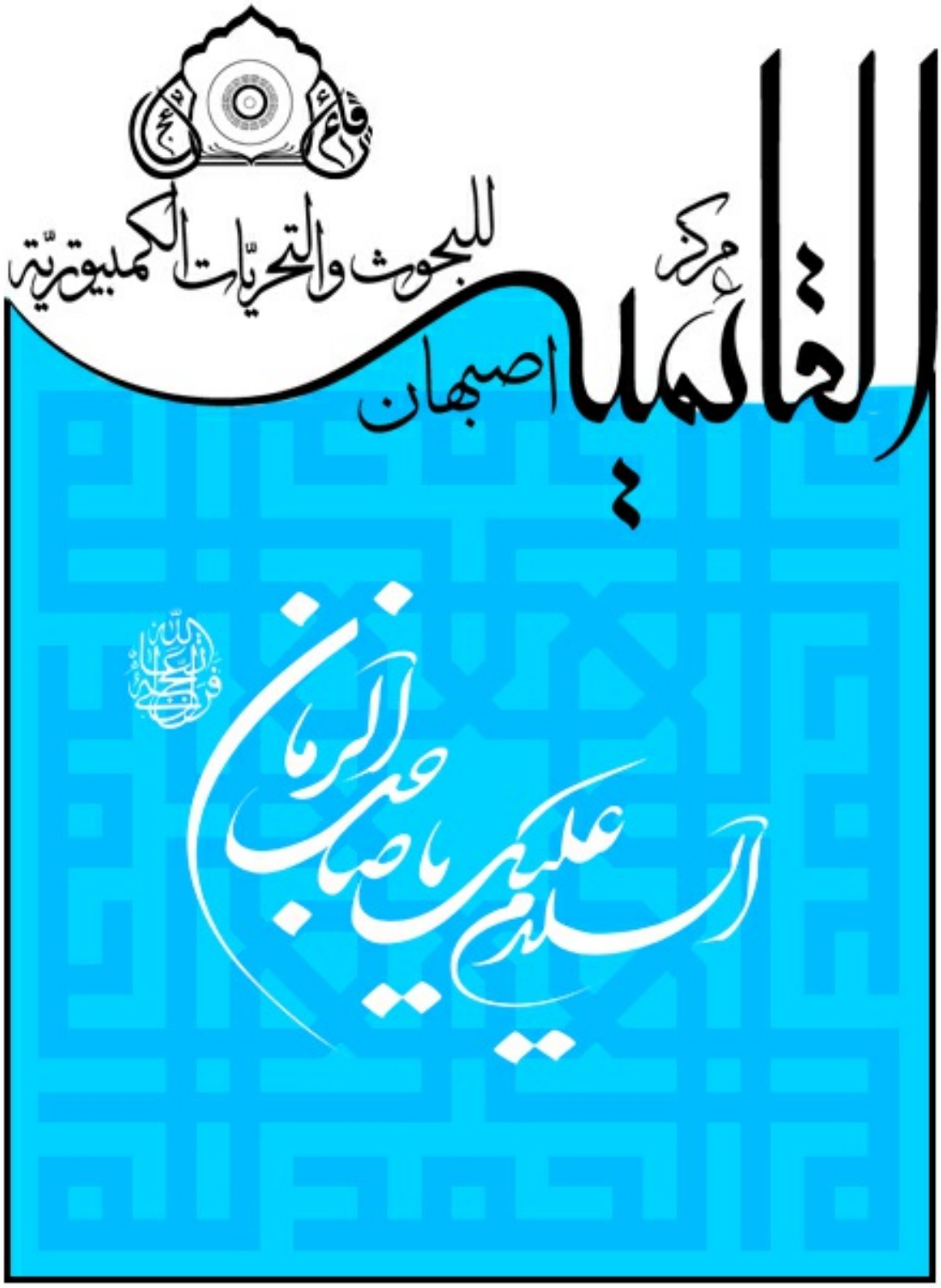

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

طلب العلم

والسيرة الأخلاقية

٣

الجزء الثالث

أخلاق

السيد عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحیم

طالب العلم و السيره الاخلاقيه

كاتب:

عادل علوی

نشرت فی الطباعة:

الموسسه الاسلاميه العامه للتبليغ والارشاد

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
طالب العلم و السیره الاخلاقیه ----- ۷
اشاره ----- ۷
اشاره ----- ۷
الإهداء ----- ۱۰
المقدّمه ----- ۱۳
الدرس الأوّل : ما هو الأدب ، ولماذا الآداب الإسلامیّه؟ ----- ۲۹
الدرس الثانی ----- ۴۵
اشاره ----- ۴۵
الأمر الأوّل : صدق النیّه ----- ۴۵
الدرس الثالث ----- ۶۳
اشاره ----- ۶۳
الأمر الثانی : اغتنام الفرصه ----- ۶۳
الأمر الثالث : قطع العلائق المانعه من تحصیل العلم ----- ۶۹
الأمر الرابع : عدم الزواج المبکّر ----- ۷۰
الدرس الرابع ----- ۷۱
اشاره ----- ۷۱
الأمر الخامس : ترک العِشره ----- ۷۱
الدرس الخامس ----- ۷۹
اشاره ----- ۷۹
الأمر السادس : الحرص علی التعلّم ----- ۷۹
الأمر السابع : علوّ الهمّه ----- ۸۱
الأمر الثامن : رعایه ترتّب العلوم ----- ۸۲
الدرس السادس ----- ۸۵

اشاره ---- ۸۵
الأمر التاسع : اختيار المعلّم الصالح ---- ۸۵
الأمر العاشر : تعظيم المعلّم والتواضع له ---- ۹۳
الأمر الحادى عشر : رعايه آداب محفل الدرس ---- ۱۱۰
الدرس السابع ---- ۱۱۵
الأمر الثانى عشر : حسن الخلق والحلم ---- ۱۱۵
الأمر الثالث عشر : عفّه النفس وعزّتها ---- ۱۲۳
الدرس الثامن ---- ۱۳۵
الأمر الرابع عشر : الدعاء والتوسّل وصلاه الليل ---- ۱۳۵
الدرس التاسع ---- ۱۵۵
الأمر الخامس عشر : مداراه الناس ورعايه الآداب الاجتماعيه ---- ۱۵۵
الدرس العاشر ---- ۱۶۷
الأمر السادس عشر : الزهد والحياه المتواضعه ---- ۱۶۷
الفهرست ---- ۱۸۴
تعريف مركز ---- ۱۸۶

طالب العلم و السیره الاخلاقیه

اشاره

سرشناسه : علوی عادل - ۱۹۵۵

عنوان و نام پدیدآور : طالب العلم و السیره الاخلاقیه خصائص القائد الاسلامی فی القران الکریم اخلاق الطبیب فی الاسلام دوره الاخلاق المحمدیه فی تحکیم مبانی الوحده الاسلامیه رسالتنا/ تالیف عادل العلوی مشخصات نشر : قم الموسسه الاسلامیه العامه للتبلیغ و الارشاد، ۱۴۱۷ق = ۱۴۱۸ - ۱۳۷۵ق = ۱۳۷۶ [ج]۱۳۷۶ :۱.

مشخصات ظاهری : ۵ ج در یک مجلدجدول فروست : (موسوعه رسالات اسلامیه الجزآ الثالث اخلاق

شابک : ۱۵۰۰۰ریال یادداشت : عربی یادداشت : چهارمین عنوان مربوط به "کنفرانس بین المللی وحدت اسلامی (هفتمین شهریور: ۱۳۷۳)" است یادداشت : کتابنامه موضوع : احادیث خاص (مستغنیات اهل کل بلد) -- نقد و تفسیر

موضوع : اخلاق اسلامی موضوع : طلاب -- اخلاق موضوع : فرماندهی (اسلام -- جنبه های قرآنی موضوع : پزشکان اسلامی -- اخلاق موضوع : اسلام -- تبلیغات موضوع : وحدت اسلامی شناسه افزوده : موسسه اسلامی تبلیغ و ارشاد

شناسه افزوده : کنفرانس بین المللی وحدت اسلامی (هفتمین = ۱۳۷۳: تهران

رده بندی کنگره : BP۱۴۵ /م۵ع۸ ۱۳۷۶

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۲۱۸

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۸-۸۵۹۰

ص: ۱

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال الإمام الصادق عليه السلام : لا يستغنى أهل كلّ بلد عن ثلاثه يفزع إليهم فى أمر دنياهم وآخرتهم ، فإن عدموا ذلك كانوا همجا : فقيهٌ عالمٌ ورع ، وأميرٌ خيّرٌ مطاع ، وطبيبٌ بصيرٌ ثقه. (تحف العقول)

شاء اللّه سبحانه من دون التفات وقصد ، وفى أزمنه مختلفه ، أن أكتب عن هؤلاء الثلاثه وصفاتهم وأخلاقهم من خلال القرآن الكريم والسنّه الشريفه. فالأوّل : فى رساله (طالب العلم والسيره الأخلاقيّه) ، والثانى : فى رساله (خصائص القائد الإسلامى فى القرآن الكريم) ؛ وطبعته فى أعداد من مجلّه (نور الإسلام) البيروتيّه ، فجدّدت طبعها مع تنقيح وإضافات ، والثالثه : فى رساله (أخلاق الطبيب فى الإسلام) ، فجمعت هذه الرسائل فى هذا المجلّد الثالث من موسوعه (رسالات إسلاميّه). ومن اللّه التوفيق والسداد.

* * *

كتاب

طالب العلم والسيره الأخلاقيه

تأليف _ السيّد عادل العلوى

نشر _ المؤسسه الإسلاميه العامه للتبليغ والإرشاد

إيران ، قم ، ص. ب ۳۶۳۴

الطبعه الأُولى _ ۱۴۱۸ هجرى قمرى

الكميه المطبوعه _ ۱۰۰۰ نسخه

المطبعه _ النهضه ، قم

قيمت ۱۵۰۰ تومان

طبع هذا المجلّد على نفقه المرحومه المغفور لها الحاجّه زهراء علائى ، تغمّدها اللّه برحمته الواسعه وأسكنها فسيح جنانه، ورحم

اللّه من قرأ الفاتحه على روحها الطاهره.

ص: ۲

الإهداء

إلى : قطب عالم الإمكان ، وليّ الله الأعظم مولانا وإمامنا صاحب الزمان (عليه السلام).

إلى : السلف الصالح من علمائنا الأعلام وفقهائنا العظام.

إلى : شهيد الإسلام الشهيد الثانى الشيخ زين الدين بن على العاملى قدّس سرّه الشريف.

إلى : طلّاب العلوم وروّاد الفضائل وعشّاق الأخلاق.

أُقدّم هذا الجهد المتواضع برجاء القبول والدعاء والشفاعه يوم القيامه ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونَ إلّا من أتى الله بقلب سليم.

العبد

عادل العلوى

ص: ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

(الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحداً إلّا الله)

(القرآن الكريم _ الأحزاب : ٣٩)

موسوعه

رسالات إسلاميّه

مئه وعشرن كتاباً ورسالهً فی شتّی العلوم والفنون الإسلاميه بقلم سماحه الاُستاذ العلاّمه السيّد عادل العلوی دام ظلّه.

بعد الاتّكال على الله وعنايه رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام عزمت مؤسستكم (المؤسسه الإسلاميه العامه للتبليغ والإرشاد _ إيران _ قم ص ب ٣٦٣٤) على طبعها ونشرها ضمن مجلّدات :

صدرت الأجزاء التاليه :

الجزء الأوّل : (محاضرات عقائديه) (۴۷۴ صفحه).

١ _ دروس اليقين فی معرفه اُصول الدين.

الجزء الثانی : (فقه استدلالی) (۴۹۰ صفحه).

٢ _ زبده الأفكار فی طهاره أو نجاسه الكفّار.

٣ _ التقيّه فی رحاب العلمين الشيخ الأنصاری والإمام الخمينی (الطبعه الثانيه).

۴ _ التقيّه بين الأعلام (السنّه والشيعه) (الطبعه الثانيه).

الجزء الثالث : (أخلاق) (۵۶۸ صفحه).

۵ _ طالب العلم والسيره الأخلاقيه (دروس فی الأخلاق).

۶ _ خصائص القائد الإسلامی فی القرآن الكريم (الطبعه الثانيه).

٧ _ أخلاق الطبيب فی الإسلام.

٨ _ رسالتنا (الطبعه الثانيه).

٩ ـ دور الأخلاق المحمّديه فى تحكيم مبانى الوحده الإسلاميه (الطبعه الثانيه).

الجزء الرابع : (أخلاق ـ أدعيه) (٤٠٨ صفحه).

١٠ ـ التوبه والتائبون على ضوء القرآن والسنّه.

نحمدالله ونسأله أن يوفّقنا ويسدّد خطانا فى إتمام هذا المشروع الضخم ، كما ونشكر أيادى الفضل والجميل والسخاء فى مساهمتهم ومؤازرتهم فى دعم مشاريع (المؤسسه) الدينيه والخيريه والثقافيه ، ومن الله الكريم العون والسداد والتوفيق والرشاد ، وطابت أوقاتكم ، ودمتم بخير.

ـ الناشر ـ

ص: ۴

المقدّمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاه والسلام على منجى البشريّه ومنقذها من الجهل والضلال محمّد وعلى آله الأطهار الأئمه الهداه الميامين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

أمّا بعد :

قال الله تعالى فى محكم كتابه ومبرم خطابه :

(الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإنْسانَ عَلَّمَهُ البَيانَ) (۱).

الرحمن اسمٌ جامع من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، وإنّه صفه عامّه ، فإنّه رحمان على المؤمن والكافر ، وبرحمانيّته ورحيميّته العامّه ، يرزقهما فى الدنيا ، ويسخّر لهما ما فى السماوات والأرض ، وهداهما إلى الصراط المستقيم بإرساله الرسل وإنزاله الكتب ، وأمّا الرحيميه الخاصّه وأنّه الرحيم ، فإنّها مختصّه بالمؤمنين ، وإنّها قريبه من المحسنين ، كما جاء ذلك فى الآيات الكريمه والروايات الشريفه.

فإنّه برحمانيّته ابتدأ سوره الرحمن ليدلّ على أنّ المعلّم لا بدّ له من رحمه وشفقه على كلّ الطلّاب على السواء ، ثمّ علّم القرآن قبل خلق الإنسان ، وهذا يعنى

۱- ۱. الرحمن : ۱ ـ ۳.

أنّ القرآن كان قبل الإنسان ، ثمّ خلقه وعلّمه البيان ، بيان ما جاء فی القرآن ، الـذی هو مجموع ما جاء فی الکتب السـماویه وفیه کلّ شیء :

(وَکُلَّ شَیْء أحْصَیْناهُ فی إمام مُبین) (۱).

(وَکُلَّ شَیْء أحْصَیْناهُ کِتاباً) (۲).

وإنّما الله یعلّم الإنسان البیان بحجّته الباطنیه (العقل السـلیم والفطره السـلیمه) وبحجّیته الظاهریّه النبیّ الأکرم (صـلی الله علیه وآله) والإمام المعصوم (علیه السلام) ، کما قال الله تعالی :

(وَأنْزَلْنا إلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نَزَلَ إلَیْهِمْ) (۳).

فخلق الإنسان کان بین علمین : علم القرآن وعلم البیان.

وهذا إنّما یدلّ علی عظمه الإنسان وشرف العلم ، وأنّه الأساس فی کلّ شیء ، (وبه یمتاز الإنسان عن باقی الحیوانات ، لأنّ جمیع الخصال سوی العلم یشترک فیها الإنسان وسائر الحیوانات ، کالشـجاعه والقوّه والشفقه وغیر ذلک ، وبه أظهر الله فضل آدم علی الملائکه وأمرهم بالسـجود له ، وهو الوسـیله إلی السـعاده الأبـدیّه إن وقع علی مقتضاه ، فالعلم الـذی یفرض علی المکلّف بعینه یجب تحصیله ، وتجبر علیه إن لم یحصل.

والـذی یکون الاحتیـاج به فی الأحیان فرض علی سبیل الکفایه ، وإذا قام به البعض سـقط عن الباقی ، وإن لم یکن فی البلـد من یقوم به اشترکوا جمیعاً فی تحصیله بالوجوب) (۴).

۱- ۱. یس : ۱۲.

۲- ۲. النبأ : ۲۹.

۳- ۳. النحل : ۴۴.

۴- ۴. آداب المتعلّمین جامع المقدّمات ۲ : ۵۱.

ثمّ الرسول الأكرم الذى نزل عليه القرآن الكريم ، قد خلّف وترك بعد رحلته (كتاب الله والعتره الطاهره) الذين يفسّرون ويبيّنون ما جاء فى القرآن ، فإنّما يعرف القرآن من خوطب به ، وإنّما نزل الكتاب فى بيوتهم ، فهم معدن العلم ومهبط الوحى وعيبه علم الله (عليهم السلام) أبد الآبدين.

ثمّ لن يفترقا (الكتاب والعتره) حتّى يوم القيامه ، كما جاء ذلك فى حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين ، فى قول الرسول الأعظم فى عدّه مواطن : « إنّى تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض » (۱) ، ولن تفيد التأبيد ، أى أبداً لن يفترقا ، وكلّ ما فى القرآن إنّما هو عند العتره الطاهره ، وكذلك العكس ، وهذا يعنى أنّ القرآن على نحوين : قرآن علمىّ (القرآن الصامت المدوّن) ، وقرآن عينى (القرآن الناطق) وهم الذين تجسّد فيهم القرآن الكريم ، كما كان النبىّ ، وأنّه حينما سئلت عائشه عن خلق النبىّ ، لأنّ الله قد مدحه بخلقه فى قوله :

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظيم) (۲).

فأجابت : كان خلقه القرآن. أى كان يجسّد القرآن فى سيرته وسلوكه ، فتظهر الآيات القرآنيه على أفعاله وأعماله.

وإذا لن يفترق الكتاب والعتره فى النهايه ، فكذلك لن يفترقا فى البدايه ، ولمثل هذا قال النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) : « أوّل ما خلق الله نورى » ، واشتقّ من نورى نور علىّ ، ثمّ نور فاطمه الزهراء والأئمه (عليهم السلام) ، فكانوا فى عالم الأنوار والأرواح قبل

---

۱ - ۱. لقد ذكرت تفصيل مصادر الحديث الشريف بين الفريقين السنّه والشيعه والمقارنه بين القرآن والعتره فى رساله (فى رحاب حديث الثقلين) ، فراجع.

۲- ۲. القلم : ۴.

خلق آدم ، « فجعلهم الله أنواراً بعرشه محدقين » ، « فرتبه القرآن العينى وزان رتبه القرآن العلمى ، وكما إنّهما فى أصل الوجود متكافئان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر ، كذلك فى رتبه الوجود أيضاً لا يفترق أحدهما عن الآخر ، فعند ثبوت وصف كمالى لأحدهما بالمطابقه ، يحكم بثبوت ذلك الوصف للآخر بالالتزام ، مثلا عند ثبوت تعدّد أنحاء الدعوه للقرآن العلمى ، وإنّه يدعو الناس إلى سبيل الله بالحكمه والموعظه الحسنه ، ويجادلهم بالتى هى أحسن ، يحرز بأنّ أنحاء دعوه القرآن العينى أيضاً كذلك ، وكما أنّ القرآن العلمى يهدى للتى هى أقوم ، كذلك القرآن العينى _ أى المعصوم (عليه السلام) _ يهدى للطريقه المثلى التى هى أقوم الطرق والعروه الوثقى التى هى أوثق العُرى » (۱).

فالإنسان الكامل المعصوم (عليه السلام) _ أى الإمام _ قرآن عينىّ كما أنّ القرآن إمام علمىّ ، فلذا يدعو كلّ واحد منهما الناس إلى صاحبه ، يعنى أنّ القرآن يدعوهم إلى إمامه الإمام وإطاعته كما قال سبحانه :

(يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا أطيعوا اللهَ وَأطيعوا الرَّسولَ وَاُولى الأمْرِ مِنْكُمْ) (۲) ، كذلك الإمام الرضا (عليه السلام) يقول حول القرآن الكريم : « لا تطلبوا الهدى فى غيره فتضلّوا » ، فكلّ ما فى القرآن هو عند العتره الطاهره ، وكلّ ما عندهم هو فى القرآن ، فإنّهما لن يفترقا ، فى مبدئهما ومنتهاهما ، ولا ينفكّان فى الأوصاف الكماليه ، وهما مظهران لله الذى ليس كمثله شىء ، وإنكارهما والإعراض عنهما جاهليه ، وهما ميزان الأعمال ، وإذا كان القرآن العلمى يزداد غضاضه فى كلّ عصر :

۱- ۱. على بن موسى الرضا والقرآن الكريم : ۳۱.

۲- ۲. النساء : ۵۹.

(وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأل_ْتُموهُ) (۱).

فكـذلك العتره الطاهره ، أئمّه الحقّ المعصومون (عليهم السـلام) ، وإذا كان القرآن مصاحباً للحقّ من مبدأ ظهوره وصدوره إلى منتهى نزوله وهبوطه ، لاـ يـأتيه الباطـل من بين يـديه ولا من خلفه وإنّه حيّ لا يموت ، فهو المظهر التامّ لله سـبحانه ، فهو فى كلّ زمان جديـد وعنـد كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامه ، كذلك العتره الطاهره (عليهم السـلام) ، وهما مظهران تامّان للإسم المهيمن ، وحيث إنّ الإمـام المعصوم قرآن ممثّل يوجـد فى كلمـاته محكمـات ومتشابهات كالقرآن العلمى ، فهما نور إلهى متنزّل من الله سبحـانه ، وإنّ الإنسان الكامل الإمام المعصوم إنّما هو ترجمان القرآن الكريم ، فلا يصـحّ الفرق بينهما بأن يقال : « حسـبنا كتاب الله » أو : حسـبنا ما جاء عن العتره الطاهره ، ويتمسّك بأحـدهما دون الآخر ، إذ كلّ واحد من دون الآخر بمنزله تركهما معاً ، فلا يجوز التفريـط والإـفراط فيهمـا ، فكـلّ واحـد منهمـا جـاهليه جهلاء ، فالحياه العقليه اتّباعهما كما جاء فى حـديث الثقلين : « إنّى تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما » (۲).

فخلق الإنسان إنّما كان بين علمين وبين قرآنين ، وهذا إنّما يدلّ على كرامه الإنسان وفضيلته وشرافته على جميع المخلوقات :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنى آدَمَ) (۳).

ثمّ هدى الله الإنسان النجدين : نجد الخير ونجد الشرّ ، وجعل فيه الاختيار

۱- ۱. إبراهيم : ۳۴.

۲- ۲. المصدر : ۴۱ ، عن مسند الإمام الرضا (عليه السلام) ۱ : ۱۰۶.

۳- ۳. الإسراء : ۷۰.

والقدره ، فإمّا أن يكون كفوراً ، وكان جهولا عجولا ، وإمّا أن يكون شاكراً عالماً صبوراً.

وقد أتمّ الله الحجّه عليه ، بحجّه ظاهريه ، وهم الأنبياء والكتب السماويه والعلماء الصالحين ، وبحجّه باطنيه وهو العقل والفطره :

(وَلِلهِ الحُجَّهُ البالِغَهُ) (۱).

فبعث الله ۱۲۴- ألف نبىّ _ كما جاء فى رواياتنا _ لهدايه الإنسان وتربيته ، وليقيموا بين الناس بالقسط ، وليخرجونهم من الظلمات إلى النور.

فأوّل الأنبياء آدم أبو البشر (عليه السلام) ، وآخرهم خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد (صلى الله عليه وآله).

فجاء بدين الإسلام الحنيف للناس كافّه ، إلى يوم القيامه :

(لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكونَ) (۲).

والإسلام إنّما هو مجموعه قوانين إلهيّه _ اُصول وفروع _ وضعها الله سبحانه لسعاده الإنسان ، وتعديل وتنظيم حياته الفرديه والاجتماعيه فى كلّ المجالات والميادين ، إلاّ أنّ الطابع العامّ على الإسلام أنّه مدرسه أخلاقيه وجامعه تربويّه ، فإنّ حدود الإسلام هى مكارم الأخلاق ، حيث حدّده النبىّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) بفلسفه بعثته فى قوله : « بُعثت لاُتمّم مكارم الأخلاق » ، وبهذا حدّد حقيقه الإسلام والاُمّه المسلمه. فالإسلام مدرسه (مكارم الأخلاق) ، وجهاده الأكبر جهاد النفس الأمّاره بالسوء ، والعالم بالله العارف بدينه هو المحور فى ساحه الجهاد الأكبر وعليه تدور رحاها ، فالعلماء والصلحاء إنّما تشكّل سيرتهم امتداداً حقيقياً لصاحب الخلق

۱- ۱. الأنعام : ۱۴۹.

۲- ۲. التوبه : ۳۳.

العظیم محمّد (صلی الله علیه وآله) ، فهم القدوه والنماذج الصالحه التی یجب علی الاُمّه التواصل معها والاهتداء بهدیها ...

وأنّ الله جلّ وعلا لم یمنّ علی الإنسان ، لا سیّما المؤمن بما تنعّم علیه من النعم الظاهریه والباطنیه :

(وَإنْ تَعُدُّوا نَعْمَهَ اللهِ لا تُحْصوها) (۱).

إلاّ فی موردین کما فی کتابه الکریم :

الأوّل : ختم النبوّه بسیّد الأنبیاء وأشرف خلق الله محمّد (صلی الله علیه وآله) ، وإنّما اُرسل فی عصر الجاهلیه الاُولی لینقذ البشریه من الجهل والضلال ، فکانت رسالته السماویه مطلع نور فی اُفق الإنسانیه ، وإنّما جاء لیزکّی المؤمنین ویعلّمهم الکتاب والحکمه ، وهذا یعنی أنّ حقیقه کمال المؤمن وبلوغه المقامات العالیه والدرجات الرفیعه ، حتّی یکون عند ملیک مقتدر فی مقعد صدق ، إنّما هو بالتزکیه والعلم ، فیحلّق الإنسان بهذین الجناحین فی آفاق السعاده الأبدیه ، وإنّما قدّمت التزکیه ربما لبیان أهمّیتها وعظمه رتبتها ، وإلاّ فإنّ الإنسان لا بدّ له فی سیره التکاملی الإنسانی الإلهی من التزکیه والعلم سویّهً ومعاً.

فالله سبحانه منّ علی المؤمنین بهذه النعمه العظمی ـ فی بدایه الإسلام ونشره ـ فی الجاهلیّه الاُولی ، الجاهلیّه الجهلاء التی کانت عن جهل ، کما فی قوله تعالی :

(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلی المُؤْمِنینَ إذْ بَعَثَ فیهِمْ رسولا مِنْ أنْفُسِهِمْ یَتْلو عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَیُزَکِّیهِمْ وَیُعَلِّمَهُمُ الکِتابَ وَالحِکْمَهَ وَإنْ کانوا مِنْ قَبْلُ لَفی ضَلال مُبین) (۲).

۱- ۱. إبراهیم : ۳۴.

۲- ۲. آل عمران : ۱۶۴.

الثانی : ظهور خاتم الأوصیاء المهدی والقائم من آل محمّد (علیهم السلام) ، فإنّه سیظهر بعد الجاهلیه الثانیه التی تکون عن علم :

(أفَرَأیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلـهَهُ هَواهُ فَأضَلَّهُ اللهُ عَلی عِلـْم) (۱).

ویکون ذلک فی آخر الزمان ، لیملأ الأرض قسطاً وعدلا بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

فالله سبحانه وعد المؤمنین ومنّ علیهم بهذه النعمه العظمی ، بأنّ الدین الإسلامی سیکون هو الحاکم علی الأرض ، وتکون الحکومه العالمیه بید المؤمنین عباد الله الصالحین ، کما فی قوله تعالی :

(وَنُریدُ أنْ نَمُنَّ عَلی الَّذینَ اسْتُضْعِفوا فی الأرْضِ وَنَجْعَلـَهُمْ أئِمَّهً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثینَ) (۲).

ثمّ الآیه الأُولی تبیّن سبب الرساله الإسلامیه ومحتواها :

(یُزَکِّیهِمْ وَیُعَلِّمَهُمُ) .

فإنّها عباره عن التزکیه والتعلیم.

ومن لطف الله سبحانه حیث خلق الإنسان ، وکلّفه لیعرّضه إلی الثواب والنعیم الأبدی ، قد أودع فیه الخمره الأُولی ورأس المال الأوّلی لتزکیته وتربیته ، وذلک عباره عن (الإلهام) إلهام عامّ یتعلّق بالخیر والشرّ ، فعرّفه فی فطرته وعقله وروحه ونفسه وقلبه ، أوّلا التقوی والفجور ، ثمّ کمّل وعضد ذلک الإلهام ببعث الأنبیاء وأوصیائهم وورثتهم من العلماء الصالحین ، فقال سبحانه :

۱- ۱. الجاثیه : ۲۳.

۲- ۲. القصص : ۵.

(فَأَل_ْهَمَها فُجورَها وَتَقْواها قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها) (۱).

وهـذا مـن تمـام الحجّه الإلـهيّه البـالغه ، فتـدبّر. فلاـ مفرّ بعدئـذ يـوم القيـامه من حكـومه الله جلّ جلاـله ، ولاـ يمكن الفرار من حكومتك.

فكلّ واحد بفطرته السـليمه الموحّده يعرف الخير من الشـرّ ، والصالح من الطالح ، والسـقيم من الصحيح ، والباطل من الحقّ. ولا بدّ أن يتحرّك هو أوّلا فى تهذيب نفسه وصـيقله قلبه ، ثمّ لا بدّ له من إرشاد الحكيم _ فإنّه كما ورد فى الخبر الشـريف : هلك من لم يكن له حكيمٌ يرشـده _ وهـدايه النـبىّ إنّمـا تكـون بمنزله السـائق والقائـد ، وكلاـمه الحقّ بمنزله وقود لـديمومه الحركه وتسريعها.

فخلاصه الإسلام وجوهريّته هو الأخلاق _ تخلّقوا بأخلاق الله ، كما عن الإمام الصادق (عليه السلام) _ حتّى عُدّ الأخلاق وعلمه من أهمّ الواجبـات الإسـلاميه ، لأـنّ الله إنّمـا يقسم فى كتـابه على مـا كـان بـالغ الأـهميّه ، ولم يقسم على شـىء كمـا أقسم على الأخلاق ، فإنّه فى سوره الشمس بعد أحد عشر قسماً ، يشير إلى عظمه الأخلاق والتزكيه فى قوله تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها) .

ولولا حسن الخلق لما كان الإنسان ينتفع _ كما هو المطلوب _ من عقائده الصـحيحه _ علم الكلام _ ومن صلاته وصومه وغير ذلك _ علم الفقه _ وهذه العلوم الثلاثه إنّما هى من علوم الآخره كما ورد فى الحديث النبوىّ الشريف : « إنّما العلم ثلاثه : آيه محكمه ، وفريضه عادله ، وسنّه قائمه » (۲).

۱- ۱. الشمس : ۸.

۲- ۲. لقد شرحنا هذا المعنى فى كتاب « التوبه والتائبون على ضوء القرآن والسنّه » ، وهو مطبوع ، فراجع.

وقد ورد فی الحدیث الشریف : « إنّ الله یحبّ الکافر السخیّ ، ویبغض المؤمن البخیل » ، أی إنّه یحبّ عمل الکافر وهو السخاء لا ـ ذاته ، کما إنّه یبغض عمل البخل حتّی لو کان ذلک من المؤمن ، وما أکثر من کانوا یحملون صفات طیّبه کانت سبباً لهدایتهم وتوبتهم وتوجّههم إلی الله سبحانه ، وکم من صالح فی بدایه أمره ، إلاّ ـ أنّه هلک وأصبح من الأشقیاء ومن زمره الظالمین ، لما یحمل من صفات ذمیمه ، فحبط عمله وانحرف عن الصراط المستقیم ، واستهواه الشیطان واستحوذ علیه.

(اللهُ وَلِیُّ الَّذینَ آمَنوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلی النُّورِ وَالَّذینَ کَفَروا أوْلِیائُهُمُ الطَّاغوتُ یُخْرِجونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلی الظُّلُماتِ) (۱).

ومن تفسیرها أنّهم یخرجونهم من نور الأخلاق الحمیده إلی ظلمات الأخلاق السیّئه.

وبنظری أهمّ العلوم إنّما هو علم الأخلاق ، وإنّ جمیع القیم والمثل العلیا والعلوم النافعه ، ترتکز علی محور تزکیه النفس. وإذا لم یتمّ غسل القلب وتطهیره من الصفات الذمیمه والسجایا الرذیله والخبائث النفسیه ، فإنّه لن یکون باستطاعه شیء حتّی العلم ، أن ینجّی الإنسان ، بل من لم یهذّب نفسه ، لم ینفعه العلم ، وإنّما یکون علیه وبالا ، ویکون هو الحجاب الأکبر ، ولم یزدد بعلمه من الله إلاّ بعداً ، ویسلب منه حلاوه المناجاه ـ کما ورد فی الروایات الشریفه ـ.

وإنّما أفتی الشیخ ابراهیم الزنجانی من المعمّمین ـ کان یرتدی زیّ أهل العلم ـ بقتل الشهید الشیخ فضل الله النوری (قدس سره) ، وإنّما أفتی بذلک لشقاوته لأنّه لم یهذّب نفسه فی الحوزه.

وحدّثنا سیّدنا الأُستاذ آیه الله العظمی السیّد محمّد رضا الگلپایگانی (قدس سره) فی

۱- ۱. البقره : ۲۵۲.

درس خارج الفقه کتاب القضاء سنه ۱۴۰۱ ، قال :

کان فی السنین السابقه معمّماً وصل إلی درجه الاجتهاد ، وحین الاحتضار وهو علی فراش الموت ، زاره زمیله فی الدراسه وکان من مراجع التقلید فی زمانه ، فأخذ یلقّن زمیله بالشهادتین ، إلاّ أنّ صاحبه کان یمتنع من ذلک ، فتعجّب من أمره ، وألحّ فی تلقینه ، ولکن ما کان من صاحبه إلاّ الإباء والامتناع ، وفی آخر الأمر طلب ذلک المجتهد الشقیّ _ الذی کان یتصارع مع الموت _ القرآن ، فجیء به ، ففتح ذلک ، ثمّ قال لزمیله : یا هذا ، هل تذکر أیّام تحصیلنا فی بدایه شبابنا؟ فقال له : نعم ، أذکر ذلک. فقال له : مَن کان أعلم وأفهم من الآخر ، أنا أم أنت؟ فقال له : أنت کنت أفهم منیّ لتلقیّ الدرس واستیعابه وحفظه. وهکذا کان یسأله عن سیره الدرسی ، وصاحبه یقول : کنت أنت أعلم منیّ. فقال له فی آخر الأمر : ولکن وصلت المرجعیّه إلیک ، ولم تصل إلیَّ ، وهذا یعنی أنّ الله ظلمنی. ثمّ بصق فی القرآن الکریم ومات من دون الشهادتین. نسأل الله أن یجعل عواقب اُمورنا خیراً.

ولا شکّ أنّه مات کافراً ، وهذا نتیجه عدم التهذیب من الیوم الأوّل فی کسب العلوم ، فإنّ هدفه کان الوصول إلی الجاه والمقام الدنیوی. وکان سیّدنا الاُستاذ (قدس سره) یحدّثنا بهذه القصّه المرعبه والرهیبه لتصحیح النوایا من بدایه الأمر ، وإلاّ فإنّ ما یبطنه الإنسان مهما أراد إخفائه فإنّه یظهر عند موته ، والعیاذ بالله. نسأل الله حسن العاقبه ، ولا بدّ للمؤمن أن یکون بین الخوف والرجاء ، فهما نوران فی قلبه لو وزن هذا علی هذا لم یزدد أحدهما علی الآخر.

وما أکثر الآیات الکریمه والروایات الشریفه التی تذمّ علماء السوء أصحاب الدنیا والجاه والمقام الذین لم یهذّبوا أنفسهم ولم یجاهدوها _ وهو الجهاد الأکبر _ ویقول أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) : « قصم ظهری إثنان : عالمٌ متهتّک ، وجاهل

متنسّک ، فالجاهل یغشّ الناس بتنسّکه والعالم ینغرهم بتهتّکه » (۱).

فلا بدّ من الأخلاق ومکارمها ومعالیها ، وإنّما یحصل علیها الإنسان لا سیّما طالب العلم بالجهاد الأکبر ، أی محاربه النفس الأمّاره بالسوء (بالتخلیه والتحلیه والتجلیه التی تعدّ هذه المراحل الثلاثه خلاصه علم الأخلاق والسیر والسلوک).

(فینبغی لطالب العلم أن لا یغفل عن نفسه وما ینفعها وما یضرّها فی أوّلها وآخرها فیستجلب بما ینفعها ، ویتجنّب عمّا یضرّها لئلّا یکون عقله وعلمه حجّه علیه فیزداد عقوبه) (۲).

ثمّ العلم النافع الحقّ ، إنّما هو معرفه سلوک الطریق إلی الله سبحانه وقطع عقبات القلب التی هی الصفات الذمیمه ، وهی الحجاب بین العبد وربّه سبحانه وتعالی.

قال الشهید الثانی فی کتابه القیّم « منیه المرید فی أدب المفید والمستفید » : « إعلم أنّ العلم بمنزله الشجره ، والعمل بمنزله الثمره ، والغرض من الشجره المثمره لیس إلّا ثمرتها ، أمّا شجرتها بدون الاستعمال ، فلا یتعلّق بها غرض أصلا ، فإنّ الانتفاع بها فی أیّ وجه کان ضرب من الثمره بهذا المعنی.

وإنّما کان الغرض الذاتی من العلم مطلقاً العمل ، لأنّ العلوم کلّها ترجع إلی أمرین : علم المعامله ، وعلم المعرفه. فعلم المعامله هو معرفه الحلال والحرام ونظائرهما من الأحکام ومعرفه أخلاق النفس المذمومه والمحموده ، وکیفیه علاجها والفرار منها ، وعلم المعرفه کالعلم بالله تعالی وصفاته وأسمائه ، وما عداهما من العلوم إمّا آلات لهذه العلوم أو یراد بها عمل من الأعمال فی الجمله ، کما لا یخفی علی

۱- ۱. منیه المرید : ۱۸۱.

۲- ۲. آداب المتعلّمین ، جامع المقدّمات ۲ : ۵۰.

من تتبّعها ، وظاهر أنّ علوم المعامله لا تراد إلّا للعمل ، بل لولا الحاجه إليه لم يكن لها قيمه » (۱).

ثمّ الشهيد الثانی (قدس سره) فی کتابه (المنیه) بعد أن یذکر فضل العلم من القرآن الکریم والنبیّ الأکرم وأهل بیته الأطهار وما جاء فی الکتب السالفه والحکم القدیمه والدلیل العقلی الدالّ علی ذلک ، وأنّ آداب العلم تاره باعتبار اشتراک المعلّم والمتعلّم فیها ، واُخری باعتبار ما یختصّ بالمعلّم ، ثمّ ما یختصّ بالمتعلّم ، فیقول فی الآداب التی اشترکا فیها وهی قسمان : آدابهما فی أنفسهما وآدابهما فی مجلس الدرس ، والقسم الأوّل فیه اُمور أوّلها : ما یجب علیهما من إخلاص النیّه لله تعالی فی طلبه وبذله ، فإنّ مدار الأعمال علی النیّات ، وبسببها یکون العمل تارهً خَزَفه لا قیمه لها ، وتارهً جوهره لا یُعلم قیمتها لِعِظم قدرها ، وتاره وبال علی صاحبه مکتوب فی دیوان السیّئات ، وإن کان بصوره الواجبات.

فیجب علی کلّ منهما أن یقصد بعلمه وعمله وجه الله تعالی وامتثال أمره وإصلاح نفسه ، وإرشاد عباده إلی معالم دینه ، ولا یقصد بذلک غرض الدنیا من

۱- ۱. منیه المرید ، تحقیق رضا المختاری : ۱۵۰ ، ویضمّ الکتاب علی مقدّمه فی فضل العلم من الکتاب والسنّه والأثر ودلیل العقل ، وعلی أبواب أربعه : الأوّل فی آداب المعلّم والمتعلّم ، والثانی فی آداب الفتوی والمفتی والمستفتی ، والثالث فی المناظره وشروطها وآدابها وآفاتها ، والرابع فی آداب الکتابه وما یتعلّق بها ، والخاتمه فی مطالب مهمّه فی أقسام العلوم الشرعیّه والفرعیّه وغیرها ، وتتمّه الکتاب فی نصائح مهمّه لطلاّب العلوم ، فراجع ، فإنّه قد أوصی السلف الصالح من علمائنا الأعلام بمدارسه ومطالعه هذا الکتاب القیّم ولو لعشر مرّات ، بل قیل فی کلّ سنه مرّه ، حتّی من وصل إلی درجه الاجتهاد بل والمرجعیّه ، فإنّه لا یستغنی عن هذا الکتاب وعن الموعظه والنصیحه.

تحصيل مال أو جاه أو شهره أو تميّز عن الأشباه أو المفاخره للأقران أو الترفّع على الإخوان ونحو ذلك ، من الأغراض الفاسده التى تثمر الخذلان من الله تعالى ، وتوجب المقت ، وتفوّت الدار الآخره والثواب الدائم فيصير من :

(الأَخْسَرينَ أعْمالا الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحَياهِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعاً) (۱).

والأمر الجامع للإخلاص تصفيه السرّ عن ملاحظه ما سوى الله تعالى بالعباده.

ثمّ يذكر معنى الإخلاص وما ورد فيه من الآيات والروايات من الفريقين ، لا سيّما فى طلب العلم ويقول : هذه الدرجه وهى درجه الإخلاص ، عظيمه المقدار كثيره الأخطار دقيقه المعنى صعبه المرتقى ، يحتاج طالبها إلى نظر وتدقيق وفكر صحيح ومجاهده تامّه ، وكيف لا يكون كذلك ، وهو مدار القبول وعليه يترتّب الثواب ، وبه تظهر ثمره عباده العابد ، وتعب العالم وجدّ المجاهد.

ثمّ يتعرّض إلى الأمر الثانى وهو أنّ الغرض من طلب العلم هو العمل ، ويبيّن ما يوجب غرور أهل العلم ، وذلك من خلال الآيات والروايات.

ويقول : ولكلّ واحد منهما ـ الإخلاص والعمل ـ شرائط متعدّده ووظائف متبدّده بعد هذين ، إلّا أنّها بأسرها ترجع إلى الثانى ـ أعنى استعمال العلم ـ فإنّ العلم متناول لمكارم الأخلاق وحميد الأفعال والتنزّه عن مساوئها ، فإذا استعمله على وجهه ، أوصله إلى كلّ خير يمكن جلبه ، وأبعده عن كلّ دنيّه تشينه (۲).

ثمّ يذكر التوكّل على الله والاعتماد عليه ، ثمّ آدابهما واشتغالهما من الاجتهاد فى

۱- ۱. الكهف : ۱۰۳ ـ ۱۰۴.

۲- ۲. المنيه : ۱۵۹.

طلب العلم ، وأن لا يسأل أحداً تعنّتاً وتعجيزاً ، وأن لا يستنكف من التعلّم والاستفاده ممّن هو دونه فی منصب أو سنّ أو شهره أو دین أو فی علم آخر ، ثمّ الانقیاد للحقّ والرجوع عند الهفوه ، ولو ظهر علی ید من هو أصغر منه ، ثمّ یتأمّل ویهذّب ما یرید أن یورده أو یسأل عنه ، وأن لا یحضر مجلس الدرس إلّا متطهّراً من الحدث والخبث ، متنظّفاً متطیّباً فی بدنه وثوبه.

ثمّ یذکر الآداب المختصّه بالمعلّم ، کأن لا ینتصب للتدریس حتّی تکمل أهلیّته ، وأن لا یذلّ العلم فیبذله لغیر أهله ، وأن یکون عاملا بعلمه ، وزیاده حسن الخلق فیه ، والتواضع وتمام الرفق وبذل الوسع فی تکمیل النفس ، وأن لا یمتنع من تعلیم أحد لکونه غیر صحیح النیّه. ثمّ بذل العلم عند وجود المستحقّ وعدم البخل به ، وأن یحترز من مخالفه أفعاله لأقواله وإن کانت علی الوجه الشرعی ، ثمّ إظهار الحقّ بحسب الطاقه ، من غیر مجامله لأحد من خلق الله تعالی.

ثمّ یذکر الشهید علیه الرحمه آداب المعلّم مع تلامذته بأن یؤدّبهم علی التدریج بالآداب السنیّه ، والشیم المرضیه ، ورياضه النفس بالآداب الدینیه ، والدقائق الخفیّه ، ویعوّدهم فی جمیع اُمورهم الکامنه والجلیّه ، سیّما إذا آنس منهم رشداً ، کدعوتهم إلی الإخلاص ، وترغیبهم فی طلب العلم والعمل به ، وأن یحبّ لهم ما یحبّ لنفسه ، ویکره لهم ما یکره لنفسه من الشرّ ، وأن یزجره عن سوء الأخلاق وارتکاب المحرّمات والمکروهات ، وأن لا یتعاظم علی المتعلّمین ، وإذا غاب أحدهم زائداً علی العاده یسأل عنه وعن أحواله وموجب انقطاعه ، وأن یستعلم أسماء طلبته وحاضری مجلسه وأنسابهم وکناهم ومواطنهم وأحوالهم ، ویکثر الدعاء لهم ، وأن یکون سمحاً ببذل ما حصّله من العلم ، ثمّ صدّ المتعلّم أن یشتغل بغیر الواجب قبله ، وأن یکون حریصاً علی تعلیمهم باذلا وسعه فی تفهیمهم وتقریب الفائده إلی أفهامهم وأذهانهم ، وأن یذکر فی تضاعیف الکلام ما یناسبه من قواعد

الفنّ ، وأن يحرّضهم على الاشتغال فی کلّ وقت ، ویطالبهم فی أوقات إعاده محفوظاتهم وأن یطرح علی أصحابه ما یراه من مستفاد المسائل الدقیقه والنکت الغریبه ، وأن لا یظهر للطلبه تفضیل بعضهم علی بعض عنده فی مودّه واعتناء مع تساویهم فی الصفات ، وأن ینصفهم فی البحث ، وأن یقدّم فی تعلیمهم إذا ازدحموا الأسبق فالأسبق ، وأن یوصی طلّابه بالرفق فیما لو طلبوا فوق طاقتهم ، وأن لا یقبّح العلوم التی لم یتعلّمها ، وأن لا یتأذّی ممّن یقرأ علی غیره ویحضر عنده ، ثمّ یمدح من کان من أهل العلم بعد إکمال دراسته وأهلیّته للاستفاده منه ویأمر الناس بالاشتغال علیه والأخذ منه.

ثمّ یذکر الشهید آداب الدرس وهی عباره عن ثلاثین أدباً ، ثمّ یتعرّض إلی الآداب المختصّه بالمتعلّم وهی تنقسم کما مرّ ثلاثه أقسام : آداب فی نفسه ، وآداب مع شیخه ، وآدابه فی مجلس درسه.

والمقصود من رسالتنا هذه إنّما هو القسم الأوّل ، فیذکر فیه اُموراً ثمانیه (۱) ، إنّما اُشیر إلیها ، متمسّکاً بعروه (خیر الکلام ما قلّ ودلّ) طلباً للاختصار ، کما أضفت علیها ثمانیه اُخری لیکون المجموع ستّه عشر خصله وخُلق ، لا بدّ لطالب العلم أن یراعیها فی سیره الأخلاقی ، مستعیناً بالله سبحانه ، ومتوسّلا برسوله (صلی الله علیه وآله) وعترته (علیهم السلام) ، والله تعالی خیر ناصر ومعین (۲).

۱- ۱. منیه المرید : ۲۲۴ _ ۲۳۳ ، أذکر خلاصه ذلک مع تصرّف وإضافات وبعض قصص العلماء فی مراعاه الأخلاق وتهذیب النفس.

۲- ۲. خلاصه هذه الرساله کانت علی شکل محاضرات أخلاقیّه ألقیتها فی حوزه الإمام الخمینی (قدس سره) للطلبه الحجازیّین بقم المقدّسه ، فی شهر رمضان المبارک سنه ۱۴۱۶ ه.

الدرس الأوّل : ما هو الأدب ، ولماذا الآداب الإسلاميّه؟

الأدب من الأخلاق الفرعيّه ومن منشآتها ، وهو بمعنى الهيئه الحسنه الممدوحه التى ينبغى أن يقع عليه الفعل المشروع ، إمّا فى الدين ، أو عند العقلاء فى مجتمعهم ، كآداب الدعاء والصلاه وملاقاه الأصدقاء ، وأدب المعاشره ، وما شابه ذلك ، وإن شئت فقل : الأدب يعنى ظرافه العمل ولطافته.

ولا يكون إلاّ فى الاُمور المشروعه غير الممنوعه شرعاً وعقلا ، فلا أدب فى الظلم والخيانه والكذب ، ولا أدب فى الأعمال الشنيعه والقبيحه ، ولا يتحقّق أيضاً إلاّ فى الأفعال الاختياريّه ، التى لها هيئات مختلفه فوق الواحده ، حتّى يكون بعضها متلبّساً بالأدب دون بعض ، كأدب الأكل مثلا فى الإسلام : وهو أن يبدأ فيه بالبسمله _ بسم الله _ ، ويختم بالحمدله _ الحمد لله _ ويأكل دون الشبع وأن لا ينظر إلى الآخرين وغير ذلك من الآداب والسنن.

وإذا كان الأدب هو الهيئه الحسنه فى الأفعال الاختياريّه ، والحسن وإن كان بحسب أصل معناه وهو الموافقه لغرض الحياه ، ممّا لا يختلف فيه أنظار المجتمعات ، لكنّه بحسب مصاديقه ممّا يقع فيه أشدّ الخلاف ، وبحسب اختلاف الزمان والمكان واختلاف الاُمم والشعوب والأديان والمذاهب ، وحتّى المجتمعات الصغيره المنزليّه

وغيرها فی تشخيص الحسن والقبيح يقع الاختلاف والخلاف بينهم فی آداب الأفعال وحسنها وقبحها.

فربما كان عنـد قوم من الآداب ما لا يعرفه آخرون ، وربما كان بعض الآداب المستحسـنه عنـد قوم شـنيعه مـذمومه عند آخرين ، كتحيّه أوّل اللقاء ، فإنّه فی الإسـلام بالتسليم تحيّه من عند الله مباركه طيّبه ، وعند قوم برفع القلانس ، وعند بعض برفع اليد حيال الرأس ، وعنـد آخرين بانحناء وطأطأه رأس ، وكما أنّ فی آداب ملاقاه النساء عنـد الغربيّين اُموراً يـذمّها الإسـلام وينكرها ، إلی غير ذلك.

غير أنّ هـذه الاختلافـات إنّما نشأت فی مرحله تشـخيص المصـداق ، وأمّا أصل معنی الأدب ، وهو الهيئه الحسـنه التی ينبغی أن يكون عليها الفعل ، فهو ممّـا أطبق العقلاء من بنی آدم ، وأجمعوا علی تحسينه فلا يختلف فيه اثنان.

وليست الآداب هی عين الأخلاق ، فإنّ الأخلاق بمعنی الملكات الراسخه فی النفوس ، ولكنّ الآداب هيئات حسنه مختلفه تتلبّس بها الأعمال الصادره عن الإنسان عن صفات مختلفه نفسيّه ، فبين المعنيين بون بعيد.

إنّمـا الآـداب من منشـآت الأخلاق ، والأخلاق من مقتضـيات المجتمع بخصوصه بحسب غايته الخاصّه ، فالغايه المطلوبه للإنسان فی حياته هی التی تشخّص أدبه فی أعماله ، وترسم لنفسه حظّاً لا يتعدّاه إذا أتی بعمل فی مسير حياته والتقرّب من غايته.

وإذا كـان الأـدب يتبع فی خصوصـيّته الغـايه المطلوبه فی الحيـاه ، فالأـدب الإـلهی الإسـلامی ـ بالمعنی الأعمّ ـ الـذی أدّب الله سبحـانه به أنبيـائه ورسـله وأوصـيائهم (عليهم السـلام) ، ومن ثمّ ورثه الأنبيـاء العلمـاء الصـالحين ، هو الهيئه الحسـنه فی الأعمال الدينيّه التی تحاكی غرض الدين وغايته وهی السعاده الأبديّه ـ سعاده

الدارين ـ المتمثّله والمتبلوره فی العبودیّه علی اختلاف الأدیان الحقّه بحسب کثره موادّها وقلّتها ، وبحسب مراتبها فی الکمال ومدارج الرقیّ والتعالی.

والإسلام دین الله القویم لمّا کان من شأنه التعرّض لجمیع جهات وحقول الحیاه الإنسانیّه ، بحیث لا یشذّ عنه شیء من شؤونها وتدبیرها ، یسیراً کان أو خطیراً ، فلذلک وسع الحیاه أدباً وشملها خُلقاً ، ورسم فی کلّ عمل هیئه حسنه تحاکی غایته ومقاصده.

ولیس له غایه عامّه إلّا توحید الله سبحانه فی مرحلتی الاعتقاد والعمل جمیعاً ، فإنّ الحیاه عقیده وجهاد ، أی أن یعتقد الإنسان أنّ له إلهاً هو الذی منه بدء کلّ شیء ، وإلیه یعود کلّ شیء ، له الأسماء الحسنی والصفات العلیا ، ثمّ یجری فی الحیاه ویعیش بأعمال تحاکی بنفسها عبودیّته وعبودیّه کلّ شیء عنده لله الحقّ عزّوجلّ ، وبذلک یسری التوحید فی باطنه وظاهره ، فی جوارحه وجوانحه ، فی سیره وسیرته ، وتظهر حقیقه العبودیّه من أقواله وأفعاله وسائر أبعاد وجوده ظهوراً تامّاً لا حجاب علیه.

فالأدب الإلهی ـ أو الأدب النبویّ والولویّ ـ إنّما هی هیئه التوحید الصادق فی الفعل الناطق (۱).

وطالب العلم أولی الناس برعایه الأخلاق الحسنه والآداب الإسلامیه ، أی بتجلّی التوحید الکامل فی أفعاله وأحواله وأقواله.

---

۱ - ۱. اقتباس من کتاب سیّدنا العلّامه الطباطبائی (المیزان فی تفسیر القرآن ۶ : ۲۵۶ ، وللموضوع تتمّه قیّمه یتعرّض المصنّف فیها إلی آداب الأنبیاء مع الله ومع الناس ، ثمّ أدب النبیّ الأکرم محمّد (صلی الله علیه وآله) ، فراجع فیه فوائد جمّه.

والناس إنّما يتّبعون أهل العلم فی أقوالهم ومواعظهم ، لو رأوا ذلک علی حرکاتهم وسکناتهم ، فمن عمل بما علم وبدأ بنفسه أوّلا ـ ، فإنّه یؤثّر فی النفوس وتنقاد له القلوب ، وإلاّ ـ فإنّ الکلام إذا خرج من القلب دخل فی القلب ، وإذا خرج من اللسان لم یتجاوز الآذان.

یقول العلاّمه الطباطبائی فی تفسیره ـ المیزان ـ : « فمن الواجب عند التعلیم أن یتلقّی المتعلّم الحقائق العلمیّه مشفوعةً بالعمل ، حتّی یتدرّب ویتمرّن علیه لتزول بذلک الاعتقادات المخالفه الکائنه فی زوایا نفسه ، ویرسخ التصدیق بما تعلّمه فی النفس ، لأنّ الوقوع أحسن شاهد علی الإمکان ـ فإنّ أوّل دلیل علی إمکان الشیء وقوعه ـ ولذلک نری أنّ العمل الذی لم تهد النفس وقوعه فی الخارج یصعب انقیادها له ، فإذا وقع لأوّل مرّه بدا کأنّه انقلب من امتناع إلی إمکان ، وعظم أمر وقوعه ، وأورث فی النفس قلقاً واضطراباً ، ثمّ إذا وقع ثانیاً وثالثاً هان أمره وانکسر سورته ، والتحق بالعادیات التی لا یعبأ بأمرها ، وإنّ الخیر عاده ، کما أنّ الشرّ عاده.

ورعایه هذا الأُسلوب فی التعلیمات الدینیه وخاصّه فی التعلیم الدینی الإسلامی من أوضح الأُمور ، فلم یأخذ شارع الدین فی تعلیم مؤمنیه بالکلّیات العقلیّه والقوانین العامّه قطّ ، بل بدأ بالعمل وشفعه بالقول والبیان اللفظی ، فإذا استکمل أحدهم تعلّم معارف الدین وشرائعه ، استکمله وهو مجهّز بالعمل الصالح ، مزوّد بزاد التقوی.

کما أنّ من الواجب أن یکون المعلّم المربّی عاملا بعلمه ، فلا تأثیر فی العلم إذا لم یقرن بالعمل ، لأنّ للفعل دلاله کما أنّ للقول دلاله ، فالفعل المخالف للقول یدلّ علی ثبوت هیئه مخالفه فی النفس یکذب القول فیدلّ علی أنّ القول مکیده ونوع حیله یحتال بها قائله لغرور الناس واصطیادهم.

ولذلك نرى الناس لا تلين قلوبهم ولا تنقاد نفوسهم للعظه والنصيحه إذا وجدوا الواعظ به أو الناصح بإبلاغه غير متلبّس بالعمل متجافياً عن الصبر والثبات فی طریقه ...

فمن شرائط التربیه الصالحه أن یکون المعلّم المربّی فی نفسه متّصفاً بما یصفه للمتعلّم متلبّساً بما یرید أن یلبسه ، فمن المحال العادی أن یربّی المربّی الجبان شجاعاً باسلا ، أو یتخرّج عالم حرّ فی آرائه وأنظاره من مدرسه التعصّب واللجاج وهکذا.

قال تعالی :

(أفَمَنْ یَهْدی إلی الحَقِّ أحَقُّ أنْ یُتَّبَعَ أمَّنْ لا یَهْدی إلّا أنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمونَ) (۱).

وقال :

(أتَأمُرونَ النّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أنْفُسَکُمْ) (۲).

وقال حکایهً عن قول شعیب لقومه :

(وَما اُریدُ أنْ اُخالِفَکُمْ إلی ما أنْهاکُمْ عَنْهُ إنْ اُریدُ إلّا الإصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ) (۳).

إلی غیر ذلک من الآیات.

فلذلک کلّه کان من الواجب أن یکون المعلّم المربّی ذا إیمان بموادّ تعلیمه وتربیته.

علی أنّ الإنسان الخالی عن الإیمان بما یقوله حتّی المنافق المتستّر بالأعمال

۱- ۱. یونس : ۳۵.

۲- ۲. البقره : ۴۴.

۳- ۳. هود : ۸۸.

الصالحه المتظاهر بالإيمان الصريح الخالص لا يتربّى بيده إلاّ من يمثّله فى نفسه الخبيثه ، فإنّ اللسان وإن أمكن إلقاء المغايره بينه وبين الجنان بالتكلّم بما لا ترضى به النفس ، ولا يوافقه السرّ إلاّ أنّ الكلام من جهه اُخرى فعل ، والفعل من آثار النفس ورشحاتها ، وكيف يمكن مخالفه الفعل لطبيعه فاعله؟ ... انتهى كلامه رفع الله مقامه.

فالأدب فى الإسلام ، أو الأدب الإسلامى يعنى حكومه التوحيد فى حياه الإنسان ، فيسرى التوحيد فى جميع الأعمال (ومعنى سرايه التوحيد فى الأعمال كون صورها تمثّل التوحيد وتحاكيه محاكاه المرآه لمرئيها بحيث لو فرض أنّ التوحيد تصوّر لكان هو تلك الأعمال بعينها ، وأنّ تلك الأعمال تجرّدت اعتقاداً محضاً لكانت هى هو بعينه).

فمن أدب الله قوله سبحانه وتعالى :

(وَجَعَلْناهُمْ أئِمَّهً يَهْدونَ بِأمْرِنا وَأوْحَيْنا إلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْراتِ وَإقامَ الصَّلاهِ وَإيْتاءَ الزَّكاهِ وَكانوا لَنا عابِدينَ) (1).

وما أكثر الآيات الكريمه والروايات الشريفه التى تحثّ الإنسان على أن يراعى الآداب. يكفيك شاهداً نماذج ممّا يقوله أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى ذلك :

قال (عليه السلام) :

« الأدب كمال الرجل ».

« يا مؤمن ، إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك ، فاجتهد فى تعلّمهما ، فما يزيد من علمك وأدبك يزيد فى ثمنك وقدرك ».

« من لم يكن أفضل خلاله أدبه ، كان أهون أحواله عطبه ».

١- ١. الأنبياء : ٣٧.

« الأدب أحسن سجيّه ».

« أفضل الشرف الأدب ».

« خير ما ورّث الآباء الأبناء : الأدب ».

« حسن الأدب خير مؤازر وأفضل قرين ».

« طالب الأدب أحزم من طالب الذهب ».

« إنّ الناس إلى صالح الأدب أحوج منهم إلى الفضّه والذهب ».

« أشرف حسب حسن أدب ».

« حسن الأدب أفضل نسب وأشرف سبب ».

« عليك بالأدب فإنّه زين الحسب ».

« حسن الأدب يستر قبح النسب ».

« فسد حسب من ليس له أدب ».

« الأدب حلل جدد ».

« زينتكم الأدب ».

« لا زينه كالأدب ».

« من قلّ أدبه كثرت مساويه ».

« النفس مجبوله على سوء الأدب ، والعبـد مأمور بملازمه حسن الأدب ، والنفس تجرى فى ميـدان المخالفه ، والعبد يجهد بردّها عن سوء المطالبه ، فمتى أطلق عنانها فهو شريک فى فسادها ، ومن أعان نفسه فى هوى نفسه ، فقد أشرک نفسه فى قتل نفسه ».

« نِعم قرين العقل الأدب ».

« كلّ شىء يحتاج إلى العقل ، والعقل يحتاج إلى الأدب ».

« الآداب تلقيح الأفهام ونتائج الأذهان ».

« تولّوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوه عاداتها ».

« ذَكِّ قلبك بالأدب كما يُذكّى النار بالحطب ، ولا تكن كحاطب الليل وغثاء السيل ».

« ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم ».

« سبب تزكيه الأخلاق حسن الأدب ».

« ليس شيء أحمد عاقبةً ولا ألذّ مغبّةً ولا أدفع لسوء أدب ولا أعون على درك مطلب من الصبر ».

« كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك ».

« قال الشعبيّ : تكلّم أمير المؤمنين (عليه السلام) بتسع كلمات ارتجلهنّ ارتجالاً ، فقأنَ عيون البلاغه وأيتمن جواهر الحكمه ، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحده منهنّ ، ثلاث منها فى المناجاه ، وثلاث منها فى الحكمه ، وثلاث منها فى الأدب. فأمّا اللاتى فى المناجاه ، فقال : إلهى كفى بى عزّاً أن أكون لك عبداً ، وكفى بى فخراً أن تكون لى ربّاً ، أنت كما اُحبّ فاجعلنى كما تحبّ. وأمّا اللاتى فى الحكمه ، فقال : قيمه كلّ امرئ ما يحسنه ، وما هلك امرؤ عرف قدره ، والمرء مخبوّ تحت لسانه. واللاتى فى الأدب ، فقال : امنن على من شئت تكن أميره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، واستغنِ عمّن شئت تكن نظيره ».

« أفضل الأدب أن يقف الإنسان عند حدّه ولا يتعدّى قدره ».

« أحسن الآداب ما كفّك عن المحارم ».

« تحرّى الصدق وتجنّب الكذب أجمل شيمه وأفضل أدب ».

« ضبط النفس عند الرغب والرهب من أفضل الأدب ».

« جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك ».

« بالأدب تُشحذ الفِطَن ».

« إذا زاد علم الرجل زاد أدبه ، وتضاعفت خشيته لربّه ».

« قيل لعيسى بن مريم (عليه السلام) : مَن أدّبك؟ قال : ما أدّبنى أحد ، رأيت الجهل فجانبته ».

« قال لقمان (عليه السلام) : من عنى بالأدب اهتمّ به ، ومن اهتمّ به تكلّف علمه ، ومن تكلّف علمه اشتدّ له طلبه ، ومن اشتدّ طلبه أدرك منفعته ، فاتّخذه عاده ، فإنّك تخلف فى نفسك وتنفع به من خلفك » (۱).

من هذه الروايات الشريفه ومن أمثالها بالمئات والاُلوف نكتشف أنّ الواجب علينا لدرك سعاده الدارين وبلوغ الكمال والوصول إلى الله سبحانه أن نؤدّب أنفسنا بالتوحيد بأحسن الآداب ، ونقمعها عن الأهواء والزيغ والارتياب ، فإنّ النفس تفتقر دوماً إلى تأديب وتهذيب وترهيب وترغيب :

(إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاّ ما رَحِمَ رَبِّى) (۲).

(قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) (۳).

ويكفينا واعظاً وزاجراً قوله تعالى :

(وَفى أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرونَ) (۴).

۱- ۱. الروايات من ميزان الحكمه ۱ : ۵۲ ، طبعه مؤسسه دار الحديث.

۲- ۲. يوسف : ۵۲.

۳- ۳. الشمس : ۹ _ ۱۰.

۴- ۴. الذاريات : ۲۱.

فالواجب على كلّ عاقل أن يؤدّب نفسه بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، فكما أنّ تمام الشجره بالثمره ، فتمام السعاده بمكارم الأخلاق ومحاسنها.

ومعلوم أنّ تهذيب الأخلاق ورعايه الآداب علم شريف ، بل يعدّ من أشرف العلوم لا سيّما لأهل العلم ، فإنّ العلماء قاده وساده ، والناس على دين ملوكهم ، فإذا كان القائد صالحاً ، فإنّ الرعيّه يلزمها الصلاح والفلاح والنجاح ، وإذا فسد العالِم فسد العالَم ، فأولى الناس بالآداب والأخلاق طلّاب العلوم ، لا سيّما طلبه العلوم الدينيه.

قال بعض البلغاء فى الاهتمام بما هو الأهمّ من إصلاح أمر النفس على تقديم البدن وتقديم طبّها وعلاجها عليه : بأنّ الإنسان إذا كان قد علم أنّه مركّب من شيئين : أحدهما أشرف وهو النفس ، والآخر أدنى وهو الجسم ، فاتّخذ للدنىء منها أطبّاء يعالجونه من أمراضه التى تعروه ، ويواظبون عليه بأقواته التى تغذوه ، ويتعاهدونه بأدويته التى تنقّيه ، وترك أن يفعل بالشىء الشريف مثل ذلك ، فقد أساء الاختيار عن بيّنه ، وأتى بالغلط عن بصيره ، وأطبّاء هذه النفس هم الأفاضل العلماء ، وأقواتها الغاذيه هى الآداب المأخوذه عنهم ، وأدويتهم المنقّيه هى النواهى والمواعظ المسموعه منهم.

ومن الواضح أنّ من يدّعى علم الأشياء ومعرفتها ، وهو لا يعرف نفسه ولم يهذّبها ، فمثله مثل من يطعم الناس وهو جائع ، ويداويهم وهو عليل ، ويهديهم طريقاً وهو لا يدرى طريقه ، فلا بدّ أن يبدأ الإنسان بنفسه يكون إماماً لها ثمّ ينصب نفسه إماماً لغيره.

الله الله فى كسب الآداب ، فما أروع ما يقوله أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) فى الديوان المنسوب إليه :

کن ابن من شئت واکتسب أدباً ***یغنِکَ محموده عن النسب

فلیس یغنی الحسیب نسبته ***لیس الفتی من یقول : کان أبی (۱)

قیل : أوّل ما یؤدّب به المبتدی : التبرّی من الحرکات المذمومه ، ثمّ التنقّل إلی الحرکات المحموده ، ثمّ التفرّد لأمر الله ، ثمّ التوقّف ، ثمّ الرشاد ، ثمّ الثبات ، ثمّ القرب ، ثمّ المناجاه ، ثمّ المصافاه ، ثمّ الموالاه ، ولا یستقرّ هذا بقلبه حتّی یرجع إلی إیمانه ، فیکون العلم والقدره زاده ، فیکون مقامه عند الله مقام المبشّرین من الحول والقوّه ، وهذا مقام حمله العرش ولیس بعده مقام.

وقیل : الأدب مع الله : القیام بأوامره علی الإخلاص وصحّه المعامله معه علی الظاهر والباطن مع الخوف ، والصحبه مع الخلق بالرفق والحلم والسخاء والشفقه ، والأخذ بالفضل وصله القاطع ، والإحسان إلی المسیء ، وتعظیم الجمیع وأن ینأ عنه القلب ، وازدرته العین ، فإنّ کلّ أحد من المسلمین کائناً من کان لا یخلو من فضل الله ولعلّه ممّن یطیع الله.

وقال : کن لربّک عبداً ، ولإخوانک خادماً ، واعلم أنّه لا أحد من المسلمین إلّا وله مع الله سرّاً ، فاحفظ حرمه ذلک السرّ.

وقیل : من أساء الأدب علی البساط ردّ إلی الباب ، ومن أساء الأدب علی الباب ردّ إلی سیاسه الدوابّ.

وبالجمله : الناس فی الآداب علی أربع طبقات ، والأدب فی نفسه علی أربع مراتب.

فأمّا طبقات الناس فی الأدب ، فمنهم : أهل الدنیا أکثر آدابهم فی الفصاحه

۱- ۱. آداب النفس : ۱۵۲ ، فی الهامش.

والبلاغه والأسمار والأشعار والخطّ والحركه باليد خاصّه ، وبالبدن جمله.

وأهل الدين ، أكثر آدابهم : التفقّه فى أحكام الشرع ، والتحلّى بالعباده وأركانها وشرائطها ، والانتهاء فى المعاملات إلى مأخذ الشرع ، توفّراً على المباحات وتصوّناً عن المحظورات.

وأهل الإراده ، أكثر آدابهم فى رياضه النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات.

وأهل المعرفه أكثر آدابهم فى طهاره القلوب وحفظ الوقت ومراعاه الأسرار وقلّه التعريج على النفس وخواطرها وشدّه التحفّظ فى مقامات القربه ومواقعها.

وأمّا مراتب الأدب الأربع ، فهى : أن يحافظ فى المعاملات بحيث لا يعيب عليه الكبراء ، ولا يأخذ من الدنيا ما يعيب عليه الزهّاد ، ولا يقع من إيثار الأُمور ما يعيب عليه الحكماء ، وتكون الصلاه فى مراعاتها بحيث لا يعيب عليه الحفظه ، فإنّ الصلاه مناجاه الربّ ، فلا ينظر سرّه إلّا إلى مولاه ، ولا يطلب من الدارين إلّا رضاه ، فهذا فى معرفه الأدب (۱).

وإلى مثل هذه الآداب والكمالات يحتاج طالب العلم فى سيرته الأخلاقيه.

نشير إلى أهمّ الآداب التى على طالب العلم أن يراعيها ، ويعرف حدودها ، وما يترتّب عليها من الآثار فى حياته الفرديه والاجتماعيّه ، فى الدنيا والآخره ، ومن الله التوفيق والتسديد.

وعلينا أن نخاف يوم الوعيد ، كما نخاف من سوء العاقبه ، فإنّ من لم يهذّب نفسه ويخلص فى علمه وعمله ، يبتلى بالحجاب الأكبر ، وتنطبق عليه مثل هذه

۱- ۱. آداب النفس : ۱۵۲.

الآيات القرآنيه فی قوله تعالی :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأخْسَرينَ أعْمالا الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فی الحَياهِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبونَ أنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعاً) (۱).

(أفَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلـهَهُ هَواهُ وَأضَلَّهُ اللهُ عَلی عِلـْم وَخَتَمَ عَلی سَمْعِهِ وَقَلـْبِهِ وَجَعَلَ عَلی بَصَرِهِ غِشاوَهً فَمَنْ يَهْديهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أفَلا تَذَكَّرونَ) (۲).

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأ الَّذی آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلـكِنَّهُ أخْلَدَ إلی الأرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلـْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلـْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلـْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرونَ ساءَ مَثَلا القَوْمُ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وَأنْفُسَهُمْ كانوا يَظْلِمونَ) (۳).

(مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلوا التَّوْراهَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلوها كَمَثَلِ الحَمارِ يَحْمِلُ أسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدی القَوْمَ الظَّالِمينَ) (۴).

فهذه بعض أوصاف أُولئكَ العلماء الذين لم ينتفعوا من علمهم ، لأنّه لم يقترن العلم بالتربيه والتزكيه ، فإنّ أوّل ما ينبغی علی طالب العلوم الدينيّه القيام به ، هو أن يكون بصدد تهذيب نفسه وتطهير روحه وصيقله قلبه ، فإنّ جميع القيم والمثل ترتكز علی محور تزكيه النفس :

(قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكّاها) .

۱- ۱. الكهف : ۱۰۳ _ ۱۰۴.

۲- ۲. الجاثيه : ۲۳.

۳- ۳. الأعراف : ۱۷۵ _ ۱۷۶.

۴- ۴. الجمعه : ۵.

وَما لم يتمّ غسل القلب من الأدران والصفات الشيطانيّه والرذائل النفسيّه فلن يكون باستطاعه شيء ـ حتّى العلم ـ أن ينجى الإنسان.

بل إنّ من لم يهذّب نفسه ... كلّما ازداد علماً علماً كلّما ازداد إضراره بنفسه وبمجتمعه ، إنّ العلم كالسكّين إذا كانت فى يد جرّاح مختصّ ماهر فهى سبب الحفاظ على الحياه ، وإذا كانت فى يد جاهل أحمق فهى خطر على الناس.

فيا أخى (الروحانى) فكّر جيّداً وانظر فى عواقب الاُمور ، وليكن همّك قبل كلّ شيء تطهير باطنك وتنظيف قلبك.

إنّ حكم قتل آيه الله الشهيد الشيخ فضل الله نورى رضوان الله عليه قد أصدره معمّم لم يهذّب نفسه ، أى الشيخ إبراهيم الزنجانى ممثّل زنجان فى المجلس النيابى ، فقد تصدّى للقضاء فى محاكمه الشيخ الشهيد وأفتى بقتله.

وقد ذمّت الروايات العلماء الذين لم يزكّوا أنفسهم ذمّاً كبيراً وبيّنت أنّ خطر هؤلاء لا تكاد تحدّه أبعاد.

يقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « قصم ظهرى اثنان : عالمٌ متهتّك وجاهل متنسّك ، فالجاهل يغشّ الناس بتنسّكه ، والعالم يغرّهم بتهتّكه ».

يقول الإمام الخمينى (قدس سره) فى هذا الصدد :

« إذا لم تصلحوا أنفسكم فى الحوزات العلميّه ، فأينما ذهبتم فإنّكم تتسبّبون بانحراف الناس عن الإسلام وجعلهم يسيئون الظنّ بالروحانيّين ورجال الدين.

إذا درستم فقد تصبحوا علماء ، ولكن يجب أن تعلموا أنّ الفارق كبيرٌ جدّاً بين العالم والمهذّب ، فكلّما اختزنت هذه المفاهيم فى القلب الأسود غير المهذّب يزداد الحجاب ، إنّ العلم فى النفس غير المهذّبه حجاب ظلام ... العلم نورٌ ولكن فى القلب

الأسود يصبح سبباً فی ازدیاد دائره الظلمه والاسوداد.

انتبهوا ، إیّاکم أن تبذلوا الجهد خمسین سنه بکدّ الیمین وعرق الجبین فی الحوزات ثمّ تکسبوا جهنّم ... فکّروا وادرسوا سبل إصلاح المناهج الدراسیّه فی مجال الأخلاق وتزکیه النفس وتهذیبها.

معاذ الله أن یقبل الناس علی شخص ویحترموه قبل أن یهذّب نفسه ، عندها یخسر نفسه ، ابحثوا عن حلّ قبل أن تبیض اللحی.

علی الشباب أن لا ینتظروا حتّی یعلو بیاض غبار الموت رؤوسهم ووجوههم ، ما دمتم شباباً فباستطاعتکم أن تفعلوا شیئاً.

انتبهوا ما دامت الفرصه باقیه ، وکونوا قبل کلّ شیء بصدد تهذیب أنفسکم وتزکیتها » (۱).

وزبده المخاض ونتیجه ما تقدّم نصل إلی هذه الحقیقه الواضحه ، أنّ الوصول إلی الکمالات الروحیّه والمدارج المعنویّه ، والإحاطه بأسرار عالم الوجود ، وما وراء الطبیعه ، والانقطاع إلی الله سبحانه ، حتّی یکون الإنسان عالماً ربّانیّاً تتجلّی فیه صفات الله سبحانه وأسمائه الحسنی ، لا سبیل إلیه إلاّ فی إطار تهذیب النفس والتحلّی بالأخلاق الحسنه والسجایا الطیّبه.

« یقول صدر المتألّهین : عندما کنت فی (کهک ـ قریه بأطراف قمّ المقدّسه) کنت أعمل علی تهذیب نفسی ، کنت أخلو بنفسی وأُفکّر ، أستعرض المعلومات التی تعلّمتها ، کنت أُحاول جاهداً أن أفهم أسرار الوجود بقوّه العلم والإیمان ، وبسبب الإخلاص وتزکیه النفس ، أضاء قلبی وفتحت أمامی أبواب الملکوت ، وبعدها

۱- ۱. سیماء الصالحین : ۲۵ ، عن الجهاد الأکبر.

أبواب الجبروت وفهمت أسرار الدنيا الإلهيه ، وفهمت أشياء لم أكن فى البدايه أتصوّر أن تفكّ لى رموزها » (۱).

(قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) (۲).

ص: ۳۶

۱- ۱. المصدر : ۳۲.

۲- ۲. الشمس : ۹ _ ۱۰.

الدرس الثانى

اشاره

لقد تحدّثنا فى المقدّمه والفصل الأوّل عن أهميّه علم الأخلاق فى الإسلام ، وبعض ما جاء فى منيه المريد ، ولماذا نراعى الآداب فى حياتنا العلميّه والعمليّه. ووصلنا إلى الآداب والأخلاق التى على الطالب أن يراعيها ، وهى كما يلى :

الأمر الأوّل : صدق النيّه

النيّه الصادقه : أن يحسن نيّته ويطهّر قلبه من الأدناس والذنوب والمعاصى ، ليصلح لقبول العلم وحفظه واستمراره ، فإنّ القلب سلطان البدن ، فإذا صلح صلح الجسد كلّه ، وحرام على قلب مذنب ظلمانى أن يدخله النور ، واستعن على الحفظ وزياده الحافظه بقلّه الذنوب وتركها ، فإنّ الذنب على الذنب من دون التوبه ، وتبديل السيّئات بالحسنات ، يوجب النسيان ، وقلّه الحافظه ، وضعف القوّه الدرّاكه.

« لا بدّ لطالب العلم من النيّه فى تعلّم العلم ، إذ النيّه هو الأصل فى جميع

الأحوال لقوله تعالى : (إنَّما الأعْمالُ بِالنِّيَّاتِ) ، ولقوله (صلى الله عليه وآله) : (لكلّ امرئ ما نوى) فينبغى أن ينوى المتعلّم بطلب العلم رضاء الله تعالى وإزاله الجهل عن نفسه وعن ساير الجهّال ، وإبقاء الإسلام وإحياء الدين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من نفسه ومن متعلّقاته ومن الغير بقدر الإمكان ، فينبغى لطالب العلم أن يصبر فى المشاقّ ويجتهد بقدر الوسع فلا يصرف عمره فى الدنيا الحقيره الفانيه ، ولا يذلّ نفسه بالطمع ، ويجتنب عن الحقد ويحترز عن التكبّر » (۱).

ويجتنب الذنوب والمعاصى ، فإنّ إحدى آثار تصفيه الروح ونتائجها اجتناب الذنوب والآثام ، فترك المعاصى من أهمّ الشروط فى تحصيل العلوم الإسلاميّه ، فمن يسودّ قلبه بالمعاصى والمحرّمات ، كيف يتوفّق بكسب نور العلم.

شكوت إلى وكيع قلّه الحفظ ، فقال : استعن على الحفظ بترك الذنوب.

وعلمائنا الأعلام لم يتركوا الذنوب وحسب ، بل تركوا المكروهات ، وحتّى منهم من ترك الحلال. فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين ، فمن لم يراعِ جانب التقوى والورع عن المحارم فى حياته الحوزويّه فإنّه لا يتوفّق فى تحصيل العلم ، وكثيراً ما يترك الحوزه وينزع العمّه.

يقول العارف بالله الشيخ حسينقلى الهمدانى فى إحدى رسائله : « وما استفدته أنا الضعيف من العقل والنفل ، إنّ أهمّ الأشياء لطالب القرب هو الجدّ والسعى فى ترك المعصيه ، وما لم تؤدِّ هذه الخدمه فإنّ ذكرك وفكرك بحال قلبك ، لن ينفعك شيئاً ، لأنّ خدمه الشخص للسلطان أعظم من هذا السلطان العظيم الشأن ، وأىّ خصومه أقبح من هذه الخصومه.

۱- ۱. آداب المتعلّمين ، جامع المقدّمات ۲ : ۵۰ ، طبعه دار الهجره ، قم.

فافهم ممّـا ذكرت أنّ طلبك محبّةً إلهيّه مع كونك مرتكباً للمعصيه أمر فاسد جدّاً ، وكيف يخفى عندك أنّ ترك المعصيه أوّل الدين وآخره وظاهره وباطنه ، فبادر إلى المجاهده ، واشتغل بتمام الجدّ فى المراقبه ، من أوّل قيامك من نومك فى جميع آناتك إلى نومك ، والزم الأدب فى مقدس حضرته ، واعلم أنّك بجميع أجزاء وجودك ذرّةً ذرّه أسير قدرته ، وراعِ حرمه شريف حضوره ، واعبده كأ نّك تراه (۱).

فطالب العلم لا بدّ له أوّلا من تصحيح النيّه ، بأن يطلب العلم لله سبحانه ، ثمّ يترك المعاصى ، فإنّه يغفر للجاهل سبعون ذنباً ، قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد ، وكيف من عرف أنّه فى محضر ملك الملوك ، فى محضر ربّ العالمين يعصى الله؟

كثيرٌ من سلفنا الصالح كانوا طيله حياتهم لا يرتكبون مكروهاً ولا مباحاً ، فكيف بالحرام؟

وفى عصرنا ، يقال عن آيه الله العظمى السيّد الخوانسارى (قدس سره) : من يوم بلوغه لم يرتكب ذنباً. وسيّدنا الأُستاذ آيه الله النجفى المرعشى (قدس سره) قال لى : لم أعمل ما يوافق هواى منذ البلوغ. وأحد الأخوين الشريف الرضى والسيّد المرتضى علم الهدى عليهما الرحمه لم ينوِ المكروه من يوم بلوغه ، ومثل هذه الحالات إن دلّت على شىء فإنّها تدلّ على طهارتهم ونزاهتهم وعصمتهم الأفعاليّه الجزئيّه ، التى هى تالى تلو العصمه الذاتيّه الكلّيه الواجبه كما فى الأنبياء والأئمّه الهداه المعصومين (عليهم السلام) وفاطمه الزهراء سيّده النساء (عليها السلام).

فلا بدّ لطالب العلم فى سيرته الأخلاقيّه منذ اليوم الأوّل أن يجتنب المكروهات فضلا عن المحرّمات ، ويشتغل بالمستحبّات والنوافل فضلا عن

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۸۷.

الواجبات ، ولا يقول : (كلّ مكروه جائز) ، فربّ مكروه يبعّد الإنسان عن ربّه ، وربّ نافله تقرّب العبد إلى الله كما ورد فى الخبر الشريف : « يتقرّب العبد إلىّ بالنوافل حتّى اُحبّه ، فإذا أحببته أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها » أى يكون مظهراً لأسماء الله وصفاته العليا ، فعينه عين الله ويده يد الله وسمعه سمع الله ، وأىّ مقام أعظم من هذا ، فإنّه لا يلقاه إلاّ ذو حظٍّ عظيم.

يقول العارف الكبير آيه الله البيدآبادى فى وصيّته : عليه إذن أن يوحّد همومه (يجعلها همّاً واحداً) ، وأن يبذل كامل الجدّ والجهد ، ليضع قدمه فى جادّه الشريعه ، ويحصّل ملكه التقوى ، أى لا يحوم بقدر الممكن حول الحرام والمشتبه المباح ، قولا وفعلا ـ وحالا ـ وخيالا ـ واعتقاداً ، لتحصل له الطهاره الصوريّه والمعنويّه ، وهى شرط العباده ، وليترتّب أثر على العباده ، ولا تكون محض صوريّه (۱).

الله الله فى صدق النيّه وتطهير النفس وتهذيبها وتزكيه الروح وصيقله القلب ونوره بالطاعه وترك المعاصى والمكروهات.

(وَما اُمِروا إلاّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ) (۲).

فأوّل شرط طلب العلم : تطهير النيّه والإخلاص ، فلا يرفعوا قدماً ويضعوها منذ البدايه إلاّ (لله) خالصاً مخلصاً ، ويبتعدوا عن الأوهام والخيالات الباطله ، ولا يكون هدفهم أبداً الوصول إلى مطامع الدنيا وزخارفها الملوّثه.

فيبعد عن نفسه منذ اليوم الأوّل وساوس الشيطان والتفكير بالرئاسه

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۹۳.

۲- ۲. البيّنه : ۵.

والمرجعيّه وإمامه الجمعه والجماعه ونيابه المجلس فى عصرنا هذا ، وإقبال الناس إليه وتقبيل يده ، وأمثال ذلك ، فإنّه يضرّه ولا ينفعه أبداً ، وما يزداد من علمه إلاّ بعداً عن ربّه ، ويكون العلم هو الحجاب الأكبر.

فالعمده : النيّه الصادقه والتقوى والإخلاص ، وإنّما يحصل الطالب عليها بالتأمّل والتفكّر ، فإنّ التفكّر أبو كلّ خير وأُمّه ـ كما ورد فى الخبر الشريف ـ ثمّ الدعاء والتوسّل بالله ورسوله والأئمّه الأطهار وأرواح علمائنا الكرام ، والذين جاهدوا فى الله سبحانه فإنّه يهديهم السبيل ويوصلهم إلى المطلوب ، ويفتح لهم أبواب السماوات والأرض ، فيوفّقهم ويسعدهم ويهيّئ لهم الأسباب ، فإنّه إذا أراد الله بعبد خيراً هيّأ له الأسباب ، ولا يكون ذلك إلاّ لمن كان من أهل الخير والصلاح وأراد الله بقلبه ، وتوجّه إليه بوجوده وكيانه وحياته.

واعلم أنّ الإنسان إنّما هو ذو بعدين : بُعد روحى وبُعد جسدى. والأوّل راكب والثانى مركوب يخدمه ، ثمّ الأوّل له مراحل فى كمال مادّته من النطفه وحتى العلقه والمضغه ، وهكذا حتّى يكون إنساناً كاملا ، ثمّ يردّ إلى أرذل العمر ، ثمّ يموت ، وكلّ هذا إنّما هو بالجبر والقهر والقسر ، وليس باختيار الإنسان ، ويعبّر عن الإنسان فى هذا البعد بالشخص لتشخّصه وتعيّنه بالامتداد الثلاثه ـ الطول والعرض والعمق ـ فى عالم الخارج وعالم الجزئيات ، وأمّا البعد الآخر والذى يسمّى بالشخصيّه وتشير إليه كلمه (أنا) الملازمه على بساطتها وعدم تركّبها وتقسّمها وتجزّئها منذ تكوّن الجنين وحتّى المعاد ، وإنّها مخلّده وباقيه ، إلاّ أنّ سير تكاملها إنّما بالاختيار.

ثمّ كما ورد فى الخبر الشريف : « الناس نيام إن ماتوا انتبهوا » ، فإنّ الإنسان بعد موته ، يرى ملكوت الأشياء بعدما كان يرى ملكها فى الدنيا ، أى يرى حقائق

الأشياء كما هى ، ويكون بصره اليوم حديد ، ونافذ إلى عمق الأشياء وملكوتها ، فيكون يقظاً ومتنبّهاً بعد ما كان فى سبات الغفله ونوم السهو ، فإنّه بعد الموت يصحو ويتنبّه ، ويعبّر عنه باليقظه ، ويعدّ حقيقه الإنسان أو أوّل منازل السير والسلوك لمن أراد السير إلى الله سبحانه ، ولكن التنبّه واليقظه هذه إنّما هى اختياريه ، ويمكن للسالك أن يستيقظ فى حياته الدنيويه ، ويشاهد ملكوت السماوات والأرض ، كما حدث ذلك لأنبياء الله وأوليائه وعباده الصالحين ، ومن هذا المنطلق ورد فى الحديث الشريف : « موتوا قبل أن تموتوا » ، وهذا يعنى أنّ الإنسان يمكنه أن يصل إلى حقيقته الإنسانيه فى حياته الدنيويه هذه ، ويدخل فى منزل اليقظه ، ثمّ يسافر منها إلى منازل اُخرى ، فاُولى المنازل التوبه ، وإنّ الإنسان يتجلّى فيه اسم الله التوّاب ، فيتوب من القبائح لقبحها تقرّباً إلى الله سبحانه ، وطالب العلم لا بدّ له من حسن النيّه أوّلا ، لأنّ الأعمال إنّما هى بالنيّات ، فمن لم يكن لله عمله خالصاً فإنّه لا يفلح ولا يصعد الكلم إلى الله سبحانه ، إلّا إذا كان طيّباً ، وهو العمل المخلص _ كما ورد فى الروايات _ وبعد حسن النيّه عليه أن لا يعصى الله جلّ جلاله ، ويطهّر قلبه من أن يهمّ بالمعصيه أو يخطر على ذهنه ذلك ، ويتّقِ الله حقّ تقاته ، فإنّ للتقوى مراحل ثلاثه :

١-تقوى العامّ ، أى لعامّه الناس ، ومنهم طالب العلم ، وهى أن يأتى بالواجبات الشرعيّه ، ويترك المحرّمات والمعاصى.

٢-تقوى الخاصّ ، بأن يترك الشبهات فضلا عن المحرّمات.

٣-تقوى الخاصّ الخاصّ ، بأن يترك الحلال فضلا عن الشبهات ، كما يحدّثنا التأريخ بنماذج من علمائنا الأعلام حيث وصلوا إلى هذا المقام ونالوا العصمه الأفعاليه الجزئيه ، حيث من أوّل بلوغهم لم يرتكبوا المعصيه ، بل لم يفكّروا بعمل

مکروه کما یقال ذلک عن السیّد المرتضی علم الهدی (قدس سره) ، وقال لی سیّدنا الاُستاذ آیه الله العظمی السیّد النجفی المرعشی (قدس سره) یوماً : إنّی منذ بلوغی لم أعمل ما یوافق هوای ، وهذا مصداق تامّ لما جاء فی الخبر الشریف عن صاحب الأمر (علیه السلام) : « أمّا من کان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدینه مطیعاً لمولاه مخالفاً لهواه ، فعلی العوامّ أن یقلّدوه ». وبمثل هذه النفوس القدسیّه الطاهره المطهّره بقی الدین الحنیف ، ومذهب أهل البیت (علیهم السلام).

حدّثنی اُستاذی فی السیر والسلوک ، عن اُستاذه العارف بالله الشیخ رجب علی الخیّاط أنّه فی إحدی ضیافاته وکنت معه ، قبل الظهر قال لصاحب الدار أحسّ بضعف فی جسدی ، فجیء بقرص صغیره من الخبز تصنع فی الدار ، فأکلها وقام للصلاه ، وکان من عادته أن یسلّم بعد الصلاه علی رسول الله وعترته الطاهرین (علیهم السلام) فیسمع الجواب _ کما جاء فی زیاره الإمام الرضا (علیه السلام) : « أشهد أنّک تسمع کلامی وتردّ سلامی » _ إلاّ أنّه لم یسمع هذه المرّه ، فتعجّب وأخذ یحاسب نفسه من صلاه الصبح حتّی الظهر ، ماذا فعل من المعاصی حتّی حجبته عن سماع السلام ، فلم یقف علی شیء ، فتوسّل بالنبیّ (صلی الله علیه وآله) علی أن یعلمه بالسبب ، فرأی الرسول الأکرم قائلا معاتباً : یا شیخ ، کان بإمکانک أن تأکل نصف القرصه لرفع ضعفک ، فلماذا أکلت القرصه کلّها؟! وهذا مصداق الحدیث الشریف : وفی حلالها حساب ، وفی الشبهات عتاب ، وفی الحرام عقاب ، وکذلک اشتهر : أنّ حسنات الأبرار سیّئات المقرّبین ، فأکل القرصه لا حرمه فیه ، إلاّ أنّه یعدّ لمثل المقرّبین وأولیاء الله عزّوجلّ ذنب یعاقب أو یعاتب علیه.

فترک المعصیه والذنب من أهمّ الشروط التی توجب التوفیق فی تحصیل العلوم الشرعیّه ، فإنّ العلم لیس بکثره التعلّم ، إنّما هو نور یقذفه الله فی قلب من شاء

أن يهديه ، وذلك لمن خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى ، فالله سبحانه يهديه بعد أن اختار بنفسه طريق الحقّ ونجد الخير ـ والهدايه يعدّ المنزل الثانى أو الثالث فى السير والسلوك ـ.

وذنوب طلبه العلوم الدينيه تختلف ، فإنّ الشيطان لا يغويه بشرب الخمر ولعب القمار وما شابه ، إنّما يضلّه ويأتيه عن طريق الحسد وحبّ الجاه وعباده الرئاسه والمقام والاستغابه والتهمه والافتراء على المؤمنين والثرثره والكلام الزائد ـ ومن كثر كلامه كثر خطأه ... ـ والمزاح الجارح وفى غير موضعه وأمثال ذلك.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« وجدت علم الناس كلّه فى أربع :

أوّلها : أن تعرف ربّك.

والثانى : أن تعرف ما صنع بك.

والثالث : أن تعرف ما أراد منك.

والرابع : أن تعرف ما يخرجك من دينك ».

وممّا يخرج طالب العلم من الدين أمثال هذه الذنوب كغيبه العلماء ، مع أنّ لحم العالم مسموم ، كما يقال فى المثل ، وهذا يعنى أنّ من يأكل لحم العالم فى استغابته ، فإنّه سرعان ما يموت قلبه ، ويسلب منه التوفيق والتسديد. والحياه الروحيّه والقلبيّه ، ويكون حينئذ ميّت يمشى بين الأحياء ، وتكون بطن الأرض خيرٌ له من ظهرها ، لأنّه يزداد إثماً وذنباً ، يوماً بعد يوم.

وإذا كان مسجد قُبا يُعظّم عند الله وخلقه من يومه الأوّل ، لأنّه اُسّس من اليوم الأوّل على التقوى ، وأمّا مسجد ضرار فإنّه يعدّ وكر التآمر وبيت النفاق ، فإنّه

لا بـدّ من أن يهـدم ويزول ، وهـذا يعنى أنّ ظاهرهما من حيث البناء والشـكل والمظهر واحـد ، إلاّ أنّ ملكوتهما وباطنهما باعتبار النوايا والأهداف يختلفان ، فأحدهما مظهر الحقّ ومظهر الرحمان ، والآخر مظهر الباطل ومظهر الشيطان.

وهذا فى كلّ شـىء ما سوى الله سـبحانه ، فإنّ الإنسان إنّما يكون مظهراً لأسـماء الله وصـفاته ، ويصل إلى مقام الشهود والكشف ومقام الفناء فى الله سـبحانه ، لو أسّـس بنيانه على التقوى من اليوم الأوّل ، فعنـدما يـدخل الحوزه العلميه ، عليه أن يهـذّب نفسـه بتقوى الله وترك المعاصـى والآثام ، وإلاّ فإنّه يكون باطلا ومظهراً للشـيطان ، ويكون صاحب بدعه وضلاله وانحراف فى العقيده والسلوك ، ويكون ضالا ومضلا ـ صان الله الحوزات من أمثال هؤلاء الشياطين علماء السوء ومظاهر الرذائل والذمائم ـ.

وكم قرأنا فى التأريـخ أصـحاب البـدع والمـذاهب الباطله إنّما كانوا فى بدايه أمرهم من أهل العلم ، ومن الحوزات الدينيّه. فهذا محمّد بن عبد الوهاب النجدى مؤسّـس الفرقه الوهابيّه بين السـنّه لتهديم السـنّه باسم السـنّه ، وهو وليد الاستعمار البريطانى ، إنّما كان من أهل العلم ، وهـذا على محمّد الشـيرازى المعروف بالباب ، مؤسّـس الفرقه البهائيّه بين الشـيعه باسم الشـيعه لتهديم كيان التشـيّع ، وهو من أهل العلم ، وكان وليد الاسـتعمار البريطانى أيضاً فى ذلك العصـر ، وقد أوجدهما الاسـتعمار لزرع التفرقه بين المسلمين كما فى مخطّطهم الاستعمارى ـ فرّق تسد ـ كلّ ذلك نتيجه عدم التهذيب من اليوم الأوّل.

فلا بدّ لطالب العلم فى سيرته الأخلاقيه والسلوك العرفانى أن يترك المعاصى ويتّقى الله حقّ تقاته.

لقد سأل موسى (عليه السلام) الخضر (عليه السلام) : ماذا فعلت حتّى اُمرت أن أتعلّم منك؟

بِمَ بلغتَ هذه المرتبه؟ فقال : بترك المعصيه (۱).

ثمّ صاحب الزمان (عليه السلام) تعرّض عليه أعمالنا عصر الاثنين والخميس ، فإنّه لو اطّلع على ذنوبنا فإنّه يتألّم من ذلك _ كما جاء ذلك فى توقيعه الشريف _ وحينئذ من أصاب قلب صاحب الأمر (عليه السلام) وألّمه وهو واسطه الفيض الإلهى ، فإنّه كيف يوفّق فى حياته العلميه والعمليه وفى دراساته الحوزويه _ هيهات هيهات _ إلاّ أن يتوب عاجلا غير آجل ، ويترك المعاصى بنيّه صادقه ، وإيمان وتقوى وإنابه وإخبات.

وكان شيخنا فى الأخلاق (قدس سره) يقول : أتعجّب من بعض الطلبه أنّه يسألنى كيف نترك الذنب ولا نعصى الله سبحانه ، والمفروض أن يفكّر كيف يكون سلمان زمانه وأويس دهره؟!

ولهذا كان علمائنا فى السلف يتركون المباح والمكروهات فضلا عن الشبهات ، يقول الشهيد الأوّل فى قواعده : « ومن الخسران صرف الزمان فى المباح وإن قلّ ».

وقالوا فى المقدّس الأردبيلى (قدس سره) أنّه لم يصدر عنه فى أربعين سنه فعلٌ مباح فضلا عن الحرام والمكروه.

ويقول المحدّث القمى (رحمه الله) : لم يصدر من الميرداماد الفيلسوف الإسلامى فعلٌ مباح طيله عشرين عاماً.

ويقول الملاّ عبد الله الشوشترى الذى هو من تلامذه المحقّق الأردبيلى فى موعظته لابنه : يا بنى ، إنّى بعدما أمرنى مشايخى (رحمهم الله) بالعمل برأيى ما ارتكبت

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۸۸.

مباحاً ولا مكروهاً إلى الآن ، حتّى الأكل والشرب والنوم.

فكلّ هذه يمكن الإنسان أن ينويها لله سبحانه فتكون مستحبّه ونافله ، وإنّ العبد ليقرّب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض ، حتّى يحبّه الله سبحانه ، فإذا أحبّه يكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويديه التى يبطش بها ، فيكون مظهراً لعلم الله وقدرته.

يقول العارف بالله الشيخ محمد البهارى : الثانى (من شروط السالك) : أن يجتنب المكروهات مهما أمكن وينشغل بالمستحبّات ، ولا يحقّرن شيئاً من المكروهات فيقول : (كلّ مكروه جائز) فكثيراً ما يكون ترك المكروه أو فعل مستحبّ صغير أشدّ أثراً فى القرب من المولى من كلّ ما عداه ، ويتّضح هذا من التأمّل فى العرفيات.

الثالث : ترك المباحات فى مقدار اللزوم والضروره ، صحيح أنّ الشارع المقدّس أباح اُموراً كثيره ، ولكن حيث أنّه فى الباطن لا يرغب لعبده أن ينشغل بغيره وينصرف إلى اُمور الدنيا ، فمن المستحسن للعبد أن يستجيب لرغبه المولى ، فيترك هذه الزخرفات ، حتّى وإن لم يكن ارتكابها حراماً ، إقتداءً بالنبيّين وتأسّياً بالأئمه الطاهرين.

والمرحوم الملاّ محمد صالح البرغانى أخو الشهيد الثالث من علماء القرن الثالث عشر رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى المنام وسأله عدّه أسئله أحدها : ما هو السبب فى أنّ العلماء فى السابق كانوا أصحاب كرامات ومكاشفات ، وفى هذا الزمان _ هذا قبل أكثر من مئه عام ، فكيف بزماننا هذا _ سدّ باب المكاشفات؟

فأجابه (صلى الله عليه وآله) : السبب أنّ العلماء فى الماضى قسّموا الأحكام فى أعمالهم وسلوكهم إلى قسمين : واجب وحرام ، وكانوا يتركون الحرام ويضمّون إليه

المكروه والمباح فيتركونها ، ويأتون بالمستحبّات مع الواجبات ولكنّكم طبقه المتأخّرين ، قسّمتم الأحكام عملياً إلى خمسه أقسام ، وتتركون المستحبّات وتفعلون المكروهات والمباحات ، ولهذا سدّت دونكم أبواب الكرامات والمكاشفات (۱).

ثمّ هنا نقطه مهمّه جدّاً ، وهى : كما جاء مضمون ذلك فى منيه المريد للشهيد الثانى (قدس سره) : إنّ عامّه الناس أدنى من أهل العلم بدرجه فى سلوكهم وأخلاقهم ، فإذا كان أهل العلم يأتون بالمستحبّات والنوافل فضلا عن الواجبات والفرائض ، فإنّ الناس يكتفون بالواجبات ، وإذا اشتغل أهل العلم بالمباحات فإنّ الناس يفعلون المكروهات ، وإذا دخل فى الشبهات فإنّ العامى يدخل فى المحرّمات ، والمصيبه فيما لو دخل رجل الدين فى الحرام _ والعياذ بالله _ فإنّ العامى يكفر بالله سبحانه ، وهذا ما يشاهد بالعيان ، فلا يحتاج إلى نقل وبرهان.

والناس إذا رأوا الخطيئه من العالِم فإنّهم يسيئون الظنّ بالعلماء ، وحتّى الدين ، لا بالشخص نفسه ، وليتهم أنصفوا ويسيئوا الظنّ بالشخص الخاطئ نفسه.

الله الله يا طالب العلم فى ترك المعاصى والذنوب ، وإن غلبت عليك شقوتك وشهوتك وتلوّثت بالمعاصى والآثام ولم توفّق للتوبه النصوحه (۲) ، فاخرج ولا تزى_د فى ذنب_ك وتضلّ الناس من حولك ، وتلوّث حوزه العلم والتقى والكرامه.

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۹۲.

۲- ۲. لقد تعرّضت للتوبه وشرائطها بالتفصيل فى كتاب « التوبه والتائبون على ضوء القرآن والسنّه » ، فراجع.

وعليك أن تخلص فى نيّتك وتسلّم وجهك لله ، وتقتدى فى حياتك بسلفك الصالح ، فما أروع ما فعله آيه الله السيّد حسين كوه كمرى (رحمه الله) أحد تلامذه صاحب الجواهر ، وكان من المعروفين له حوزه دراسيه كبيره فى أحد مساجد النجف الأشرف ، ويوماً مّا دخل المسجد قبل أوان الدرس ، فوجد فى زاويه المسجد مدرّساً حوله مجموعه صغيره من الطلّاب ، فسمع درسه فأُعجب به ، وكرّر المجيء حتّى تيقّن أنّه أفضل منه فى العلم والبيان والإبداع ، فجمع طلاّبه واشترك معهم فى درس الشيخ الجديد ، ولم يكن سوى الشيخ الأعظم شيخنا الأنصارى (قدس سره).

وهذا آيه الله ملاّ عبد الله التسترى (رحمه الله) ، إنّه ولمدّه ثلاثين عاماً لم يمتثل غير الواجبات الشرعيّه والمستحبّات الدينيّه ، دخل يوماً على الشيخ البهائى قبيل الظهر ، فحين صلاه الظهر طلب منه الشيخ البهائى أن يتقدّم لإمامه الجماعه ، فلمّا استعدّ للصلاه خرج مسرعاً ، ولمّا استفسروا عن ذلك أجابهم ، شعرت فى نفسى العُجب بأنّ مثل الشيخ البهائى يقتدى بى ، فعلمت بعدم الإخلاص ، فتركت الجماعه.

وما أجمل ما فعله المقدّس الأردبيلى لمّا اجتمع مع هذا الرجل فى مجلس عامّ ، فسأله الملاّ عبد الله التسترى ، فقال له المقدّس : سوف أُجيبك فيما بعد ، ولمّا انتهى المجلس مشى معه صوب الصحراء وأجابه السؤال بالتفصيل ، فتعجّب الملاّ وسأله أنّه لماذا لم يجبه فى المجلس؟ فقال له : لو أجبتك وكان النقاش بينى وبينك لكنّا معرّضين لهوى النفس ، لأنّ كلّ واحد منّا يريد أن ينتصر لرأيه ، فربما نقع فى العجب والجدال المذموم وحبّ الظهور ، وهذا يتنافى مع الإخلاص ، أمّا فى الصحراء فلا مجال للشيطان ولا الرياء ولا وسوسه النفس.

وهذا شيخنا القمىّ عباس صاحب مفاتيح الجنان ، لمّـا كتب كتابه « منازل الآخره » كان يقرأ الشيخ عبد الرزّاق فى حرم السيّده المعصومه (عليها السلام) بقم فى جمع من الناس ، وكان منهم والد الشيخ عبّاس القمىّ ، فاستحسن ما كان يفعله الشيخ عبد الرزّاق ، وذات يوم قال لولده : يا ليت أنّك مثل هذا الشيخ الذى يصعد المنبر ويقرأ من كتاب « منازل الآخره » تقرأ منه أيضاً. ويقول الشيخ عبّاس القمىّ : أردت أن أقول لأبى : إنّ هذا الكتاب الذى يقرأه من مؤلّفاتى ، ولكن امتنعت من ذلك ، وقلت لوالدى : تكرّم علَىَّ بالدعاء حتّى يوفّقنى الله.

وأخيراً من كان لله كان الله له.

بعد رحله صاحب الجواهر (قدس سره) إلى جوار ربّه ، انتقلت المرجعيّه إلى تلميذه البارع شيخنا الأعظم الشيخ الأنصارى ، إلّا أنّه من شدّه ورعه واحتياطه امتنع فى بدايه الأمر وقال : إنّ سعيد العلماء فى إيران كان زميلى فى الدراسه ، وكان آنذاك أعلم منىّ وأكثر استيعاباً ، فكتب إليه رساله يدعوه ليتحمّل مسؤوليّه المرجعيّه ، فأجابه سعيد العلماء (قدس سره) : لقد بقيت أنت خلال المدّه الماضيه فى الحوزه مشتغلا بالتدريس والمباحثه ، بينما انشغلت أنا بأُمور الناس ، ولهذا فأنت أحقّ منىّ بهذا الأمر.

بعد وصول الجواب تشرّف الشيخ الأنصارى بزياره حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وطلب من ذلك الإمام العظيم أن يعينه بإذن الله تعالى فى هذا الأمر الخطير ويسدّد خطاه.

وحول الميرزا الشيرازى الكبير جاء إنّ طلّاب الشيخ الأنصارى بعد وفاه الشيخ اختاروه للمرجعيّه وأصرّوا عليه إصراراً كبيراً حتّى أقنعوه بقبول هذه المسؤوليه ، فجرت دموعه على خدّيه ولحيته المباركه ، ثمّ أقسم أنّه لم يخطر فى ذهنى

أبداً أنّى أحمل عبء هذه المسؤوليّه العظيمه (۱).

وهـذا آيه الله السيّد محمّـد الفشاركى من أبرز تلامـذه الميرزا الشـيرازى الكبير ، بعـد رحله اُسـتاذه إلى جوار ربّه ، طلبوا منه أن يتصدّى للمرجعيّه ، فأبى عن ذلك ، وقال : لست أهلا لذلك ، لأنّ الرئاسه الشـرعيّه تحتاج إلى اُمور غير العلم بالفقه والأحكام ، من السـياسات ومعرفه واقع الاُمور ، وأنا رجل وسواسـى فى هذه الاُمور ، فإذا دخلت فى هذا المجال اُفسد ولا اُصـلح ، ولا يسوغ لى غير التدريس ، فأرجع الناس إلى الميرزا محمّد تقى الشيرازى.

ويقول آيه الله السيّد أحمـد الزنجـانى فى كتابه (الكلام يجرّ الكلام) : إنّ ابن المرحوم السيّد محمّـد الفشاركى (رحمه الله) بعد وفاه الميرزا الشـيرازى الكبير أرسـلنى والدى إلى المرحوم الميرزا محمّد تقى الشـيرازى ـ الميرزا الصـغير ـ لأقول له : إذا كنت تعتبر نفسـك أعلم منّى فتفضّـل قـل ذلـك حتّى اُرجع زوجتى وأولادى إليك فى التقليـد ، وإذا كنت تعتبرنى أعلم فارجع أنت عائلتك إلىَّ فى التقليد.

وعنـدما نقلت هـذه الرساله الشـفويّه إلى الميرزا فكّر كثيراً وقال : قل لسـماحته هو ما رأيه؟ فنقلت هـذا السؤال إلى والدى فقال : إذهب وقل له أى شىء تراه أنت ميزاناً للأعلميّه ، إذا كان الميزان دقّه النظر فأنت أعلم ، وإذا كان الميزان الفهم العرفى فأنا أعلم. وذهبت ثانيهً إلى الميرزا وأبلغته بذلك ، ففكّر قليلا أيضاً وقال : سماحته أىّ الإثنين يعتبره ميزاناً؟ وأبلغت هذا الجواب ـ السؤال ـ ففكّر والدى قليلا وقال بسرور : لا يبعد أنّ دقّه النظر فى ميزان الأعلميّه وملاكها ، ثمّ قال : فلنقلّد جميعنا الميرزا الشيرازى.

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۱۱۱.

أجل هكـذا عظمائنا الأعلام ، يبقون أكبر من الرئاسه والمقام ، فلا تغرّهم الـدنيا الـدنيّه ، ومنذ اليوم الأوّل هذّبوا أنفسـهم وطهّروا قلـوبهم ، وصـدقوا فى نواياهم ، فبلغـوا القمّه فى الكمـال والجمـال ، وصـاروا بـدور العلم وشـموس الحوزات ، يسـتضاء بنورهم المشرق.

فما أعظم مواقف اُولئك الأفذاذ والعباقره فى التقوى والعلم؟!

فهذا الشيخ عباس القمى فى صلاه الليل عندما يقرأ سوره (يس) ويصل إلى هذه الآيه الشريفه :

(هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتى كُنْتُمْ توعَدونَ) .

يكرّرهـا حتّى يتغيّر حـاله ويتعـوّذ من النـار ، ولم يتمكّن من إكمـال السـوره حـتّى صـلاه الصـبح ، ومع هـذه المرتبه من التقوى والخشوع عندما يتقدّم لصـلاه الجماعه فى گوهرشاد ، وبعد أيّام يكتضّ المسـجد بالمصلّين ، وإذا بالشيخ بعد صلاه الظهر يخرج من المسـجد ، وحينما يُسأل عن سبب ذلك ، يجيب : إنّى فى ركوع الركعه الرابعه من صلاه الظهر سمعت أحد المصلّين يقول : يـا الله ، إنّ الله مـع الصـابرين ، ويريـد أن يلتحق بالجمـاعه وكـان صوته من بعيـد فتبـادر إلى ذهنى كـثره المصـلّين ممّـا أوجب الاضطراب فى نيّتى ، فخفت أن لا أكون مخلصاً فى صلاتى فتركت الجماعه.

وأحد تلامذه العلاّمه الطباطبائى أربعين عاماً يطلب منه أن يصلّى خلفه جماعه فكان العلاّمه يأبى ويمتنع عن ذلك.

وهذا شريف العلماء اُستاذ الشيخ الأنصارى لم يكن يرضى أن يصلىّ إماماً ، ولكن عندما أصرّ عليه الناس ذات مرّه وافق وصلّى ، وأثناء الصلاه انصرف ذهنه لا إراديّاً إلى حلّ مسأله علميّه ، فلم يصلّ بعد تلك الصلاه ، إذ أنّه لم يرَ نفسه أهلا لذلك.

وهذا آیه الله السیّد صدر الدین الصدر کان مع آیه الله الفیض وآیه الله الحجّه الکوه کمری قدّس أسرارهم الزکیه یتولّون إداره الحوزه العلمیّه بقم بعد آیه الله العظمی مؤسّس الحوزه الشیخ عبد الکریم الحائری ، فمن أجل توحید المرجعیّه عند دخول آیه الله العظمی السیّد البروجردی (قدس سره) ، فوّض کلّ واحد من الثلاثه ما کان عنده من المسؤولیه والوجاهه الاجتماعیه إلی السیّد ، فترک السیّد صدر محلّ إقامته صلاه الجماعه واعتزل اُمور الرئاسه إلی حدٍّ کبیر ، وقال فی بیان سبب ذلک :

(تِلْکَ الدَّارُ الآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذینَ لا یُریدونَ عَلُوّاً فی الأرْضِ وَلا فَساداً وَالعاقِبَهُ لِلْمُتَّقینَ) .

فمن تواضعه لله قدّم ما عنده إلی السیّد لتوحید الزعامه الدینیّه.

فطالب العلم لا بدّ أن یخلص فی نیّته وعمله وقوله ، ویتحرّر من أیّ نوع من أنواع التظاهر سواء کان بالعلم أو غیره ، بل یکون دائماً محرّکه هو العمل المخلص ، وحصول رضا الله سبحانه (أخلص العمل فإنّ الناقد بصیر).

وهذا الشیخ جواد البلاغی المدافع عن الإسلام من شدّه إخلاصه طبع مؤلّفاته باسم مجهول.

وصاحب الذریعه الشیخ آقا بزرک الطهرانی حینما یری کتاب الغدیر وعظمته یطلب من الله أن یهب بقیّه عمره لصاحب الغدیر لینجز الغدیر.

والشیخ عباس القمی عندما کان یعظ الناس فی مسجد گوهر شاد وقع بصره علی المرحوم الشیخ عباس تربتی وهو من العلماء الأبرار ، فقال الشیخ عباس : أیّها الناس سماحه الشیخ موجود فی المجلس استفیدوا من علمه ، ثمّ نزل من المنبر ، وطلب من الشیخ أن یتولّی الحدیث.

یقول أمیر المؤمنین (علیه السلام) : « الدنیا کلّها جهل إلاّ مواضع العلم ، والعلم کلّه

حجّه إلّا ما عمل به ، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له » (۱).

(فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (۲).

۱- ۱. بحار الأنوار ۷۰ : ۲۴۲.

۲- ۲. الكهف : ۱۱۰.

الدرس الثالث

اشاره

فی الفصل السابق تحدّثنا عن الأمر الأوّل الذی یذکره الشهید الثانی فی منیه المرید من الآداب التی یجب علی طالب العلم أن یراعیها ، وإلیک تتمّه الموضوع ، وهو بیان الأمر الثانی وما یلیه :

الأمر الثانی : اغتنام الفرصه

أن یغتنم التحصیل فی الفراغ والنشاط وحاله الشباب وقوّه البدن ونباهه الخاطر وسلامه الحواسّ وقلّه الشواغل وتراکم العوارض ، سیّما قبل ارتفاع المنزله والاتّسام بالفضل والعلم ، فإنّه أعظم صادٍّ عن درک الکمال ، بل سبب تامّ فی النقصان والاختلال.

هذا ما یقوله الشهید الثانی وإنّه الرجل العالم الحکیم العارف بحقائق الاُمور والمجرّب لما یبتلی به طلّاب الحوزه.

وقد قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) لأبی ذرّ الغفاری : اغتنم خمساً قبل خمس : شبابک

قبل هرمك ، وصحّتك قبل سقمك ، ودنياك قبل آخرتك ، وحياتك قبل مماتك ، وفراغك قبل شغلك.

والعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر ، ومثل الذى يتعلّم فى كبره كالذى يكتب على البحر ، وما اُوتى عالم علماً إلّا وهو شابّ ، فيلزم طالب العلم أن يستغلّ وقته ، منذ الصغر ، وفى بدايه أمره وتعلّمه « ينبغى لطالب العلم أن يكون مستفيداً فى كلّ وقت حتّى يحصل له الفضل ، وطريق الاستفاده أن يكون معه فى كلّ وقت (قلم وقرطاس) حتّى يكتب ما يسمع من الفوائد ، قيل : (ما حفظ فرّ ، وما كتب قرّ) ، قيل : (العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال ، لأنّهم يحفظون أحسن ما يسمعون ، ويقولون أحسن ما يحفظون) ، ووصّى شخص لابنه بأن يحفظ كلّ يوم شقصاً من العلم ، فإنّه يسير وعن قريب يصير كثيراً ، فالعلم كثير والعمر قصير ، فينبغى أن لا يضيّع الطالب له الأوقات والساعات ، ويغتنم الليالى والخلوات ، قيل : (الليل طويل فلا تقصّره بمنامك ، والنهار مضىء فلا تكدّره بآثامك).

وينبغى لطالب العلم أن يغتنم الشيوخ ويستفيد منهم ، ولا يتحسّر لكلّ ما فات ، بل يغتنم ما حصل له فى الحال والاستقبال من تحميل المشاقّ والمذلّه فى طلب العلم والتملّق مذموم ، إلّا فى طلب العلم ، فإنّه لا بدّ له من التملّق للُاستاذ والشركاء وغيرهم للاستفاده ، وقيل : (العلم عزّ لا ذلّ فيه ، ولا يدرك إلّا بذلٍّ لا عزّ فيه) » (۱).

« قيل : وقت التعلّم من المهد إلى اللحد ، وأفضل أوقاته شرع الشباب ، ووقت السحر وما بين العشائين ، وينبغى أن يستغرق جميع أوقاته ، فإذا ملّ من علم

۱- ۱. آداب المتعلّمين ، جامع المقدّمات ۲ : ۵۷.

يشتغل بعلم آخر ، وكان محمّد بن الحسن لا ينام الليل ، وكان يضع عنده دفاتر إذا ملّ من نوع ينظر إلى نوع آخر ، وكان يضع عنده الماء ويزيل نومه بالماء ، وكان يقول : النوم من الحراره » (۱).

وبنظرى على طالب العلم أن يطالع كثيراً ، ليل نهار ، والمطالعه كباقى الصفات والأعمال من قسم العاده ، فإذا اعتاد الإنسان عليها ، فإنّه من الصعب تبديل العاده ، فإنّها طبيعه ثانويّه فى الإنسان ، فلا بدّ أن يعوّد نفسه على المطالعه مع مراعاه شرائطها وآدابها ، وثمرتها أنّ سماء ذهن المطالع تمتلئ من الأسحبه المختلفه والمتفاوته ، وهذا يعنى أنّه يطالع كلّ شىء حتّى القصص البوليسيّه ، ونتيجه المطالعات الكثيره والمختلفه ، أنّها فى سماء الذهن تصطدم بعضها مع بعض فيتولّد منها الرعد والبرق ، ثمّ المطر والوابل ـ كما فى سماء الطبيعه ـ وهى التى تسمّى بالرشحات الفكريّه ، والنتائج العقلائيّه ، ويأتى للمجتمع بشىء جديد ، وموضوع لم يسمع من قبل ، ويقال : فلان العالم منظّر وأنّه صاحب نظريه جديده ، وفكر عملاق ، وما شابه ذلك من الكلمات التى تنبئ عن أمر مبتكر جديد.

ثمّ على طالب العلم أن يتأمّل فيما يقرأه ويطالعه ويدرسه (ينبغى لطالب العلم أن يكون متأمّلا فى جميع الأوقات فى دقائق العلوم ، ويعتاد ذلك ، فإنّما يدرك الدقائق بالتأمّل ، ولهذا قيل : « تأمّل تدرك » ، ولا بدّ من التأمّل قبل الكلام حتّى يكون صواباً ، فإنّ الكلام كالسهم ، فلا بدّ من تقديمه بالتأمّل قبل الكلام ، حتّى يكون ذكره مصيباً فى اُصول الفقه ، هذا أصل كبير ، وهو أن يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمّل ، ويكون مستفيداً فى جميع الأحوال والأوقات ، وعن جميع الأشخاص ، قال

۱- ۱. آداب المتعلّمين ، جامع المقدّمات ۲ : ۵۷.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « الحكمه ضالّه المؤمن ، أينما وجدها أخذها » ، وقيل : « خذ ما صفى ، ودع ما كدر » ، وليس لصحيح البدن والعقل عذر فى ترك العلم) (۱).

(ثمّ لا بدّ لطالب العلم من الجدّ والمواظبه والملازمه قيل : « من طلب شيئاً وجَدَّ وَجَد ، ومن قرع باباً ولَجَّ وَلَج » ، وقيل : « بقدر ما يسعى ينال ما يتمنّى ».

قيل يحتاج فى التعلّم إلى جدّ الثلاثه : المتعلّم والاُستاذ والأب إن كان فى الحياه.

ولا بدّ لطالب العلم من المواظبه على الدرس والتكرار فى أوّل الليل وآخره وما بين العشائين ، ووقت السحر وقت مبارك ، قيل : « من أسحر نفسه بالليل فقد فرح قلبه بالنهار » ، ويغتنم أيّام الحداثه وعنفوان الشباب ، ولا يجتهد نفسه جهداً يضعف النفس ، وينقطع عن العمل ، بل يستعمل الرفق فى ذلك ، والرفق أصل عظيم فى جميع الأشياء.

ولا بدّ لطالب العلم من الهمّه العاليه فى العلم ، فإنّ المرء يطير بهمّته ، كالطير يطير بجناحيه ، فلا بدّ أن تكون همّته على حفظ جميع الكتب حتّى يحصل البعض ، فأمّا إذا كان له همّه عاليه ولم يكن له جدّ ، أو كان له جدّ ولم يكن له همّه عاليه ، لا يحصل له إلّا قليلٌ من العلم ، وينبغى أن يتعب نفسه على الجدّ والتحصيل والمواظبه بالتأمّل فى فضائل العلوم ودقائقها ، فإنّ العلم يبقى ، وغيره يفنى ، فإنّه حياه أبديّه ، قيل : « العالمون أحياء وإن ماتوا » ، « العلماء باقون ، أعيانهم مفقوده ، ومحبّتهم فى القلوب » ، وكفى بلذّه العلم داعياً إلى التحصيل للعاقل) (۲).

۱- ۱. آداب المتعلّمين ـ جامع المقدّمات ۲ : ۵۴.

۲- ۲. المصدر : ۵۳.

فلا بدّ من النشاط الدائم فی تحصیل العلم ، والتفقّه فی الدین ، قیل : تفقّهوا قبل أن تسوّدوا ، أی تصیروا ساده ، فتأنفوا من التعلّم او تستحیوا منه بسبب المنزله ، فیفوتکم العلم. وقال آخر : تفقّه قبل أن تترأّس ، فإذا رئست فلا سبیل إلی التفقّه. وعن ابن عباس : ما اُوتی عالم علماً إلاّ وهو شابّ ، وقد نبّه الله تعالی ذلک بقوله :

(وَآتَیْناهُ الحُکْمَ صَبِیًّا) (۱).

وهذا باعتبار الغالب ، وإلاّ ـ فمن کبر لا ـ ینبغی له أن یحجم عن الطلب ، فإنّ الفضل واسع والکرم وافر ، والله المعین ، وأبواب الرحمه مفتّحه ، وإذا کان المحلّ قابلا تمّت النعمه وحصل المطلوب ، والله سبحانه یقول :

(وَاتَّقوا اللهَ وَیُعَلِّمُکُمُ اللهُ) (۲).

(وَلَمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ وَاسْتَوی آتَیْناهُ حَکْماً وَعِلْماً) (۳).

وقد اشتغل جماعه من السلف فی حال کبرهم حتّی فاقوا الشباب ، فتفقّهوا وصاروا أساطین فی الدین وعلماء مصنّفین فی الفقه وغیره ، فلیغتنم العاقل عمره ، ولیحرز شبابه عن التضییع ، فإنّ بقیّه العمر لا ثمن لها (۴).

فاطلب العلم من المهد إلی اللحد ، ولیغتنم العاقل عمره الثمین ، ولیحرز شبابه عن البطاله والتضییع.

وإذا رجعنا إلی سیره فطاحل العلم وعباقره الفنّ والأدب رأینا أنّ الغالب

۱- ۱. مریم : ۱۲.

۲- ۲. البقره : ۲۸۲.

۳- ۳. القصص : ۱۴.

۴- ۴. منیه المرید : ۲۲۶.

فيهم إنّما نال درجات العلى ، وفاق الأقران وحاز السبق ، من اتّبع نفسه فى صباه وأيّام شبابه ، ولهذا يقال : من أتعب نفسه فى شبابه استراح فى شيبته.

وقال بعض السلف : لا يطلب أحد هذا العلم بعزّ النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمه العلماء أفلح.

وقال آخر : ولا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتّى يضرّ به الفقر ، ويؤثره على كلّ شىء.

وقال بعضهم : لا ينال هذا العلم إلّا من عطّل دكّانه ، وخرّب بستانه ، وهجر إخوانه ، ومات أقرب أهله ، فلم يشهد جنازته.

كما حدث ذلك لصاحب جامع السعادات المحقّق النراقى (قدس سره).

وهذا كلّه وإن كان فيه مبالغه ، فالمقصود أنّه لا بدّ فيه من جمع القلب واجتماع الفكر ، وأن يقطع من العوائق الشاغله والعلائق المانعه من تحصيل العلوم والفنون.

الأمر الثالث : قطع العلائق المانعه من تحصيل العلم

أن يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغله ، والعلائق المانعه عن تمام الطلب وكمال الاجتهاد ، وقوّه الجدّ فی التحصیل ، ویرضی ما تیسّر من القوت وإن کان یسیراً وبما یستر مثله من اللباس وإن کان خلقاً ، فبالصبر علی ضیق العیش تنال سعه العلم ، والعلم لا یعطیک بعضه حتّی تعطیه کلّک.

أکتفی بقصّه واحده من حیاه المحقّق العالم الربّانی الملّا محمّد مهدی النراقی صاحب (جامع السعادات) من خیره المصنّفات فی علم الأخلاق.

« کان فی بدایه تحصیله فی غایه الفقر والفاقه بحیث لم یکن قادراً علی إشعال قندیل للمطالعه ، فکان یستفید من قندیل بیت الخلاء للمطالعه ، وإذا جاء أحد إلی بیت الخلاء ، کان یتنحنح إشاره منه إلی أنّه مشتغل بقضاء الحاجه ، فلا یعرف أحد بالأمر ویخجل.

هذا الرجل العظیم ــ وهکذا کلّ العظماء ــ قطع کلّ ما یشغله عن دراسته ، حتّی الرسائل التی کانت ترسل إلیه من أهله ووالده ، کان یبقیها مقفله لا ینظر إلیها حتّی لا یوجب ذلک شرود ذهنه ، ویضع الرسائل تحت الفراش ، وعندما قُتل والده فبأمر من اُستاذه وبمعیّته ذهب إلی نراق ، وبعد ثلاثه أیّام رجع إلی مدرسته وهو شدید الشوق لتحصیل العلوم العقلیّه والنقلیّه ، ولمّا أکمل دراسته وسکن فی کاشان وکانت خالیه من العلماء ، وببرکته مُلئت من العلماء والفضلاء ، وصار مرجع ومحطّ رحال الرجال الکُمّل الأفاضل ، وظهر الکثیر من العلماء من تلامذته » (۱).

۱- ۱. قصص العلماء للتنکابنی : ۱۴۶.

الأمر الرابع : عدم الزواج المبكّر

أن يترك التزويج حتّى يقضى وطَرَه من العلم ، فإنّه أكبر شاغل وأعظم مانع ، حتّى قيل : ذبح العلم فى فروج النساء ، ومن احبّ أفخاذ _ اتّخاذ _ النساء لم يفلح.

ثمّ يقول الشهيد الثانى (قدس سره) : ولا يغترّ طالب العلم بما ورد فى النكاح من الترغيب ، فإنّ ذلك حيث لا يعارضه واجب أولى منه ، ولا شىء أولى ولا أفضل ولا واجب أضيق من العلم ، سيّما فى زماننا هذا ...

أقول : إنّما يترك الزواج لمن تمكّن من حفظ نفسه أن لا يقع فى اللذائذ المحرّمه ، وإلّا فإنّه يكون واجباً من مقدّمه الواجب واجب ، ولا يصحّ ترك الواجب من أجل عمل مندوب ، وطلب العلم أكثر من المسائل المبتلى بها مستحبّ فى نفسه ، فتدبّر.

كان اُستاذى فى الأخلاق فى مقام النصيحه يقول : إذا كان بإمكان طالب العلم أن لا يتزوّج مبكّراً فليفعل ، فإنّ من يقدر على حفظ نفسه من التلوّث بالذنوب ، فعدم الزواج أفضل له ، لأنّ المرأه والأولاد بمنزله القيود والسلاسل لطالب العلم ، فكثيراً ما تمنعه عن مواصله الدراسه والتحقيق والتدقيق ، وينشغل ذهنه باُمور المعاش والمأكل والملبس والمسكن ، لا سيّما فى عصرنا هذا ، فإنّ الحياه لطالب العلم من دون دغدغه صعبه جدّاً ، فمن أراد أن يتوفّق فى تحصيل العلوم والفنون ويفوق فيها الأقران ، فعليه أن يكمل درسه فى مرحلتى المقدّمات والسطوح ويدخل فى درس خارج الاُصول والفقه لسنتين وما يزيد ، فحينئذ يقدم على الزواج ، وقد تزوّج الإمام الخمينى وعمره خمسه وعشرون سنه ، وقد ألّف وصنّف فى الفقه والاُصول والفلسفه والعرفان وعمره ثلاث وعشرون سنه ، فاعتبروا يا اُولى الأبصار.

الدرس الرابع

اشاره

لقـد عرفنا فی المقدّمه والفصول التی مرّت أهمیّه الأخلاق فی حیاه طالب العلوم الدینیّه ، وبعض الآداب التی لا بدّ من مراعاتها ، حتّی یتوفّق فی طلب العلم النافع والعمل الصالح. وبقیت الآداب والأخلاق الحمیده الاُخری ، وهی کما یلی :

الأمر الخامس : ترک العِشره

أن یترک العِشـره مع من یشـغله عن مطلوبه ، فـإنّ ترکهـا من أهمّ مـا ینبغی لطالب العلم ، وأعظم آفات العِشـره ضـیاع العمر بغیر فائده ، وذهاب العرض والدین إذا کانت لغیر أهل.

والـذی ینبغی لطـالب الحوزه العلمیه أن لا یخالط إلاّ لمن یفیـده أو یسـتفید منه ، أی یغـدو إمّا عالماً ربّانیاً ، أو متعلّماً علی سبیل النجاه ، ولا یکن الثالث همجٌ رعاع ،

ص: ۶۳

وإن احتاج إلى صاحب وصديق وزميل فليختر الصاحب الصالح (۱) ، الديّن التقى الذكى الورع ، الذى يعين على اُمور دينه ودنياه وآخرته ، إن نسى ذكّره ، وإن ذكر أعانه ، وإن احتاج واساه ، وإن ضجر صبّره. فيستفيد من خلقه ملكه صالحه ، فإنّ المرء يكسب من قرينه أخلاقه وملكاته ، وإن لم يتّفق مثل هذا العبد الصالح ، فإنّ الوحده خيرٌ له من قرين السوء ، وإنّ الصبر على الوحده فى مثل هذه المواقف من قوّه العقل ، وقطعيّه الجاهل تعدل صله العاقل.

وقد حثّ علماء الأخلاق على ترك العشره المانعه من تحصيل العلم ، بل لا بدّ لمن آثر الله على من سواه من العزله فى ابتدائه توحّشاً من غير الله ، ومن الخلوه فى انتهائه اُنساً بالله ، وقد ورد فى الخبر الشريف عن الإمام العسكرى (عليه السلام) : « من استأنس بالله استوحش من الناس » (۲).

والسيّد الإمام الخمينى فى كتابه « الجهاد الأكبر » يرى أنّه من الحرىّ لطالب العلم أن يبقى فى الحوزه فى مقام تهذيب نفسه ولو كان يستلزم ذلك خمسون سنه ، ثمّ بعد ذلك يخرج إلى المجتمع ، حتّى لا يتلوّث قبل تكميل نفسه بأوساخ المجتمع ، ولا يتغيّر بأهوائهم والأجواء التى يخلقونها ، بل يكون هو صاحب التصميم والقرار وهو الذى يلوّن المجتمع بصبغه الله ، لا أنّه يتلوّن بألوانه وينجرف مع سيله ، حتّى يفقد دينه ـ والعياذ بالله ـ.

۱- ۱. لقد تعرّضت لمواصفات الصديق وواجبات الصداقه فى كتاب « معالم الصديق والصداقه فى رحاب أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) » ، فراجع.

۲- ۲. لقد ذكرت مقامات عديده تلزم مقام الاُنس بالله فى رساله « مقام الاُنس بالله » شرحاً وبياناً لهذه الروايه الشريفه ، وهى مطبوعه ، فراجع.

وروايات العزله على نحوين ، كما فى كتاب « المحاسن والمساوئ » ، منها تذمّ العزله ، ومنها تمدح ، والجمع بينها ، كما هو واضح أنّ التى تحثّ على الاتّصال مع الناس لهدايتهم على أنّ هدف الأنبياء ذلك ، والعلماء ورثه الأنبياء ، إنّما ناضره إلى من أكمل نفسه وهذّبها ، ووهبه الله قدره إمامه الناس وسوقهم وهدايتهم إلى وادى السعاده والهناء ، وأمّا طالب العلم فى بدايه مسيرته العلميّه والاجتماعيّه ، فإنّه بحاجه ماسّه إلى العزله الممدوحه ، التى يستتبعها العلم والتقوى وجهاد النفس ورجاحه العقل وكمال الأدب.

اُنظر إلى مدح الله أصحاب الكهف فى قوله تعالى :

(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدونَ إِلاّ اللهَ فَأْوُوا إِلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفقاً) (۱).

(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ وَأَدْعو رَبِّى عَسى أَنْ أَكونَ بِدُعاءِ شَقِيّاً فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقوبَ وَكُلاّ جَعَلْنا نَبِيّاً) (۲).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« العزله عباده ».

« قال الله عزّوجلّ : إنّ من أغبط أولیائى عندى رجلا خفيف الحال ذا خطر أحسن عباده ربّه فى الغيب ، وكان غامضاً بين الناس ، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه ، مات فقلّ تراثه وقلّ بواكيه ».

« إنّ أغبط أولياء الله عبدٌ مؤمنٌ خفيف الحال ذو حظٍّ من الصلاه أحسن

۱- ۱. الكهف : ۱۶.

۲- ۲. مريم : ۴۸ _ ۴۹.

عباده ربّه وأطاعه فی السرّ ، وکان غامضاً فی الناس لا یُشار إلیه بالأصابع ».

قال أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) :

« العزله أفضل شیم الأکیاس ».

« فی اعتزال أبناء الدنیا جماع الصلاح ».

« الوصله بالله فی الانقطاع عن الناس ».

« من انفرد عن الناس أنس بالله سبحانه ».

« لا سلامه لمن أکثر مخالطه الناس ».

« ملازمه الخلوه دأب الصلحاء ».

« سلامه الدین فی اعتزال الناس ».

« من اعتزل الناس سلم من شرّهم ».

« مداومه الوحده أسلم من خلطه الناس ».

« کان لقمان (علیه السلام) یطیل الجلوس وحده ، وکان یمرّ به مولاه فیقول : یا لقمان ، إنّک تدیم الجلوس وحدک ، فلو جلست مع الناس کان آنس لک. فیقول لقمان : إنّ طول الوحده أفهم للفکره ، وطول الفکره دلیل علی طریق الجنّه ».

« من حدیث الإمام الکاظم (علیه السلام) لهشام بن حکم ، قال (علیه السلام) : الصبر علی الوحده علامه علی قوّه العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنیا والراغبین فیها ، ورغب فیما عند الله ، وکان الله أنیسه فی الوحشه ، وصاحبه فی الوحده ، وغناه فی العیله ومعزّه من غیر عشیره ».

« قال الإمام الصادق (علیه السلام) : إن قدرت أن لا تخرج من بیتک فافعل ، فإنّ علیک فی خروجک أن لا تغتاب ولا تکذب ولا تحسد ولا ترائی ولا تتصنّع ولا تداهن ».

« كـان شـخص يبكى عنـد قبر النبىّ (صـلى الله عليه وآله) فقيـل له : ما يبكيك؟ فقال : سـمعت رسول الله (صـلى الله عليه وآله) يقول : إنّ اليسير من الرياء شـرك ، وإنّ الله سـحبّ الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا ، وإن حضـروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ».

« يقول الإمام العسكرى (عليه السلام) : الوحشه من الناس على قدر الفطنه بهم ».

« قال الإمام الصادق (عليه السلام) : خالط الناس تخبرهم ، ومتى تخبرهم تقلّهم ».

« قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : من عرف الله توحّد ، من عرف الناس تفرّد ».

« ولمّـا سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن علّه اعتزاله؟ قال : فسد الزمان وتغيّر الإخوان ، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد » (١).

ولنا روايات كثيره تمدح العزله بشرطها ، كما أنّ العرفاء حثّوا طلّاب السير والسلوك فى بدايه أمرهم على ذلك.

فقيـل : مـا اختـار الخلوه على الصـحبه فينبغى أن يكون خالياً عن جميع الأذكـار إلاّـ ذكره ، وعن جميع الإرادات إلاّ أمره ، وعن جميع مطالبات النفس إلاّ حكمه.

الوحـده جليس الصـديقين وأنيس الصادقين ، ليكن خدنك الخلوه وطعامك الجوع وحديثك المناجاه ، فإمّا أن تموت وإمّا أن تصل.

وكان بعض العارفين يصيح : الإفلاس الإفلاس! فقيل : وما الإفلاس؟ قال : الاستيناس بالناس.

ودخـل تلميـذ على شـيخه وكـان وحيـداً فى داره ، فقـال : أمـا تسـتوحش فى هـذه الـدار وحيـداً؟ فقال : ما كنت أظنّ أنّ أحـداً استوحش مع الله ، وقال آخر فى الجواب ، لمّـا دخلت صرت وحيداً ، فإنّى كنت مشغولا ومستأنساً بربىّ.

١- ١. ميزان الحكمه ، كلمه « العزله » ٣ : ١٩۶۴ ، الطبعه الجديده.

إرضَ بالله صاحباً وذر الناس جانباً ، كفى بالله محبّاً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً.

صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخره ، وفرّ من الناس فرارك من الأسد ، واتّخذ الله مؤنساً.

قال بعض الحكماء : إنّما يستوحش الإنسان بالوحده لخلاء ذاته وعدم الفضيله من نفسه ، فيتكثّر حينئذ بملاقاه الناس ويطرد الوحشه عن نفسه بالكون معهم ، فإذا كانت ذاته فاضله ونفسه كامله طلب الوحده ليستعين بها على الفكره ، ويتفرّغ لاستخراج العلم والحكمه.

وفى بعض الآثار : وجدنا خير الدنيا والآخره فى الخلوه والقلّه ، وشرّهما فى الكثره والخلطه.

وفى بعضها : إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذلّ المعصيه إلى عزّ الطاعه آنسه بالوحده ، وأغناه بالقناعه ، وبصّره عيوب نفسه ، ومن أُعطى ذلك أُعطى خير الدارين.

ومن فوائد العزله : السلامه من الآفات ، وترك النظر إلى زينه الدنيا وزهرتها ، ومنع النفس من التطلّع إليها ومنافسه الناس عليها. قال الله تعالى :

(وَلا تُمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الحَياهِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ) (۱).

وإنّها خالعه عنك ذلّ الإحسان ، وقاطعه رقّ الأطماع ، ومفيده عزّ الناس عن الناس ، ومن آثر العزله حصل العزّ له ، ومعاشره الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار.

۱- ۱. طه : ۱۳۱.

العزله تستر الفاقه ، وتكفّ جلباب التجمّل ، إنّها معينةٌ لمن أراد نظراً فی علم ، أو إثاره لدفين رأی ، واستنباطاً لحكمه ، لأنّ شيئاً منها لا يتمّ إلّا مع خلاء الذرع وفراغ القلب ، ومخالطه الناس ملغاه ومشغله.

وقال بعض الحكماء : من الطيور من جعل راحته فی اعتزال العمران ، وآثر المواضع النائيه عن الناس ، فليتشبّه به من أراد النظر فی كتب الحكمه.

وقال بعض الأخيار : لا يتمكّن أحد من الخلوه إلّا بالتمسّك بكتاب الله ، والمتمسّكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله ، الذاكرون الله بالله ، عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ، ولقوا الله بذكر الله.

وقيل لبعض العبّاد ، ما أصبرك على الوحده! فقال : ما أنا وحدی ، أنا جليس الله جلّ وعزّ! إذا شئت أن يناجينی قرأت كتابه ، وإذا أردت أن أُناجيه صلّيت.

وكان بعضهم يلزم الدفاتر والمقابر ، فقيل له فی ذلك ، فقال : لم أرَ أسلم من وحده ، ولا صاحباً أوعظ من قبر ، ولا جليساً أمنع من دفتر.

كان بعض العارفين يقول : مكابده العزله أيسر من مداراه الخلطه. وكان يقول : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه ، فليعتزل الناس ويستوحش من الأغنياء وليجانب السلطان كما يجانب الرجل السباع الضاريه والهوام العاديه.

وعن بعض الحكماء حين قيل له : لماذا رفضت الناس؟ فقال : لم أرَ إلّا عدوّاً يداجينی بعداوته ، وصديقاً يعدّ علیّ معايبی فی أيام صداقته.

وطالب العلم إنّما يستأنس بكتبه ، وإنّ الكتب بساتين العلماء.

وكتبك حولی لا تفارق مضجعی ***وفيها شفاء للذی أنا كاتم

كأنّی سقيمٌ قد أُصيب فؤاده ***وهنّ حوالیَّ الرقا والتمائم

وقال بعض العرفاء : العزله فی الحقیقه اعتزال الخصال المذمومه ، لا الانقطاع عن الإخوان والتنائی عن الأوطان ، فلهذا قیل للعارف : (کائن بائن) أی کائن مع الخلق ، بائن عنهم بالسرّ ، کما ورد فی الأثر : (کن مع الناس ، ولا تکن معهم) ، أی : کن معهم بالأجساد ، ولا تکن بالأرواح ، فإنّ المؤمن تعلّقت روحه بالملأ الأعلی ، فإنّه یستأنس بالله ویطمئنّ قلبه بذکر الله سبحانه.

والعقلاء إنّما یختارون العزله لفوائدها الجمّه ، ولقلّه إخوان الصفا وخُلّان الوفاء ، وقد علموا أنّ المعاشره مع الأبرار الصالحین والأخیار المتّقین ، أفضل من الوحده والانفراد والعزله ، ومن یترک الأخیار اختیاراً ابتلی بالأشرار اضطراراً ، فإن لم نجد من یتحلّی بالعقل ، ولم یتجمّل بالعلم والفضل والأدب ، لزمنا زوایا البیوت والمدارس ، وتوکّلنا علی الحیّ الذی لا یموت (۱) ، ونعمل بما قاله الإمام الکاظم (علیه السلام) : « قطیعه الجاهل تعدل صلّه العاقل ».

هذا وکبار علمائنا الأعلام فی وصایاهم لأولادهم وتلامذتهم ، کانوا یحثّونهم علی اختیار العزله ، عند فساد الزمان.

ومن وصایا سیّدنا الأُستاذ السیّد النجفی المرعشی (قدس سره) : وبتقلیل المعاشره ، فإنّ المعاشره والدخول فی نوادی الناس فی هذه الأعصار محظور مخطور ، قلّما یری ناد یخلو عن البهت والغیبه فی حقّ المؤمنین والإرزاء بهم ، وتضییع حقوقهم واُخوّتهم.

۱- ۱. آداب النفس : ۴۱ _ ۶۳.

الدرس الخامس

اشاره

من الآداب والأخلاق الطيّبه التی لا بدّ لطالب العلم فی سیرته الأخلاقیّه من مراعاتها ، هی کما یلی ـ عطفاً علی ما سبق ـ :

الأمر السادس : الحرص علی التعلّم

أن یکون حریصاً علی التعلّم مواظباً فی جمیع أوقاته لیلا ونهاراً سفراً وحضراً ، فلا یشتغل بغیر طلب العلم أو ما هو ضروری فی الحیاه من أکل ونوم وما شابه ذلک ، وإنّ من استوی یوماه فهو مغبون ، ومن کان یومه خیرٌ من أمسه فبطن الأرض خیرٌ له من ظهرها ـ کنابه عن الموت ، وأنّ الحیاه حینئذ لا قیمه لها ـ ولا یستطاع العلم براحه الجسد ، وإنّ الجنّه دار النعیم التی فیها ما لم یخطر علی قلب بشر ، إنّما حُفّت بالمکاره والصعاب ، وإنّ من طلب العلی سهر اللیالی.

وما أکثر الخواطر والقصص من حیاه علمائنا الأعلام فی هذا الباب ، کان سیّدنا الأُستاذ آیه الله العظمی السیّد الگلپایگانی یقول : وکم من لیله غرقت فی

المطالعه فلم أنتبه على نفسى إلاّ بصوت مؤذّن صلاه الصبح. وكم من مرّه وضعت زوجه آيه الله العظمى السيّد البروجردى (قدس سره) العشاء من أوّل الليل فى غرفه زوجها ، فتأتى صباحاً وترى الأكل لا يزال على ما كان ، وكان السيّد مشغولا بالمطالعه حتّى الصباح.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« من لم يصبر على ذلّ التعلّم ساعه بقى فى ذلّ الجهل أبداً ».

« ما من متعلّم يختلف إلى باب العالم إلاّ كتب الله له بكلّ قدم عباده سنه ».

قال أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) :

« لا يستحينّ أحد إذا لم يعلم الشىء أن يتعلّمه ».

« تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه حسنه ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه ، وهو أنيس فى الوحشه ، وصاحب فى الوحده ، وسلاح على الأعداء ، وزين الأخلاّء ، يرفع الله به أقواماً يجعلهم فى الخير أئمّه يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم ».

« فى صفه المتّقين : من علامه أحدهم أنّك ترى له قوّه فى دين وحزماً فى لين ، وإيماناً فى يقين ، وحرصاً فى علم ، وعلماً فى حلم ».

قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« كان فيما وعظ لقمان ابنه ، أنّه قال له : يا بنى ، اجعل فى أيّامك ولياليك نصيباً لك فى طلب العلم ، فإنّك لن تجد تضييعاً مثل تركه ».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « العلم رأس الخير كلّه ، والجهل رأس الشرّ كلّه ».

« العلم حياه الإسلام وعماد الدين » ، أقرب الناس إلى درجه النبوّه أهل العلم والجهاد ، مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء ...

الأمر السابع : علوّ الهمّه

أن يكون عالى الهمّه ، بعيد النظر ، كما قال أمير المؤمنين لولده محمّد بن الحنفيّه فى ساحه الوغى : « اُنظر إلى أقصى القوم » ، وإنّ من ينظر إلى قمّه الجبل فإنّه يهون عليه صعوده ، ولا يتهيّب من وعره وصعوبه طريقه ، فلا يرضى باليسير مع إمكان الكثير ، ولا يؤجّل عمل اليوم إلى غد ، ولا عمل الساعه إلى بعدها ، فإنّ فى التأخير آفات ، وخير البرّ عاجله ، وإنّ للساعه الثانيه عملها ، فلا بدّ من السير الدؤوب المتواصل ، ولا يخافه قول حذار ، ولا تعيقه فى السير عوائق ، بل يتجاوز العقبات والموانع والقواطع بحزم وعزم وصبر ومثابره ، والوقت سيف فإن قطعته وإلّا قطعك ، والليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

واعلم أنّ أنفس شىء وأعظم شىء فى الحياه هو العلم ، فإنّ الإمام السجّاد (عليه السلام) يقول : « لو علم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج » ، فمثل هذا الأمر الخطير يحتاج إلى أعلى مراتب الهمّه وأقوى درجات الإراده ، وغايه الشوق ونهايه العشق ، ولِمَ لا يكون كذلك وسبحانه وتعالى يقول :

(هَلْ يَسْتَوى الَّذينَ يَعْلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمونَ إنَّما يَتَذَكَّرُ اُولو الأل_ْبابِ) (۱).

(يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَالَّذينَ اُوتوا العِل_ْمَ دَرَجات) (۲).

۱- ۱. الزمر : ۹.

۲- ۲. المجادله : ۱۱.

الأمر الثامن : رعايه ترتّب العلوم

أن يأخذ فى ترتيب التعلّم بما هو اولى ، ويبدأ فى مقام التزاحم فى الامتثال بالأهمّ فالأهمّ ، ولا يشتغل فى النتائج قبل المقدّمات ، كما لا يطفر من كتاب إلى آخر قبل إتمامه ودراسته. فليحذر من التنقّل من كتاب إلى آخر ومن فنّ إلى غيره من غير موجب ، فإنّ ذلك علامه الضجر وعدم الفلاح ، ومن ضجر وكسل فإنّه يفوت منه الحقّ ، ويقصّر فيه. كما لا يختلف فى كلّ برهه قصيره وأيام معدوده عند عالم وآخر ، وبين ليله وضحاها ، تجده قد ختم الكتب العقليه والفلسفيه ، ويدّعى الربوبيه فى علمه ، وينتظر من الناس أن يقدّسونه ويلقّبونه بآيه الله وإنّه العظمى _ كما ابتلينا فى عصرنا وحوزتنا بمثل هذه النماذج الضعيفه فى الشخصيه الفارغه من المحتوى والأخلاق الإسلاميه ، تراهم سرعان ما يتلهّفون إلى جمع المرده وفتح المكاتب والبرّانيات ، وطبع الرسائل العمليه أو دونها ، ويحبّون جمع المال حبّاً جمّاً ، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً _ بل لطالب العلم الذى يفكّر فى تهذيب نفسه أن يتريّث ويتمهّل ويسعى بكلّ طاقته أن يصلح نفسه أوّلا ، ولو كان ذلك يستلزم سنين بل (وعلى حدّ تعبير الإمام الخمينى (قدس سره) فى كتابه « الجهاد الأكبر ») لو كان ذلك إلى خمسين سنه ، فلا يتقبّل المسؤوليات الاجتماعيه قبل أن يكمل نفسه ، ولماذا هذه العجله؟! فإنّه إن كنت من أهل الرئاسه الصالحه التى تنفعك فى دينك ، فإنّها تأتيك ذليلهً حقيره ، وحينئذ لا يُبال لو خرجت منه ، كما لا يرتكب المحرّمات من أجل حدوثها وبقائها ، فإنّه :

كلّ من أخذ البلاد بغير حرب ***يهون عليه تسليم البلادِ

وأمّا من همّ بالرئاسه فهو ملعون ، بعيد عن رحمه الله سبحانه ، كما ورد فی الروايات الشريفه ، وهلك من يخفق خلفه النعال.

وهناك من المعمّمين من علماء السوء من يطيل لحيته ويزيد فی قطر عمامته ، ويسطّر الألقاب قبل اسمه ، ليغرّ بها عوامّ الناس ، وليكسب المال منهم ، ويحضی باحترامهم ، وتقبيل يده الأثيمه. وقد غفل أنّ الزبد يذهب جفاء ، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث فی الأرض.

واعلم أنّ العمر لا يتّسع لجميع العلوم ، فالحزم أن يأخذ من كلّ علم أحسنه ، ويصرف جمام قوّته فی العلم الذی هو أشرف العلوم ، وهو العلم النافع فی الآخره ، ممّا يوجب كمال النفس وتزكيتها بالأخلاق الفاضله والصفات الحميده والأعمال الصالحه والأفعال الطيّبه ، ومرجعه إلی معرفه الكتاب الكريم ، كتاب الله الحكيم ، والسنّه الشريفه المتمثّله بقول المعصوم (عليه السلام) وفعله وتقريره ، وعلم مكارم الأخلاق وما ناسبه (۱).

واعلم أنّ لكلّ علم من هذه العلوم مرتبه من التعلّم ، لا بدّ لطالبه من مراعاتها لئلّا يضيع سعيه أو يعسر عليه طلبه ، وليصل إلی بُغيته بسرعه ، وكم قد رأينا طلّاباً للعلم سنين كثيره ، لم يحصلوا منه إلّا علی القليل ، وآخرون حصّلوا منه كثيراً فی مدّه قليله ، بسبب مراعاه ترتيبه ونظامه.

ثمّ الغرض الأوفی من هذه العلوم ليس مجرّد العلم بها ، بل المقصود موافقه

۱- ۱. هذا ما قاله الشهيد الثانی فی منيته من آداب المتعلّم فی نفسه ، ثمّ يذكر آدابه مع شيخه أربعين أدباً ، ثمّ آدابه فی درسه وقراءته ثلاثون أدباً ، فراجع.

مراد الله تعالى منها والتقرّب إليه بها ، إمّا بالآليه ، أو بالعلم ، أو بالعمل ، أو بإقامه نظام الوجود ، أو إرشاد عباده إلى ما يراد منهم ، أو غير ذلك ، من المطالب الستيّه الدينيه والدنيويه ، وبسبب ذلك يختلف ترتيب التعلّم وتقدمه بعض العلم على بعض من حيث المدارسه والمطالعه ، ومن حيث الكمّ والكيف ، كما يذكر ذلك بالتفصيل الشهيد الثانى (قدس سره) فى المطلب الثالث فى ترتيب العلوم بالنظر إلى المتعلّم ، فراجع (۱).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« أكثر الناس قيمةً أكثرهم علماً ، وأقلّ الناس قيمةً أقلّهم علماً ».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) :

« يا مؤمن ، إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك ، فاجتهد فى تعلّمهما ، فما يزيد من علمك وأدبك يزيد فى ثمنك وقدرك ، فإنّ بالعلم تهتدى إلى ربّك ، وبالأدب تحسن خدمه ربّك ، بأدب الخدمه يستوجب العبد ولايته وقربه ».

عن زيد الزرّاد ، عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : يا بنى إعرف منازل الشيعه على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإنّ المعرفه هى الدرايه للروايه ، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان ، إنّى نظرت فى كتاب لعلىّ (عليه السلام) فوجدت فى الكتاب : أنّ قيمه كلّ امرئ وقدره معرفته.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا ، فإنّا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون محدّثاً ، فقيل له : أوَ يكون المؤمن محدّثاً؟ قال : يكون مفهّماً ، والمفهّم محدَّث.

عن المسيح (عليه السلام) : من عَلِمَ وعمل وعَلَّم عُدّ فى الملكوت الأعظم عظيماً.

۱- ۱. منيه المريد : ۳۸۷ ، تحقيق رضا المختارى.

الدرس السادس

اشاره

لقد ذكرنا فی الفصول الماضیه الاُمور الثمانیه التی ذکرها الشهید الثانی فی منیته حول ما یجب علی طالب العلم مراعاته ، وأمّا الاُمور الاُخری التی لا بدّ من رعایتها أیضاً ، فهی کما یلی عطفاً علی ما سبق :

الأمر التاسع : اختیار المعلّم الصالح

ذکره الشهید باعتبار الآداب التی یلزم المتعلّم أن یراعیها مع اُستاذه وشیخه ، إلّا أنّی أذکره ضمن الآداب العامّه لطالب الحوزه الذی یفکّر فی سیرته الأخلاقیه وإصلاحها وهو : أن ینظر إلی المعلّم الذی یأخذ علمه منه ، فإنّ من استمع إلی ناطق فقد عبده _ کما ورد فی الخبر _ فإن تکلّم عن الله فقد عبد الله سبحانه ، وإن تکلّم عن الشیطان أو هوی النفس ، فإنّه قد عبد الشیطان واتّخذ إلهه هواه ، وقد ورد فی الخبر الشریف : إذا رأیتَ العالم مقبلاً علی دنیاه فاتّهمه فی دینه ، أی لا یحقّ لکم أن تأخذوا دینکم وسلوککم ممّن کان مقبلا علی دنیاه ، فکیف المتلبّس بها

والغاطّ فی بحرها.

فیقول الشهید الثانی (قدس سره) : أهمّ الاُمور التی یجب علی المتعلّم أن یراعیها مع شیخه ، أن یقدّم النظر فیمن یأخذ عنه العلم ، ویکتسب حسن الأخلاق والآداب منه ، فإنّ تربیه الشیخ لتلمیذه ونسبه إخراجه لأخلاقه الذمیمه ، وجعل مکانها خلقاً حسناً ، کفعل الفلّاح الذی یقلع الشوک من الأرض ، ویخرج منها النباتات الخبیثه من بین الزرع ، لیحسن نباته ویکمل ریعه.

ولیس کلّ شیخ یتّصف بهذا الوصف ، بل ما أقلّ ذلک ، فإنّه فی الحقیقه نائب عن الرسول (صلی الله علیه وآله) ، ولیس کلّ عالم یصلح للنیابه ، فلیختر من کملت أهلیّته ، وظهرت دیانته ، تحقّقت معرفته ، وعرفت عفّته ، واشتهرت صیانته وسیادته ، وظهرت مروّته وحسن تعلیمه ، وجاد تفهیمه.

ولا یغترّ الطالب بمن زاد علمه ، مع نقص فی ورعه أو دینه أو خُلقه ، فإنّ ضرره فی خُلق المتعلّم ودینه أصعب من الجهل الذی یطلب زواله ، وأشدّ ضرراً. وعن جماعه من السلف : هذا العلم دین فانظروا عمّن تأخذون دینکم.

وفی ذیل الآیه الشریفه :

(فَلْیَنْظُرِ الإنْسانُ إلی طَعامِهِ) (۱).

قال الإمام الباقر (علیه السلام) : أی فلینظر إلی علمه ممّن یأخذ.

ثمّ قال الشهید الثانی : ولیحترز ممّن أخذ علمه من بطون الکتب من غیر قراءه علی الشیوخ ـ کما نجد فی حوزتنا بعض الطلّاب من دون أن یحضر دروس الأساتذه یتصدّی للتدریس ، لا سیّما درس الخارج علی أنّه من النوابغ ولا بدّ أن

۱- ۱. عبس : ۲۴.

يكسر الأعراف والسنن التى كان عليها السلف الصالح فى الحوزه العلميه المباركه ، وهناك من يكتفى بأشرطه التسجيل ـ قال بعض السلف : من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام. وقال آخر : إيّاكم والصحفيّون الذين يأخذون علمهم من الصحف ، فإنّ ما يفسدون أكثر ممّـا يصلحون. وقد ورد فى الخبر الشريف : « هلك من لم يكن له حكيمٌ يرشده » ، فكلّ طالب يحتاج فى مقام التعلّم إلى اُستاذ ومعلّم ، لاـ سيّما فى علم الأخلاق ، فإنّه بأمسّ الحاجه إلى مربٍّ خلوق ، وحكيم مرشد ، واُستاذ قدير ، صاحب الأنفاس القدسيّه ، التى أتعب نفسه فى تهذيبها ومجاهدتها.

ثمّ قال الشهيد الثانى : وليحذر من التقييد بالمشهورين ـ كما نجد هذه الظاهره فى الحوزه فى العصر الراهن ، أنّه يحضر الطالب عند من كان مشهوراً ويتقيّد بذلك ـ وترك الأخذ بالخاملين ، فإنّ ذلك من الكِبر على العلم ، وهو عين الحماقه ، لأنّ العلم ضالّه المؤمن ، يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها ، ويتقلّد المنّه ممّن ساقها إليها ، وربّما يكون الخامل ممّن تُرجى بركته ، فيكون النفع به أعمّ والتحصيل من جهته أتمّ.

وإذا سبرت أحوال السلف والخَلَف لم تجد النفع غالباً ، إلّا إذا كان للشيخ من التقوى والنصح والشفقه للطلبه نصيب وآخر ، وكذلك إذا اعتبرت المصنّفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى أوفر ، والفلاح بالاشتغال به أكثر ، وبالعكس حال العالم المجرّد من التقوى والعمل الصالح ، وإنّما عنده من العلم بالمصطلحات يتبختر بها ، حتّى كاد أن يدّعى الربوبيّه ، لما يحمل من نفس فرعونيه ـ والعياذ بالله ، ونجّانا الله من شرور أنفسنا الأمّاره بالسوء ـ.

« فينبغى لطالب العلم أن يختار الاُستاذ الأعلم والأورع والأسنّ ، وينبغى أن يشاور فى طلب العلم ، أى علم يراد فى المشى إلى تحصيله ، فإذا دخل المتعلّم إلى بلد

يريـد أن يتعلّم فيه ، فليكن أن لاـ يعجّل فى الاختلاف مع العلماء ، وأن يصبر شـهرين ، حتّى كان اختياره للاُسـتاذ ، ولم يؤدّ إلى تركه والرجوع إلى آخر ، فلا يبارك له ، فينبغى أن يثبت ويصبر على اُسـتاذ وكتاب حتّى لا يتركه أبتر ، وعلى فنّ لا يشـتغل بفنٍّ آخر ، قبـل أن يصـير ماهراً فيه ، وعلى بلـد حتّى لا ينقل إلى بلـد آخر من غير ضـروره ، فإنّ ذلك كلّه يفرق الاُمور المقرّبه إلى التحصيل ، ويشغل القلب ويضيّع الأوقات » (۱).

كمـا على طـالب العلم أن يختـار شـريكاً فى الـدرس والمبـاحثه ، فيختار المجـدّ والأورع وصاحب الطبع المسـتقيم ، ويحترز عن الكسلان والمعطّل ومكثار الكلام والمفسد والفتّان ، قيل : يعرف المرء بخليله.

فاعتبروا الأرض بأسمائها ***واعتبر الصاحب بالصاحب

ثمّ العمـده لطـالب العلم أن يبحث عن اُسـتاذ فى الأخلاـق ، فـإنّ العلم لاـ بـدّ من مقـارنته مع التربيه والتزكيه ، بل لأهميّه التزكيه قدّمت فى الآيه الشريفه : (يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَهَ) على التعليم.

وقال الإمام السجّاد (عليه السلام) : « هلك من ليس له حكيم يرشده » (۲).

فزخرف الحيـاه وزبرجهـا ، ووسـاوس الشـياطين وأعوانهم ، وحـديث النفس الأمّاره بالسوء ، وكثره الأعـداء فى الظاهر والباطن ، ظلمات بعضـها فوق بعض ، ومن الصـعب أن ينجو الإنسان بنفسه من هذه المغريات والمهلكات ، بل لا بدّ له من خضر فى وادى الظلمات ، فصناعه الإنسان وتربيته من دون اُستاذ وبشكل تلقائى

۱- ۱. آداب المتعلّمين ـ جامع المقدّمات ۲ : ۵۱.

۲- ۲. كشف الغمّه ۲ : ۳۲۵.

كأنّه يعدّ من المستحيلات ، ولا يمكن لأحد أن يدّعى الوصول وتهذيب النفس وصيقله القلب وتطهير الذات من الرذائل من دون مربٍّ ومعلّم ، فعلى طالب العلم فى بدايه مسيرته أن يبحث عن (اُستاذ الأخلاق) فيختار إنساناً متّقياً كاملا يتولّى تربيته منذ الأيّام الاُولى عند دخوله الحوزه العلميّه ، فهذا من الهمّ الأوّل لطلّاب العلوم الدينيّه.

ويقول الإمام الخمينى (قدس سره) : اختاروا أساتذه أخلاق لكم ، اعقدوا مجالس الوعظ والخطابه والنصيحه ، التهذيب تلقائياً (بدون اُستاذ) غير ممكن ، إنّ الحوزات محكومه بالفناء إذا خلت من مجالس الوعظ والنصيحه. كيف يعقل أن يكون علم الفقه والاُصول بحاجه إلى مدرّس ، بحاجه إلى درس وبحث؟! كيف يعقل أن يكون كلّ علم وصنعه فى الدنيا بحاجه إلى اُستاذ ولا تكون العلوم المعنويّه والأخلاقيّه بحاجه إلى تعلّم وتعليم ، ثمّ يحصل عليها الإنسان تلقائيّاً (أوتوماتيكيّاً) ويحصلها بدون معلّم ، لقد سمعت كراراً أنّ سيّداً جليلا كان معلّم الأخلاق للشيخ الأنصارى _ وهو السيّد على الشوشترى اُستاذ العرفان فى القرن الأخير _ (۱).

يقول العارف الجليل آيه الله السيّد على القاضى اُستاذ العلاّمه الطباطبائى فى العرفان والسير والسلوك : أهمّ ما يلزم فى هذا الطريق الاُستاذ الخبير البصير الخارج عن أسر الهوى ، الواصل إلى المعرفه الإلهيّه ، والإنسان الكامل الذى سافر _ بالإضافه إلى السير إلى الله _ الأسفار الثلاثه الاُخرى ، شرط أن يكون تجوّله وتفرّجه فى عالم الخلق (بالحقّ) إذا أمضى الإنسان الذى يطلب طريق الله وسلوك طريق الله ، نصف عمره يبحث عن اُستاذ هذا الطريق ، ويفتّش عنه فإنّه يكون

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۳۸.

مصيباً ، لأنّ الأمر يستحقّ هذا الاهتمام ، من وصل إلى الاُستاذ ، وحصل عليه ، فقد قطع نصف الطريق.

أجل : لا بدّ من الاُستاذ فى السير والسلوك ، وينبغى الاهتمام به جيّداً فى اختيار الاُستاذ ، فيلزم على الطالب أن يكون دقيقاً جدّاً ومحتاطاً ، فلا يسلّم نفسه ودينه لأىّ مدّع ، حتّى يطمئنّ إلى صحّه دعواه.

إسمع إلى ما يقوله العلاّمه السيّد بحر العلوم فى هذا المجال : وأمّا الاُستاذ العامّ ـ وهو غير المعصوم (عليه السلام) ـ فلا يعرف إلاّ بصحبته فى السرّ والعلن ، ومعاشرته الباطنيّه ، وملاحظه اكتمال إيمان جوارحه وإيمان نفسه ، والحذر الحذر من أن يقع الانخداع بظهور خوارق العادات منه وبيانه لدقائق النكات ، وإخباره بالخفايا الآفاقيّه ، وخبايا الأنفس ، تبدّل بعض حالاتك نتيجه الاقتداء به ، لأنّ الإشراف على الخواطر والاطّلاع على الدقائق والعبور على الماء والنار ، وطىّ الأرض والهواء ، والإخبار بما يأتى وأمثال ذلك ، إنّما يحصل فى مرتبه المكاشفه الروحيّه ، وبين هذه المرحله والهدف المطلوب مسافه لا تتناهى. وكثير من المنازل والمراحل ، وما أكثر السالكين الذين يجتازون هذه المرحله ، ثمّ يدخلون بعدها فى وادى اللصوص والأبالسه ، ومن هنا يستطيع كثير من الكفّار أن يأتوا بكثير من الاُمور الغريبه (۱).

ومن أراد الاُستاذ فى الأخلاق ، لا سيّما من يدخل الحوزه وهو لا يعرف أحداً ، فعليه أن يدعو الله كثيراً فى ذلك ، ويتوسّل بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وبالأئمه الأطهار (عليهم السلام) وبفاطمه الزهراء (عليها السلام) ، وحتّى بأولاد الأئمه وبأرواح علمائنا الكبار

۱- ۱. المصدر : ۴۰.

الماضين قدّس الله أسرارهم الزكيّه ، فإنّ ذلك يعدّ من مفاتيح هذه الأبواب ، ومن المعدّات للوصول إلى الحلقات التربويّه الروحيّه لهؤلاء الأساتذه الكاملين والاستفاده منهم ، فمن كان متعطّشاً واقعاً من صميم القلب فإنّ الله تعالى يأخذ بيده ، ويضعه فى يد إنسان آخر.

أعرف شخصاً من أهل العلم فى بدايه سيره السلوكى ، كان يدعو الله بالبكاء والتضرّع ويطلب منه اُستاذاً فى الأخلاق والعرفان ، وفى يوم من الأيام كان مستلقياً وبين السِّنَه والنوم ، وإذا به يسمع صرير الباب ، ويسمع هاتفاً يقول : هذا اُستاذ أخلاقك ، وإذا بشخص يدخل الغرفه ، فيقوم لاحترامه وتقديره ، فلم يرَ أحداً ، ثمّ التقى به وبقى عنده سنين يأخذ منه المعارف ، ثمّ تعرّف على شيخه واُستاذه ، فحضر عند ذلك خمس سنوات أيضاً.

وهذا العلاّمه الطباطبائى (قدس سره) يحدّثنا عن حياته قائلا : عندما كنت فى طريقى من تبريز إلى النجف الأشرف للدراسه ، لم أكن أعرف شيئاً عن النجف ، ولم أكن أعرف أين أذهب ، وماذا أفعل؟ كنت فى الطريق اُفكّر دائماً أىّ درس أدرس؟ وعلى مَن أتتلمذ؟ وأىّ طريقه أختار ويكون فيها رضا الله تعالى؟ عندما وصلت إلى النجف الأشرف وحين الدخول توجّهت إلى حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وقلت : سيّدى ، تشرّفت بمحضرك لمواصله الدراسه ، ولكنّى لا أعرف أىّ نهج أسلك ، وأىّ برنامج أختار ، اُريد منك أن ترشدنى إلى ما فيه صلاحى. استأجرت منزلا وسكنته ، وفى الأيام الاُولى ، وقبل أن أبدأ أىّ درس ، كنت جالساً فى البيت اُفكّر فى مستقبلى ، فجأةً طرق الباب ، فتحت الباب ، فرأيت أحد العلماء الكبار ، سلّم ودخل ، جلس فى الغرفه ورحّب بى ، كانت له طلعه جذّابه ونورانيّه جدّاً ، حادثنى بكامل الصفاء والصميميّه والاُنس ، وخلال أحاديثه قرأ لى أشعاراً ، وقال لى ما مضمونه :

الشخص الذى يأتى إلى النجف بهدف الدراسه من الجيّد أن يفكّر بالإضافه إلى الدراسه بتهذيب نفسه وتكميلها ، وأن لا يغفل عن نفسه ، قال هذا ومضى ...

وفى ذلك المجلس أسرتنى أخلاقه وتصرّفاته ، وقد أثّرت فى قلبى كلماته القصار والأخّاذه إلى حدّ أنّى عرفت منها برنامجى المستقبلى ، وطيله الفتره التى كنت فيها فى النجف لم أترك محضر ذلك العالم التقى ، اشتركت فى درسه الأخلاقى واستفدت من سماحته ، ذلك العالم الكبير هو المرحوم آيه الله الحاجّ الميرزا على القاضى رضوان الله عليه (۱).

فيا طالب العلم ، لا تيأس من روح الله واطلب الأُستاذ منه ، وفّقك الله للعلم النافع والعمل الصالح.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« العلم دين ، الصلاه دين ، فانظروا عمّن تأخذون هذا العلم ».

قال الإمام الحسن (عليه السلام) :

« عجبت لمن يتفكّر فى مأكوله كيف لا يتفكّر فى معقوله؟! فيجنّب بطنه ما يؤذيه ويودع ما يرديه ».

قال الإمام الكاظم (عليه السلام) :

« لا علم إلّا من عالم ربّانى ، ومعرفه العالم بالعقل ».

من وصيّه ذى القرنين :

« لا تتعلّم العلم ممّن لا ينتفع به ، فإنّ من لم ينفعه علمه لا ينفعك » (۲).

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۸۲.

۲- ۲. ميزان الحكمه ۶ : ۴۸۴.

الأمر العاشر : تعظيم المعلّم والتواضع له

آيه الحقّ الشهيد الثانى أعلى الله مقامه الشريف فى منيته يذكر آداباً يختصّ بها المعلّم ، وإنّها تنقسم إلى ثلاثه أقسام : آدابه فى نفسه ، وآدابه مع طلبته ، وآدابه فى مجلس درسه.

فمن الأوّل ـ أى آدابه فى نفسه ـ فاُمور :

١-أن لا ينتصب للتدريس حتّى تكمل أهليّته ويظهر استحقاقه لذلك.

٢-أن لا يذلّ العلم فيبذله لغير أهله.

٣-أن يكون عاملا بعلمه.

۴-زياده حسن الخلق والتواضع وتمام الرفق وبذل الوسع فى تكميل النفس.

۵-أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النيّه.

۶-بذل العلم عند وجود المستحقّ وعدم البخل به.

٧-أن يحترز من مخالفه أفعاله لأقواله.

٨-إظهار الحقّ بحسب الطاقه من غير مجامله لأحد من خلق الله تعالى.

ومن الثانى ـ أى آدابه مع طلبته ـ فاُمور :

١-أن يؤدّبهم على التدريج بالآداب السنيّه والشيم المرضيه ورياضه النفس بالآداب الدينيّه والدقائق الخفيّه.

٢-أن يرغّبهم فى العلم ويذكّرهم بفضائله وفضائل العلماء وأنّهم ورثه الأنبياء (عليهم السلام).

٣-أن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشرّ.

٤-أن يزجره عن سوء الأخلاق وارتكاب المحرّمات والمكروهات أو ما يؤدّى إلى فساد حال أو ترك اشتغال أو إساءه أدب ، أو كثره كلام من غير فائده ، أو معاشره من لا تليق معاشرته.

٥-أن لا يتعاظم على المتعلّمين ، بل يلين لهم ويتواضع.

٦-إذا غاب أحد منهم أو من ملازمى الحلقه زائداً على العاده يسأل عنه وعن أحواله.

٧-أن يستعلم أسماء طلبته وحاضرى مجلسه وأنسابهم وكناهم ومواطنهم وأحوالهم.

٨-أن يكون سمحاً ببذل ما حصله من العلم.

٩-صدّ المتعلّم أن يشتغل بغير الواجب قبله.

١٠-أن يكون حريصاً على تعليمهم ، باذلا وسعه فى تفهيمهم وتقريب الفائده إلى أذهانهم.

١١-أن يذكر فى تضاعيف الكلام ما يناسبه من قواعد الفنّ.

١٢-أن يحرّضهم على الاشتغال فى كلّ وقت ، ويطالبهم فى أوقات بإعاده محفوظاتهم.

١٣-أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل الدقيقه والنكت الغريبه ، يختبر بذلك أفهامهم ويظهر فضل الفاضل.

١٤-أن ينصفهم فى البحث.

١٥-أن لا يظهر للطلبه تفضيل بعضهم على بعض عنده فى مودّه أو اعتناء مع تساويهم فى الصفات.

١٦-أن يقدّم فى تعليمهم إذا ازدحموا الأسبق فالأسبق.

١٧-إذا سلك الطالب فى التحصيل فوق ما يقتضيه حاله ، أوصاه بالرفق بنفسه.

١٨-إذا كان متكفّلا ببعض العلوم لا غير ، لا ينبغى له أن يقبّح فى نفس الطالب العلوم التى وراءه.

١٩-أن لا يتأذّى ممّن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره أيضاً لمصلحه راجعه إلى المتعلّم.

٢٠-إذا تكمّل الطالب وتأهّل للاستقلال بالتعليم واستغنى عن التعلّم فينبغى أن يقوم المعلّم بنظام أمره فى ذلك ، ويمدحه فى المحافل ويأمر الناس بالاشتغال عليه والأخذ عنه.

ومن الثالث _ أى آدابه فى درسه _ فأُمور :

١-أن لا يخرج إلى الدرس إلّا كامل الأُهبه ، وما يوجب له الوقار والهيبه فى اللباس والهيئه والنظافه فى الثوب والبدن.

٢-أن يدعو عند خروجه مريداً للدرس.

٣-أن يسلّم على من حضر إذا وصل إلى المجلس ، ويصلّى ركعتين تحيّه المسجد إذا كان فى المسجد ، وإلّا نوى بهما الشكر لله تعالى.

٤-أن يجلس بسكينه ووقار وتواضع وخشوع وإطراق.

٥-قيل : يجلس مستقبل القبله.

٦-أن ينوى قبل شروعه ، بل حين خروجه من منزله تعليم العلم ونشره.

٧-أن يستقرّ على سمت واحد مع الإمكان ، ويتّقى كثره المزاح والضحك.

٨-أن يجلس فى موضع يبرز وجهه فيه لجميع الحاضرين.

٩-أن يحسن خُلقه مع جلسائه زياده على غيرهم.

١٠-أن يقدّم على الشروع فى البحث والتدريس تلاوه ما تيسّر من القرآن الكريم تيمّناً وتبرّكاً.

١١-أن يتحرّى تفهيم الدرس بأيسر الطرق ، وأعذب ما يمكنه من الألفاظ.

١٢-إذا تعدّدت الدروس ، فليقدّم منها الأشرف فالأشرف ، والأهمّ فالأهمّ.

١٣-أن لا يطوّل مجلسه تطويلا يملّهم ، أو يمنعهم فهم الدرس أو ضبطه.

١٤-أن لا يشتغل بالدرس وبه ما يزعجه ويشوّش فكره من مرض أو جوع أو مدافعه حدث أو ما شابه ذلك.

١٥-أن لا يكون فى مجلسه ما يؤذى الحاضرين من دخان أو غبار أو صوت مزعج وغير ذلك.

١٦-مراعاه مصلحه الجماعه فى تقديم وقت الحضور وتأخيره فى النهار.

١٧-أن لا يرفع صوته زياده على الحاجه ، ولا يخفضه خفضاً يمنع بعضهم من كمال فهمه.

١٨-أن يصون مجلسه عن اللغط.

١٩-أن يزجر من تعدّى فى بحثه ، أو ظهر منه لَدَد أو سوء أدب ، أو ترك إنصاف بعد ظهور الحقّ.

٢٠-أن يلازم الإرفاق بهم فى خطابهم وسماع سؤالهم.

٢١-أن يتودّد لغريب حضر عنده وينبسط له لينشرح صدره.

٢٢-إذا أقبل بعض الفضلاء وقد شرع فى مسأله أمسك عنها حتّى يجلس ، وأعادها.

٢٣-إذا سُئل عن شيء لا يعرفه ، فليقل : لا أعرفه ، فإنّ لا أدرى نصف

العلم ، حتّى يراجع ويرى المسأله.

۲۴-إنّه إذا اتّفق له تقرير أو جواب توهّمه صواباً ، يبادر إلى التنبيه على فساده وتبيّن خطأه قبل تفرّق الحاضرين ، ولا يمنعه الحياء أو غيره من المبادره.

۲۵-التنبيه عند فراغ الدرس أو إرادته بما يدلّ عليه إن لم يعرفه القارئ.

۲۶-أن يختم الدرس بذكر شيء من الرقائق والحكم والمواعظ وتطهير الباطن ، ليتفرّقوا على الخشوع والخضوع والإخلاص.

۲۷-أن يختم المجلس بالدعاء كما بدأ به.

۲۸-أن يمكث قليلا بعد قيام الجماعه ، فإنّ فيه فوائد وآداباً له ولهم.

۲۹-أن ينصب لهم نقيباً فطناً كيّساً يرتّب الحاضرين.

۳۰-أن يقول إذا قام من مجلسه : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلّا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، سبحان ربّك ربّ العزّه عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين.

هذه خلاصه ما ذكره الشهيد الثانى عليه الرحمه بالنسبه إلى آداب المعلّم (۱) ، إنّما ذكرتها فى هذا الفصل المنعقد لبيان آداب المتعلّم مع اُستاذه وتعظيمه والتواضع له استطراداً ولتعميم الفائده.

وأمّا آداب الطالب والتلميذ مع شيخه واُستاذه ، وما يجب عليه من تعظيم حرمته ، فقد ورد ذلك فى الآيات والروايات الكثيره ، منها :

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : إنّ من حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال ، ولا تأخذ بثوبه ، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم

۱- ۱. منيه المريد : ۱۷۹ _ ۲۲۱.

علیهم جمیعاً وخصّه بالتحیّه دونهم ، واجلس بین یدیه ، ولا تجلس خلفه ، ولا تغمز بعینک ، ولا تشر بیدک ، ولا تکثر من القول : قال فلان وقال فلان ، خلافاً لقوله ، ولا تضجر لطول صحبته ، وإنّما مثل العالم مثل النخله تنتظرها حتّی یسقط علیک منها شیء ، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازی فی سبیل الله.

وفی حدیث الحقوق الطویل المرویّ عن سیّد الساجدین الإمام زین العابدین علی بن الحسین (علیهما السلام) : « وحقّ سائسک بالعلم التعظیم له والتوقیر لمجلسه ، وحسن الاستماع إلیه والإقبال علیه ، وألّا ترفع علیه صوتک ، ولا تجیب أحداً یسأله عن شیء حتّی یکون هو الذی یجیب ، ولا تحدّث فی مجلسه أحداً ، ولا تغتاب عنده أحداً ، وأن تدفع عنه إذا ذُکر عندک بسوء ، وأن تستر عیوبه وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدوّاً ولا تعادی له ولیّاً ، فإذا فعلت ذلک شهدت لک ملائکه الله جلّ وعزّ بأ نّک قصدته ، وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

وهذا الشهید الثانی علیه الرحمه یذکر وجوهاً لطیفه وآداباً ظریفه تستفاد من ثلاث آیات فی قصّه موسی والخضر (علیهما السلام) فی قوله تعالی :

(هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلی أنْ تُعَلِّمَنی مَمَّـا عُلِّمْتَ رُشْداً) (۱).

وقوله عزّوجلّ :

(سَتَجِدُنی إنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أعْصی لَکَ أمْراً) (۲).

وقوله تعالی :

(إنَّکَ لَنْ تَسْتَطیعَ مَعِیَ صَبْراً) (۳) ، فراجع.

۱- ۱. الکهف : ۶۶.

۲- ۲. الکهف : ۶۹.

۳- ۳. الکهف : ۶۷.

ثمّ يقول : إذا تقرّر ذلك فلنعد إلى ذكر الآداب المختصّه بالمتعلّم مع شيخه ، حسب ما قرّره العلماء ، تفريعاً على المنصوص منها ، وهى اُمور :

١-أن يقدّم النظر فيمن يأخذ عنه العلم ، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه ، وقد مرّ بيان ذلك ، بأنّ الطالب لا بدّ أن يختار المعلّم الصالح ، العامل بعلمه.

٢-أن يعتقد فى شيخه أنّه الأب الحقيقى والوالد الروحانى ، وهو أعظم من الوالد الجسمانى. وقد ورد فى الخبر الشريف : الآباء ثلاثه : أب ولّدك ، وأب زوّجك ، وأب علّمك ، وهو أفضلهم ، فيؤدّى حقّ الأُبوّه ولا يكون عاقّاً لوالده ، وقد سئل الاسكندر : ما بالك توقّر معلّمك أكثر من والدك؟ فقال : لأنّ المعلّم سبب لحياتى الباقيه ، ووالدى سبب لحياتى الفانيه.

وما أروع ما ينقل عن الشريف الرضى ، أنّه كان أبىّ النفس لم يقبل الهدايا ، فوهبه اُستاذه داراً ، فأبى قائلا : لا أقبل الهديّه حتّى من أبى. فقال له اُستاذه : ولكنّى اُستاذك وأباك الروحانى ، فقبل منه الهديّه.

وحكى عن السيّد موسى الصدر فى أيّام زعامته ، دخل قم المقدّسه ، وفى طريقه رأى شيخاً كبير السنّ فانحنى ليقبّل ركبتيه ، فتعجّب من كان معه وسألوه عن سبب ذلك؟ فقال : لقد قرأت ألفيّه ابن مالك عند هذا الشيخ ، فهو اُستاذى ، ولا بدّ لى من تقديره واحترامه.

فاحترام الأساتذه والعلماء وتوقيرهم يعنى توقير الله سبحانه ، وأنّه من أسباب التوفيق وهو أمر واجب على كلّ مسلم ، لا سيّما طلّاب العلوم الدينيه.

فعدم احترامهم ذنب لا يغتفر وسبب للشقاء والهلاك ، وقصر العمر والحرمان من تحصيل العلم والعمل الصالح.

فلا ترد على أهل العلم إلاّ عن علم واطّلاع ورجوع إلى المصادر ، فتعظيم علماء الدين وأهل التقوى وأصحاب الورع من المؤمنين وتكريمهم ، منشأ البركات وصلاح الدين والدنيا ، ونجاه العقبى.

ولمّا سئل المحقّق الوحيد البهبهانى (قدس سره) : كيف بلغت هذا المقام العلمى والعزّه والشرف والإذعان من الآخرين؟ فكتب فى الجواب : أنا لا أعتبر نفسى شيئاً أبداً ، ولا أعدّ نفسى فى مستوى العلماء الموجودين ... ولعلّ الذى أوصلنى إلى هذا المقام ، وهو أنّنى لم أكفّ أبداً عن تعظيم العلماء وإجلالهم ، وذكر أسمائهم بالخير ... وإنّى لم أترك الدراسه فى أىّ وقت ما استطعت ذلك ، وكنت اُقدّمها دائماً على سائر الأعمال.

كان المحدّث الجليل الشيخ عباس القمى (قدس سره) شديد الاحترام لأهل العلم ، وخصوصاً السادات وأولاد رسول الله ، وإذا وجد سيّداً فى المجلس لم يكن يتقدّم عليه ولا يمدّ رجله باتّجاهه.

وكان نصير الدين الطوسى (رحمه الله) إذا جرى ذكر السيّد المرتضى علم الهدى يقول : صلوات الله عليه ، ويلتفت إلى القضاه والمدرّسين الحاضرين درسه ، ويقول : كيف لا يُصلّى على المرتضى.

عندما جاء آيه الله الكلباسى إلى مدينه قم المقدّسه وذهب إلى مزارها الشريف ، كان يمشى فى طريقه إلى المزار حافياً ، وقال : هذا المزار وطريقه ملىء بالعلماء ورواه الحديث لذا ورعايهً للآداب لا اُريد أن أسير على قبورهم منتعلا.

يقول آيه الله الشهيد دستغيب (قدس سره) : ورد الوعيد بالعقوبه الشديده على كفران نعمه وجود العلماء ، منها ما ورد عن النبىّ الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) : « سيأتى زمان على الناس يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب ، فإذا كان ذلك ابتلاهم الله بثلاثه أشياء : الأوّل : يرفع البركه من أموالهم ، والثانى : سلّط الله عليهم سلطاناً جائراً ،

والثالث : يخرجون من الدنيا بلا إيمان » (۱).

ويقول العلاّمه الشعرانى (قدس سره) : والنصيحه الأخيره أن لا يعتبروا أنّ العلم بدون التقوى والورع ذا قيمه أبداً ، وأن لا يستخفّوا بكلام علماء الدين ، وأن يعلموا أنّ تعظيمهم أحياءً وأمواتاً يوجب مزيد التوفيق.

وأنا أغتنم هذه الفرصه هنا وأُحذّر طلاّب العلوم الدينيه الذين هم مثلى لم يصلوا إلى كمال العلم ، أن لا يسيئوا الظنّ أبداً بكبار علماء الدين ، إذ أنّ أقلّ جزاء لهذا العمل هو الحرمان من فيض علومهم.

هذا بالنسبه إلى تعظيم العلماء ورجال الدين ، ومن وقّر عالماً فقد وقّر ربّه ، وأمّا تعظيم الأُستاذ فله امتياز خاصّ ، فإنّ يشتدّ الاحترام بالنسبه إليه ، فإنّ من لم يحترم أُستاذه سلب منه بركه العلم ، ولا يوفّق فى الدراسه.

فهذا الآخوند الخراسانى صاحب الكفايه المحقّق الكبير لم يرتقِ المنبر للتدريس طيله حياه أُستاذه الميرزا الكبير الشيرازى مع أنّ عمر الآخوند كان قد جاوز الخمسين ، وكان مجتهداً ويدرّس طلاّبه جالساً على الأرض.

وفى أوّل درس بعد وفاه الميرزا فى سامراء ارتقى الآخوند المنبر وجلس فى صدره وقال : قال الأُستاذ رحمه الله ، وأقول.

قالوا : وقد كان لهذه ال (أقول) دوىّ فى المحافل العلميّه فى النجف الأشرف.

وكان بعد وفاه أُستاذه يقدّم ولده الميرزا على على نفسه ، فلمّا سُئل عن سبب ذلك؟ قال : هذا ابن أُستاذى واحترامه واجب علىّ ـ وذلك من باب يحفظ المرء فى ولده ـ.

۱- ۱. الذنوب الكبيره ۲ : ۳۵.

ويحدّثنا آيه الله العظمى الشيخ مرتضى الحائرى عن والده مؤسّس الحوزه العلميّه بقم أنّه قال : التوفيقات التى كانت من نصيبى واستطعت فى ظلّها أن أؤسس الحوزه كلّها رهن الخدمات التى قدّمتها لأُستاذى المرحوم السيّد محمّد الفشاركى ، فى الفتره التى ابتلى بها سماحته بمرض شديد ، بلغ به إلى حدّ أنّى كنت طيله ستّه أشهر أُقدّم له الإناء لقضاء الحاجه ... وكنت أفتخر بذلك.

وكثير من علمائنا الأعلام حينما يذكرون اسم أساتذتهم يتبعونه بقولهم : (روحى فداه).

هذا فى مقام التعظيم والاحترام ، وأمّا سوء الأدب مع الأُستاذ فتلك الشقاوه والهلاك.

يقول المحدّث الجليل آيه الله العظمى السيّد نعمه الله الجزائرى (قدس سره) : وكان فى إصفهان رجلٌ عالم من مجتهدينا رأيناه ، وقرأنا عليه ، وقد كان فى أوّل تحصيله يقرأ عند مجتهد آخر ، فلمّـا نشأ ذلك التلميذ ، أنكر قراءته على ذلك الشيخ ، ولم يقرّ له بالفضل ، فبلغ الأُستاذ قوله ، فدعا عليه وقال : اللهمّ اسلبه كلّ ما قرأه عندى وأخذه عنّى ، فسلبه الله الحافظه بعدما كان مشهوراً بالحفظ ، فصار لا يحفظ مسأله على خاطره ، بل لا بدّ له فى كلّ مسأله من مراجعه كتبه ومؤلفاته ، وهو الآن موجود فى إصفهان ، ونحن نحمد الله على توفيقه لنا لبرّ المشايخ ، والقيام بوظائف خدمتهم ، والاستغفار لهم أحياءً وأمواتاً ورضاهم عنّا (۱).

وجاء فى هامش الأنوار النعمانيّه : كان فى النجف رجل فاضل له خبره بالعبارات الغامضه والمطالب المعقّده فى مختلف الكتب ، وكان يبحث عن مثل هذه

۱- ۱. الأنوار النعمانيّه ۳ : ۹۱.

المسائل ویستخرجها من الکتب ویطرحها علی العالم الجلیل الشیخ محمّد حسن المامقانی _ الذی کان من المراجع الکبار وتوفّی سنه ۱۳۲۳ ه _ یطرحها علیه فی المجالس العامّه ومجالس العلماء والطلاب ، ولم یکن له هدف إلّا إهانه ذلک الرجل العظیم وتحقیره وإظهار عجزه أمام الآخرین. وعندما تنبّه العلماء لنیّته ، نهوه عن هذه العاده القبیحه ، ونصحه أصدقاءه ، ولکنّه لم یکن یتقبّل النصیحه ، وسرعان ما مات ، إذ ابتلی بمرض عضال ، وقضی فی شبابه ، ولم یشکّ أحد أنّ السبب فی مرضه وقصر عمره إساءته الأدب مع الشیخ المامقانی.

وأخیراً : کان الشیخ الأنصاری (قدس سره) عائداً من کربلاء إلی النجف ومعه جمع من العلماء ، منهم العارف الکبیر السیّد علی الشوشتری وصی الشیخ ، فعندما رکبوا السفینه وقع حذاء الشیخ سهواً علی بساط أحد مشایخ العرب ، وکان یبغض الشیخ ویحسده ، فقال بوقاحه : العجم لا أدب لهم ولا معرفه ، خصوصاً أهل شوشتر ، فلم یقل الشیخ شیئاً ، وطلب السیّد علی الشوشتری من الشیخ أن یجیبه علی وقاحته ، إلّا أنّ الشیخ بقی ساکتاً ، وعصر ذلک الیوم ابتلی الشیخ العراقی بالقولنج ، وبعد قلیل أخرجوا جنازته من السفینه للدفن (۱).

الله الله فی تعظیم واحترام العلماء والأُستاذ ، وإیّاکم وسوء الأدب ، فإنّ فیه الهلاک والحرمان ، وأمّا حسن الأدب ففیه البرکه والتوفیق والإحسان.

۳-أن یعتقد الطالب أنّه مریض النفس وأُستاذه هو الطبیب ، ولا یصحّ فی مقام المعالجه مخالفه الطبیب.

۴-أن یحترم أُستاذه ، فإنّ برکه العلم فی تعظیم الأُستاذ ، فیضرب صفحاً عن

۱- ۱. نقلت القصص من الکتاب القیّم والمفید « سیماء الصالحین » : ۲۰۹ _ ۲۲۸ ، فراجع.

عیوبه إن کانت ، فإنّ ذلک أقرب إلی انتفاعه به ، ولقد کان بعض السلف إذا ذهب إلی شیخه تصدّق بشیء وقال : اللهمّ استر عیب معلّمی عنّی ، ولا تذهب ببرکه علمه منّی.

وقال آخر : والله ما اجترأت أن أشرب الماء وشیخی ینظر إلیَّ هیبهً له.

وقال حمدان الإصفهانی : کنت عند شریک ، فأتاه بعض أولاد الخلیفه المهدی ، فاستند إلی الحائط وسأله عن حدیث ، فلم یلتفت إلیه وأقبل علینا ، ثمّ عاد ، فعاد شریک لمثل ذلک ، فقال : أتستخفّ بأولاد الخلفاء؟ قال : لا ، ولکنّ العلم أجلّ عند الله من أن اُضیّعه ، فجثا علی رکبتیه ، فقال شریک : هکذا یطلب العلم.

وقد ذکرنا تفصیل هذا الأدب فی ما مرّ ، وأتینا بشواهد من حیاه علمائنا الأعلام.

۵-أن یتواضع للاُستاذ زیاده علی ما اُمر به من التواضع للعلماء وغیرهم ، ویعلم أنّ ذلّه لشیخه عزّ ، وخضوعه له فخر ، وتواضعه له رفعه ، وتعظیم حرمته مثوبه ، وخدمته شرف.

قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) : من علّم أحداً مسأله ملک رقّه. قیل : أیبیعه ویشتریه؟ قال : بل یأمره وینهاه.

۶-أن لا ینکر علیه ، ولا یتآمر ولا یشر علیه بخلاف رأیه ، فیری أنّه أعلم بالصواب منه ، بل ینقاد إلیه فی اُموره کلّها.

۷-أن یبجّله فی خطابه وجوابه ، فی حضوره وغیبته ، ولا یخطابه بتاء الخطاب وکافه ولا ینادیه من بعد ، بل یقول : یا سیّدی ، ویا مولای ، وما شابه ذلک ، ویخاطبه بصیغ الجمع تعظیماً ، نحو : « ما تقولون فی کذا » ، ولا یسمّیه فی غیبته باسمه إلاّ مقروناً بما یشعر بتعظیمه.

۸-تعظیم حرمته فی نفسه واقتداؤه به ، ومراعاه سیرته فی حضوره وغیبته وبعد موته ، فیدعو له مدّه حیاته ویردّ من یستغیبه ، زیاده عمّا یجب رعایته مع غیره ، ویرعی ذرّیته وأقاربه ومحبّیه فی حیاته وبعد موته ، ویتعاهد زیاره قبره والاستغفار له ، کما رأیت ذلک تکراراً ومراراً ، بل ما کان یدخل الحرم الشریف للسیّده المعصومه (علیها السلام) شیخنا فی الروایه آیه الله العظمی الشیخ محمّد علی الأراکی إلّا وکان یجلس علی قبر آیه الله العظمی السیّد الخوانساری (قدس سره) ویزوره ، وسیّدنا الاُستاذ آیه الله العظمی السیّد الگلپایگانی ما کان یبدأ بالدرس إلّا ویقرأ سوره الحمد لیهدی ثوابها علی روح أساتذته.

۹-أن یشکر الشیخ علی توفیقه له علی ما فیه فضیله ، وعلی توبیخه له علی ما فیه نقیصه أو کسل یعتریه ، أو قصور یعانیه ، أو غیر ذلک.

۱۰-أن یصبر علی جفوه تصدر من شیخه واُستاذه ، أو سوء خلق ، ولا یصدّه ذلک علی ملازمته وحسن عقیدته واعتقاد کماله ، ویتأوّل أفعاله علی أحسن تأویل وأصحّه ، ویعتذر منه ، ومن لم یصبر علی بذل التعلیم ، بقی عمره فی عمایه الجهاله ، ومن صبر علیه آل أمره إلی عزّ الدنیا والآخره ، فلا بدّ من الصبر الجمیل مع الاُستاذ.

۱۱-أن یجتهد علی أن یسبق بالحضور إلی المجلس قبل حضور الشیخ ، ویحترز أن یدع الشیخ جالساً بانتظاره.

۱۲-أن لا یدخل علی الشیخ فی غیر المجلس العامّ بغیر إذنه ، سواء کان الشیخ وحده أم معه غیره.

۱۳-أن یدخل علی الشیخ کامل الهیئه ، فارغ القلب من الشواغل ، نشیطاً منشرح الصدر ، صافی الذهن ، متطهّراً متنظّفاً.

١٤-أن لا يقرأ على الشيخ عند شغل قلبه وملله ونعاسه وما شابه ذلك ، ممّـا يشقّ عليه فيه البحث.

١٥-إذا دخل على الشيخ ووجده مشغولا ويريد انصرافه فليسلّم ، ويخرج سريعاً ، إلاّ إذا طلب الشيخ مكثه فيستجيب.

١٦-إذا حضر مكان الشيخ فلم يجده انتظره ، ولا يفوّت على نفسه درسه.

١٧-أن لا يطلب من الشيخ إقراءً فى وقت يشقّ عليه فيه ، أو لم تجرِ عادته بالإقراء فيه.

١٨-أن يجلس بين يديه جلسه الأدب بسكون وخضوع وإطراق رأس وتواضع وخشوع.

١٩-أن لا يستند بحضره الشيخ إلى حائط أو وساده ونحو ذلك ، ولا يعطى الشيخ جنبه أو ظهره.

٢٠-أن يصغى إلى الشيخ ناظراً إليه ، ويقبل بكلّيته عليه ، متعقّلاـ وفاهماً لقوله ، ولا يلتفت إلى الجهات من غير ضروره ، ولا يتمطّى ولا يكثر التثاؤب ، ولا يلفظ النخامه من فيه بل يأخذها منه بمنديل ونحوه ، ولا يتجشّأ ، وإذا عطس حفظ صوته جهده ، وستر وجهه بمنديل وغيره ، وذلك كلّه ممّـا يقتضيه النظر المستقيم والذوق السليم.

٢١-أن لا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجه ، ولا يسار فى مجلسه ، ولا يغمز أحداً ولا يغتاب عنده ولا ينمّ وما شابه ذلك.

٢٢-أن يحسن خطابه مع الشيخ بقدر الإمكان ، ولا يقول له : لِمَ؟ ولا نسلّم ولا (من نقل هذا؟) ولا (أين موضعه) وما شابه ذلك ، فيراعى آداب الكلام وعفّه اللسان مع اُستاذه.

٢٣-إذا ذكر الشيخ تعليلا وعليه تعقّب ولم يتعقّبه أو بحثاً وفيه إشكال ولم يستشكله ، أو إشكالا وعنه جواب ولم يذكره ، فلا يبادر إلى ذكر ذلك ، بل يشير إليه بألطف إشاره.

٢٤-أن يتحفّظ من مخاطبه الشيخ بما يعتاده بعض الناس فى كلامه ولا يليق خطابه به مثل : أيش بك؟ وفهمت؟ وما شابه ذلك.

٢٥-إذا خطأ الشيخ فى كلامه فلا يضحك ولا يستهزئ ويعيدها ، أو يلفت الطلاب إليه ، فإنّ هذا ممّا يوجب مقت الله والحرمان من بركات العلم.

٢٦-أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسأله أو جواب سؤال منه أو من غيره ، إلّا إذا علم من الشيخ أنّه يودّ أن يجيب هو فلا بأس به.

٢٧-أن لا يقطع كلامه على الشيخ أىّ كلام كان ، ولا يسابقه فيه ولا يساوقه به بل يصير حتّى يتمّ الشيخ كلامه فيتكلّم.

٢٨-أن يصغى إلى كلام الشيخ حتّى فيما لو عرف كلام أو حفظ الشعر الذى يقرأه الشيخ أو ما شابه ذلك ، بل إذا سأله الشيخ هل يعرف ذلك ، فليقل : أُحبّ أن أستفيده من الشيخ أو أسمعه منه.

٢٩-لا ينبغى له أن يكرّر سؤال ما يعلمه ، ولا استفهام ما يفهمه ، فإنّه يضيّع الزمان وربما يوجب ضجر الأُستاذ ، فإنّ إعاده الحديث أثقل من نقل الصخر كما قيل.

٣٠-أن لا يسأل عن شىء فى غير موضعه ، ففاعل ذلك لا يستحقّ جواباً ، والعاقل الذى يضع الأشياء فى مواضعها.

٣١-أن يغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه ، ويتلطّف فى سؤاله ويحسن فى جوابه.

٣٢-أن لا يستحيى من السؤال عمّـا أشكل عليه ، بل يستوضحه أكمل استيضاح ، فمن رقّ وجهه رقّ علمه ، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : إنّ هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسأله.

٣٣-إذا قال له الشيخ : أفهمت؟ فلا يقول : نعم. قبل أن يتّضح له المقصود اتّضاحاً جليّاً ، لئلّا يكذب ويفوته الفهم ، ولا يستحى من قول : لم أفهم.

٣٤-أن يكون ذهنه حاضراً فى جهه الشيخ ، بحيث إذا أمره بشىء أو سأله عن شىء أو أشار إليه ، لم يحوجه إلى إعادته ثانياً.

٣٥-إذا ناوله الشيخ الأُستاذ شيئاً تناوله باليمنى ، وكذلك العكس ، ولا يرمى إليه شيئاً من كتاب أو ورقه أو غيرهما.

٣٦-إذا ناوله قلماً ليكتب به فليعده قبل إعطائه إيّاه للكتابه.

٣٧-إذا ناوله سجّاده ليصلّى عليها نشرها أوّلا ، وأولى منه أن يفرشها هو عند قصد ذلك ، وبعباره أُخرى يكون دائماً بخدمه أُستاذه.

٣٨-إذا قام الشيخ بادر القوم إلى أخذ السجّاده إن كانت ممّـا تنقل له ، وإلى الأخذ بيده أو عضده إن احتاج إليه ، وإلى تقديم نعله إن لم يشقّ ذلك على الشيخ ، ويقصد بذلك كلّه التقرّب إلى الله تعالى بخدمته والقيام بحاجته ، وقيل : أربعه لا يأنف الشريف منهنّ ، وإن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته للعالم الذى يتعلّم منه ، والسؤال عمّـا لا يعلم ، وخدمته للضيف.

٣٩-أن يقوم لقيام الشيخ ، ولا يجلس وهو قائم ، ولا يضطجع بحضرته مطلقاً ، إلّا أن يكون فى وقت نوم ويأذن له.

٤٠-إذا مشى مع شيخه ، فليكن أمامه بالليل ووراءه بالنهار ، إلّا أن يقتضى الحال خلاف ذلك لزحمه أو غيرها ، أو يأمره الشيخ بحاله فيتمثّلها.

فهـذه جمله من الآـداب التى على طالب العلم أن يراعيها مع اُسـتاذه ومعلّمه ، وهناك آداب كثيره اُخرى يسـتنبط ممّـا قـدّمناه ، يقف عليها الألمعىّ الذكى ، والله خير ناصر ومعين ، ومنه التوفيق والسداد.

ص: ١٠١

الأمر الحادى عشر : رعايه آداب محفل الدرس

عندما كنت أكتب عن وظائف طالب العلم مع اُستاذه ، وكنت أعيش مع الشهيد الثانى وبستانه الفتّان ، ذات الأشجار اليانعه والأغصان المثمره ، قلت فى نفسى ، وكلّها شوق وسرور ، حقّاً ما أروع تلك المدرسه والحوزه التى يحكمها مثل هذه الأخلاق العاليه والآداب الرفيعه ، وإنّها هى الجنّه ، وعرفت مغزى زهد سلفنا الصالح ، وأنّهم زهدوا فى الدنيا لمثل هذه المكارم والأخلاق الساميه ، ولا ريب من يستلذّ بالعلم النافع والعمل الصالح ، يترك الدنيا وما فيها لأهلها ، بل يهتف صارخاً : أين الملوك وأبناء الملوك من هذه اللذائذ الروحيّه والمستلذّات المعنويّه والعقليّه.

فيصبر على الغربه والفقر لطلب العلم ولا يشبع منه ، وقد قيل : لا يأتى العلم إلّا بالغربه والفقر ، وفى الخبر الشريف : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا.

ومن أسعد الناس ذلك العالم الذى عمل بعلمه ، فإنّه فاز بخير الدنيا والآخره ، وأنت يا طالب العلم ، إنّما توفّق فى حياتك العلميّه والعمليّه ، لو تخلّقت بأخلاق الله ، وبأخلاق أنبيائه والأئمه الأطهار (عليهم السلام) ، لو راعيت الآداب حقّ المراعاه ، فمن واجبك أن تحفظ حقوق وآداب الدرس ، وهى _ كما يذكرها الشهيد الثانى (قدس سره) فى منيته _ كما يلى :

١-بدايه أمرك أن تحفظ كتاب الله الكريم حفظاً متقناً ، فهو أصل العلوم وأهمّها ، وكان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلّا لمن حفظ القرآن المجيد ، وعليه

أن يتعهّد دراسته حتّى لا ينساه.

۲-أن تقتصر على المطالعه على ما يحتمله فهمك وينساق إليه ذهنك ، واحذر من الاشتغال بما يبدّد الفكر ، ويضيع الذهن ، وليتقن الكتاب الذى يقرأه.

۳-عليك بالاعتناء التام بتصحيحك درسك تصحيحاً متقناً ، ثمّ تحفظه حفظاً محكماً ، ثمّ تكرّره تكراراً جيّداً.

وكان والدى العلاّمه السيّد على بن الحسين العلوى (قدس سره) فى مقام النصيحه يقول : إذا أردت أن تحفظ مادّه الدرس فعليك بالاُمور الأربعه التاليه : أن تقرأ الدرس قبل حضوره ، ثمّ تحضر عند الاُستاذ وتتوجّه إليه أكثر فى ذلك الموضع الذى لم تفهمه حين المطالعه ، ثمّ تطالعه مرّةً اُخرى ، ثمّ تتباحث فيه مع مباحثك ، ولا بدّ لك من زميل تتباحث معه الدرس ، بمعنى أن يكون يوماً هو الاُستاذ ، وأنت تناقشه ، وفى اليوم الآخر تكون أنت الاُستاذ وهو يناقشك ، وبهذا لا تنسى الدرس.

۴-أن تحضر معك القلم والقرطاس للتصحيح وضبط النكات واللطائف التى يذكرها الاُستاذ.

۵-على طالب العلم أن يرتّب الأهمّ فالأهمّ فى الحفظ والتصحيح والمطالعه ، وليذاكر بمحفوظاته ويديم الفكر فيها ، ويعتنى بما يحصل فيها من الفوائد.

۶-أن يقسّم أوقات ليله ونهاره على ما يحصّله ، ويغتنم ما بقى من عمره ، وأجود الأوقات للحفظ الأسحار ، وللبحث الأبكار ، وللكتابه وسط النهار ، وللمطالعه والمذاكره الليل وبقايا النهار.

۷-أن يبكّر بدرسه ، كما ورد فى الخبر الشريف : « بورك لاُمّتى فى بكورها » ، ولخبر : « اغدوا فى طلب العلم ، فإنّى سألت ربّى أن يبارك لاُمّتى فى بكورها ».

۸-أن يبكّر بسماع الحديث ولا يهمل الاشتغال به وبعلومه ، فإنّه أحد

جناحی العالم بالشریعه ، والجناح الآخر القرآن الکریم.

۹-أن یعتنی بروایه کتبه التی قرأها أو طالعها سیّما محفوظاته ، فإنّ الأسانید أنساب الکتب.

۱۰-إذا حفظ وفهم المختصرات ، فلینتقل إلی المبسوطات والمطوّلات مع الفهم الدقیق والعنایه التامّه ، ویقیّد فوائد العلم بالکتابه ، وقیل : العلم وحشی إن ترکته یمشی ، فقیّدوا العلم بالکتابه.

۱۱-أن یبالغ فی الجدّ والطلب والتشمیر ، ولا یقنع من إرث الأنبیاء بالیسیر ، ویغتنم وقت الشباب ، ولا یری فی نفسه أنّه استغنی عن المشایخ.

۱۲-أن یلازم محفل اُستاذه فإنّه لا یزیده إلّا خیراً وتحصیلا وعلماً وأدباً ، فلا یملّ من طول صحبته.

۱۳-إذا حضر مجلس اُستاذه ، فلیسلّم علی الحاضرین بصوت یسمعهم ، ویخصّ الاُستاذ بزیاده التحیّه والإکرام.

۱۴-إذا سلّم لا یتخطّی رقاب الحاضرین إلی قرب الاُستاذ ، وإن لم یکن منزلته کذلک ، بل یجلس حیث ینتهی به المجلس کما ورد فی الحدیث ، فإنّ تخطّی الرقاب سخافه.

۱۵-أن یحرص علی قربه من الشیخ حیث یکون منزلته ، لیفهم کلامه فهماً کاملا بلا مشقّه.

۱۶-أن یتأدّب مع زملائه فی الدرس ، فإنّ التأدّب معهم تأدّب مع الاُستاذ ومن احترامه.

۱۷-أن لا یزاحم أحداً فی مجلسه ، ولا یؤثر قیام أحد له من محلّه.

۱۸-أن لا یجلس فی وسط حلقه الدرس ، ولا قدّام أحد لغیر ضروره ، فقد

روی أنّ النبیّ (صلی الله علیه وآله) لعن من جلس وسط الحلقه.

۱۹-أن لا یجلس بین أخوین أو أب وابن أو قریبین أو متصاحبین إلاّ برضاهما معاً.

۲۰-ینبغی للحاضرین إذا جاء القادم أن یرحّبوا به ویفسحوا المجلس له ، ولا یضایقهم.

۲۱-أن لا یتکلّم فی أثناء الدرس إلاّ بإذن من الاُستاذ.

۲۲-أن لا یشارک أحدٌ من الجماعه أحداً فی حدیثه مع الشیخ والاُستاذ.

۲۳-إذا أساء أحد الطلبه أدباً ، لم ینهه غیر الاُستاذ ، إلاّ بإشاره منه.

۲۴-إذا أراد القراءه علی الشیخ فلیراعِ نوبته تقدیماً وتأخیراً ، ویراعی النوبه فی کلّ شیء ، حتّی لا یکون ظالماً للغیر. وهذا من العداله الاجتماعیه ، کما أنّ حرّیه الفرد ممدوحه ما لم تتجاوز حقوق الآخرین.

۲۵-أن یکون جلوسه مع الاُستاذ فی کمال الأدب.

۲۶-أن لا یقرأ حتّی یستأذن الاُستاذ ، فإن أذن له استعاذ بالله ثمّ سمّی الله وحمده وصلّی علی النبیّ وآله ، ثمّ یدعو للاُستاذ ولوالدیه ولمشایخه وللعلماء ولنفسه ثمّ یقرأ.

۲۷-ینبغی أن یباحث ویذاکر من یرافعه من زملاء الدرس ومواظبی مجلس الشیخ بما وقع فیه من الفوائد والضوابط والقواعد وغیر ذلک.

۲۸-أن تکون المذاکره والمباحثه المذکوره فی غیر مجلس الاُستاذ ، أو فیه بعد انصرافه.

۲۹-علی الطلبه مراعاه الأدب المتقدّم أو قریباً منه مع کبیرهم ومعید درسهم ، فإنّه بمنزله الاُستاذ.

۳۰-یجب علی من علم منهم بنوع من العلم وضرب من الکمال أن یرشد رفقته وزملائه ، ویرغّبهم فی الاجتماع والتذاکر والتحصیل ، وإنّ زکاه العلم نشره ، فلا یبخل علیهم ما داموا من أهل العلم ، ولا یحتقرهم ولا یحسدهم ، ولا یعجب بفهمه وسبقه لهم ، ولیحمد الله علی ما أنعم علیه ، فإنّه کان مثلهم ، والله ولیّ التوفیق (۱).

۱- ۱. منیه المرید : ۲۶۳ _ ۲۷۶.

الدرس السابع

الأمر الثانى عشر : حسن الخلق والحلم

من أهمّ فلسفه البعثه النبويّه نشر الخلق الحسن فى المجتمع ، والعلماء ورثه الأنبياء ، فهم أولى من غيرهم بحسن الخلق والتحلّى به ، ونشره سلوكاً وعملاـ وقولا ، فإنّ سوء الخلق ممّـا ينفّر الطباع ويوجب فرار الناس ، ورجل العلم والدين هدفه السامى هدايه الناس كالأنبياء (عليهم السلام) ، وهذا يعنى أنّه لا بدّ أن يحتكّ بالناس بعد أن يهذّب نفسه ويزكّى قلبه ، وينشرح صدره ، ويتزيّن بالعلم والحلم والوقار والسكينه ، فيحتاج فى مقام الإرشاد والتبليغ وأداء المسؤوليّه إلى خلق رفيع وحسن حتّى يجذب الناس إليه ، كما يشهد بذلك سيره نبيّنا المصطفى حبيب القلوب وطبيب النفوس رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله).

وعلماء الآـخره يتّصفون بصفات الله سبحانه ، ولهم علامات ودلائل ، أهمّها خمسه يفهم من خمس آيات ، وهى : الخشيه والخشوع والتواضع وحسن الخلق والزهد ، أى إيثار الآخره على الدنيا الدنيّه.

ص: ١٠٧

أمّا الخشيه ، فيدلّ عليها قوله تعالى :

(إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ) (۱).

وأمّا الخشوع ، فمن قوله تعالى :

(خاشِعينَ للهِ لا يَشْتَرونَ بِآياتِ اللهِ ثَمَناً قَليلا) (۲).

وأمّا التواضع ، فشاهده قوله تعالى :

(وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ) (۳).

وأمّا حسن الخلق ، فمن قوله تعالى :

(فَبِما رَحْمَه مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ) (۴).

وأمّا الزهد ، فمن قوله عزّوجلّ :

(وَقالَ الَّذينَ اُوتوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ) (۵).

فلين الجانب وحسن الخلق الذى هو مظهر رحمه الله سبحانه وتعالى اتّصف بها نبيّ الله محمّد الذى كان رحمةً للعالمين ، وقد ورث العلماء صفات الأنبياء وعلومهم وأخلاقهم الحسنه ، فعاشروا الناس برفق وحلم ولين ورحمه ومداراه ، وتجرّعوا الغصص والأحزان من أيدى الناس ، وتحمّلوا جهلهم وعداءهم وحتّى اتّهاماتهم وإشاعاتهم من أجل إعلاء كلمه الحقّ ، والذى كان يطيّب خاطرهم

۱- ۱. فاطر : ۲۸.

۲- ۲. آل عمران : ۱۹۹.

۳- ۳. الشعراء : ۲۱۵.

۴- ۴. آل عمران : ۱۵۹.

۵- ۵. القصص : ۸۰.

ويخفّف من آلامهم أنّه كان بعين الله سبحانه.

فحسن الخلق من أهمّ العوامل فى تعليم الناس وتربيتهم وتهذيبهم ، وإصلاح المجتمع وإدارته.

وما أروع ما يقوله سماحه المجدّد الشيرازى الكبير (قدس سره) قائد ثوره التبغ فى إيران سنه (١٨٩١ م) : إنّ للمرجعيّه مئه شروط ومواصفات ، أوّلها : العلم. والثانيه : التقوى ، والبقيّه فنّ الإداره لشؤون المجتمع ومداراه الناس والنظر فى حوائجهم وفق مقتضيات العصر الذى يعيشونه (١).

ومن روائع قصص علمائنا الأعلام فى حسن الخلق ومداراه الناس وآيات الحلم ما ينقل عن المحقّق خواجه نصير الدين الطوسى عليه الرحمه لمّا شتمه شخص فى رساله قائلا : يا كلب. فأجابه بحلم وهدوء وسكينه : أمّا قولك : يا كلب ، فغير صحيح ، فإنّ الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار ، وأنا منتصب القامه بادى البشره عريض الأظفار ، ناطق ضاحك ، فهذه الفصول والخواصّ غير فصول وخواصّ الكلب.

ويقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم ، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه.

وهذا الآيه العظمى الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء (قدس سره) لمّا كان جالساً فى محراب الصلاه ، جاءه سيّد فقير وطالبه مالا ، ولم يكن عند الشيخ شيئاً ، فغضب السيّد وبصق فى وجه الشيخ ، فقام الشيخ وأخذ طرف ردائه أو عمامته ودار بين صفوف المصلّين ، وهو يقول : من كان يحبّ لحيه الشيخ فليساعد

١- ١. قصص وخواطر : ۶۵۵.

هذا السيّد ، وملأ الناس طرف رداء الشيخ بالمال فأعطاه الشيخ للسيّد ثمّ وقف يصلّى.

وبمثل ه_ذا الحلم والخلق الحسن كان يتعامل مراجعنا العظام مع عوامّ الناس.

قال الشهيد الثانى فى منيته فى بيان ما يلزم المعلّم والمتعلّم وآدابهما فى أنفسهما :

فالأوّل : ما يجب عليهما إخلاص النيّه لله تعالى فى طلبه وبـذله ، فإنّ مـدار الأعمال على النيّات _ ثمّ يـذكر الإخلاص من خلال القرآن الكريم والروايات الشريفه _.

ثمّ يتعرّض للأمر الثانى : وهو استعمال العلم.

ثمّ الأمر الثالث : التوكّل على الله سبحانه.

والرابع : حسن الخلق زياده على غيرهما من الناس والتواضع وتمام الرفق وبـذل الوسع فى تكميل النفس. روى معاويه بن وهب ، قال : سـمعت أبا عبد الله (عليه السـلام) يقول : اطلبوا العلم وتزيّنوا معه بالحلم والوقار ، وتواضـعوا لمن تعلّمونه العلم ، وتواضـعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا ـ تكونوا علمـاء جبّـارين ، فيـذهب بـاطلكم بحقّكم. وروى الحلـبى فى الصـحيح عن أبى عبـد الله (عليه السـلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ألا اُخبركم بالفقيه حقّ الفقيه؟ من لم يقنّط الناس من رحمه الله ، ولم يؤمّنهم من عـذاب الله ، ولم يرخّص لهم فى معاصـى الله ، ولم يـترك القرآن رغبةً عنه فى غيره ، ألا ـ لا ـ خير فى علم ليس فيه تفهّم ، ألا ـ لا خير فى قراءه ليس فيها تدبّر ، ألا لا خير فى عباده ليس فيها تفكّر.

واعلم أنّ المتلبّس بالعلم منظور إليه ، ومتأسّى بفعله وقوله وهيئته ، فإذا

حسن سمته وصلحت أحواله وتواضعت نفسه ، وأخلص لله تعالى عمله ، انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعيّه ، وفشا الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم ، ومتى لم يكن كذلك كان الناس دونه فى المرتبه التى هو عليها فضلا عن مساواته ، فكان مع فساد نفسه منشأً لفساد النوع وخلله ، وناهيك بذلك ذنباً وطرداً عن الحقّ وبعداً ، ويا ليته إذا هلك انقطع عمله ، وبطل وزره ، بل هو باق ما بقى من تأسّى به واستنّ بسنّته.

وقد قال بعض العارفين : إنّ عامّه الناس أبداً دون المتلبّس بالعلم بمرتبه ، فإذا كان ورعاً تقيّاً تلبّست العامّه بالمباحات ، وإذا اشتغل بالمباح ، تلبّست العامّه بالشبهات ، فإن دخل فى الشبهات تعلّق العامى بالحرام ، فإن تناول الحرام كفر العامى ، وكفى شاهداً على صدق هذه العيان وعدول الوجدان ، فضلا عن نقل الأعيان (۱).

فعلى طالب العلم فى سيرته الأخلاقيّه أن يراعى حسن الخلق غايه المراعاه ، ويحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام ، كإقامه الصلوات فى مساجد الجماعات محافظاً على شريف الأوقات ، وإفشاء السلام للخاصّ والعامّ مبتدئاً ومجيباً ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الأذى بسبب ذلك ، صادعاً بالحقّ ، باذلا نفسه لله ، لا يخاف لومه لائم ، متأسّياً فى ذلك بالنبىّ (صلى الله عليه وآله) وغيره من الأنبياء ، فإنّ العلماء ورثه الأنبياء ، متذكّراً ما نزل بهم من المحن عند القيام بأوامر الله تعالى.

ولا يرضى من أفعاله الظاهره والباطنه بالجائز ، بل يأخذ نفسه بأحسنها

۱- ۱. منيه المريد : ۱۶۲.

وأكملها ، فإنّ العلماء هم القدوه وإليهم المرجع ، وهم حجّه الله تعالى على العوامّ ، وقد يراقبهم للأخذ منهم ، من لا ينظرون إليه ، ويقتدى بهم من لا يعملون به ، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه ، فغيره أبعد من الانتفاع به ، ولهذا عظمت زلّه العالم لما يترتّب عليها من المفاسد.

ويتخلّق بالمحاسن التى ورد بها الشرع وحثّ عليها ، والخلال الحميده والشيم المرضيه ، من السخاء والجود وطلاقه الوجه من غير خروج عن الاعتدال وكظم الغيظ وكفّ الأذى واحتماله والصبر والمروّه والتنزّه عن دنئ الاكتساب والإيثار وترك الاستئسار والإنصاف وترك الاستنصاف وشكر المتفضّل والسعى فى قضاء الحاجات وبذل الجاه والشفاعات والتلطّف بالفقراء والتحبّب إلى الجيران والأقرباء ، والإحسان إلى ما ملكت الأيمان ومجانبه الإكثار من الضحك والمزاح والتزام الخوف والحزن والانكسار والإطراق والصمت بحيث يظهر أثر الخشيه على هيئته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته ، لا ينظر إليه ناظر إلّا وكان نظره مذكّراً لله تعالى ، وصورته دليلا على علمه.

وملازمه الآداب الشرعيّه القوليّه والفعليّه الظاهره والخفيّه ، كتلاوه القرآن الكريم متفكّراً فى معانيه ، ممتثلا لأوامره ، منزجراً عند زواجره ، واقفاً عند وعده ووعيده ، قائماً بوظائفه وحدوده ، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار فى آناء الليل والنهار ونوافل العبادات من الصلاه والصيام وحجّ البيت الحرام ، ولا يقتصر من العبادات على مجرّد العلم ، فيقسو قلبه ، ويظلم نوره ، كما تقدّم التنبيه عليه ــ وسيأتى أيضاً ــ.

وزياده التنظيف بإزاله الأوساخ ، وقصّ الأظفار وإزاله الشعور المطلوب زوالها ، واجتناب الروائح الكريهه ، وتسريح اللحيه ، مجتهداً فى الاقتداء بالسنّه

الشريفه والأخلاق الحميده المنيفه.

ويطهّر نفسه من مساوئ الأخلاق وذميم الأوصاف : من الحسد والرياء والعجب واحتقار الناس ، وإن كانوا دونه بدرجات ، والغِلّ والبغى والغضب لغير الله ، والغش والبخل والخبث والبَطَر والطمع والفخر والخيلاء والتنافس فى الدنيا والمباهاه بها والمداهنه والتزيّن للناس وحبّ المدح بما لم يفعل ، والعمى عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الناس ، والحميّه والعصبيّه لغير الله ، والرغبه والرهبه لغيره ، والغيبه والنميمه والبهتان والكذب والفحش فى القول.

ولهذه الأوصاف تفصيل وأدويه وترغيب وترهيب ، محرّر فى مواضع تخصّه _ كجامع السعادات والمحجّه البيضاء وآداب النفس ومرآه الرشاد _ والغرض من ذكرها هنا تنبيه العالم والمتعلّم على اُصولها ، ليتنبّه لها ارتكاباً واجتناباً على الجمله ، وهى وإن اشتركت بين الجميع ، إلّا أنّها بهما أولى ، فلذلك جعلناها من وظائفهما ، لأنّ العلم _ كما قال بعض الأكابر _ عباده القلب وعمارته وصلاه السرّ ، وكما لا تصحّ الصلاه التى هى وظيفه الجوارح ، إلّا بعد تطهّرها من الأحداث والأخباث ، فكذلك لا تصحّ عباده الباطن إلّا بعد تطهيره من خبائث الأخلاق.

ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب المتنجّس بالكدورات النفسيّه والأخلاق الذميمه ، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« ليس العلم بكثره التعلّم ، وإنّما هو نورٌ يقذفه الله تعالى فى قلب من يريد الله أن يهديه ».

ونحوه قال ابن مسعود : « ليس العلم بكثره الروايه ، إنّما العلم نورٌ يقذف فى

القلب ».

وبهذا يعلم أنّ العلم ليس هو مجرّد استحضار المعلومات الخاصّه ، وإن كانت هى العلم فى العرف العامى ، وإنّما هو النور المذكور الناشئ من ذلك العلم الموجب للبصيره والخشيه لله تعالى (۱).

قال الله تعالى : (وَاللهُ عَليمٌ حَليمٌ) ۲- ، (إنَّ إبْراهيمَ لَحَليمٌ أوَّاهٌ مُنيبٌ) ۳-.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فأمّا الحلم فمنه ركوب الجميل ، وصحبه الأبرار ، ورفع الضعه ، ورفع الخساسه ، تشهى الخير ، ويقرب صاحبه من معالى الدرجات والعفو والمهل والمعروف والصمت ، فهذا ما يتشعّب للعاقل بحلمه. ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا بدّ من معاشرته. وما جمع شىء إلى شىء أفضل من حلم إلى علم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : الحلم سجيّه فاضله ، زينه ، غطاء ساتر ، فاستر خلل خلقك بحلمك ، حجاب من الآفات ، رأس الرئاسه ، عشيره ، نور جوهره العقل ، تمام العقل ، نظام أمر المؤمن ، خليل المؤمن ووزيره ، أنصر من شجعان العرب ، زينه الأدب ، جمال الرجل ، وخير الحلم التحلّم ، ومن لم يتحلّم لم يحلم ، والحليم من احتمل إخوانه ، وبوفور العقل يتوفّر الحلم ، ولا يكون حليماً حتّى يكون وقوراً ، وعليك بالحلم فإنّه ثمره العلم ، ومن حلم ساد ، ويظفر من حلم ، فكفى بالحلم ناصراً وبه تكثر الأنصار ، والحلم كظم الغيظ وملك النفس مع القدره ، وكمال العلم الحلم ، وكمال الحلم كثره الاحتمال والكظم ، فلن يثمر العلم حتّى يقارنه الحلم ، والعلم أصل الحلم ، والحلم زينه العلم ...

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : عليك بالحلم فإنّه ركن العلم ، الحلم لباس العالم فلا تعرينّ منه ۴-.

۱- ۱. منيه المريد : ۱۶۲ _ ۱۶۸. ۲- النساء : ۱۲. ۳- هود : ۷۵. ۴- ميزان الحكمه ۲ : ۵۱۱.

الأمر الثالث عشر : عفّه النفس وعزّتها

من أهمّ الخصائل التی یحتاجها طالب العلم فی سیرته الأخلاقیه عفّه النفس ، وهی تعنی ضبط النفس عن اللذات المشترکه بین عامّه الحیوانات من المأکولات والملموسات ، والاعتدال فی تناولها واستعمالها من دون إفراط ، ولیس معنی ضبط النفس رفض کلّ الشهوات والملاذّ وقهرها وکبتها علی کلّ حال ، فإنّ هذا یتنافی مع أصل خلقها وتکوینها فی وجود الإنسان. فإنّ بقاء البدن بالمأکولات والمشروبات ، وفی المناکح بقاء النسل ، ولو کان یمکن الاستغناء عن الشهوه مثلا لکان خلقها فی أصل الترکیب الحیوانی عبثاً ، ووبالا علی صاحبها ، فمعنی عفّه النفس ضبطها بنحو معقول ، بأن یستعملها علی أربعه أنحاء : أن یتناول منها ما ینبغی ، وفی الوقت الذی ینبغی ، ومن المقدار الذی ینبغی ، ومن الوجه الذی ینبغی ، فتکون شهوته تحت طاعه عقله ، والعفّه جاریه فی کلّ الأخلاق فهی بمعنی الحدّ الوسط من دون إفراط ولا تفریط فی الصفات والسجایا الأخلاقیّه (۱).

قال الله تعالی :

(یَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِیاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) (۲).

---

۱ - ۱. راجع فی ذلک جامع السعادات للمرحوم المحقّق النراقی (قدس سره) ، وکذلک المحجّه البیضاء للمحقّق الفیض الکاشانی (قدس سره).

۲- ۲. البقره : ۲۷۲.

(وَل_ْيَسْتَعْفِفِ الَّذينَ لا يَجِدونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) (۱).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« إنّ الله يحبّ الحييّ المتعفّف ، ويبغض البذيّ السائل الملحف ».

« من طالب حقّاً فليطلبه فى عفاف واف أو غير واف ».

« اللهمّ إنّى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ».

« لمّ_ا نفذ المال حين تقسيمه عند رسول الله فسأله الأنصار ، فقال : ما يكون عندى من خير فلن أدّخره عنكم ، ومن يستعفف يعفّه الله ، ومن يستغنِ يغنه الله ».

« أحبّ العفاف إلى الله تعالى عفاف البطن والفرج ».

« أكثر ما تلج به اُمّتى النار الأجوفان : البطن والفرج ».

« ثلاثٌ أخافهنّ على اُمّتى من بعدى : الضلاله بعد المعرفه ، ومضلّات الفتن ، وشهوه البطن والفرج ».

« أمّا العفاف : فيتشعّب منه الرضا والاستكانه والحظّ والراحه والتفقّد والخشوع والتذكّر والتفكّر والجود والسخاء ، فهذا ما يتشعّب للعاقل بعفافه رضى بالله وبقسمه ».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« من سكن قلبه العلم بالله سكنه الغنى عن خلق الله ».

ويقول مولانا أمير المؤمنين على (عليه السلام) :

« أفضل العباده العفاف ».

« ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه ، ألا وإنّ إمامكم

۱- ۱. النور : ۶۰.

قد اکتفی من دنیاه بطمریه ، ومن طُعمه بقرصیه ، ألا وإنّکم لا تقدرون علی ذلک ، ولکن أعینونی بورع واجتهاد ، وعفّه وسداد ».

« ما المجاهد الشهید فی سبیل الله بأعظم أجراً ممّن قدر فعفّ ، لکاد العفیف أن یکون ملکاً من الملائکه ».

« العفّه شیمه الأکیاس ، الشره سجیّه الأرجاس ».

« العفّه رأس کلّ خیر ».

« العفّه أفضل الفتوّه ».

« العفاف یصون النفس وینزّهها عن الدنایا ».

« علیک بالعفاف فإنّه أفضل شیم الأشراف ».

« علیک بالعفّه فإنّها نعم القرین ».

« إذا أراد الله بعبد خیراً أعفّ بطنه وفرجه ».

« أصل العفاف القناعه ، وثمرتها قلّه الأحزان ».

« من قنعت نفسه أعانته علی النزاهه والعفاف ».

« الرضا بالکفاف یؤدّی إلی العفاف ».

« قدر الرجل علی قدر همّته ، وعفّته علی قدر غیرته ».

« دلیل غیره الرجل عفّته ».

« من عقل عفّ ».

« الصبر عن الشهوه عفّه ، وعن الغضب نجده ».

« الفضائل أربعه أجناس : أحدها الحکمه وقوامها فی الفکره ، والثانی : العفّه وقوامها فی الشهوه ، والثالث : القوّه وقوامها فی الغضب ، والرابع : العدل وقوامه فی اعتدال قوی النفس ».

« ثمره العفّه الصيانه ».

« من عفّ خفّ وزره وعظم عند الله قدره ».

« من عفّت أطرافه حسنت أوصافه ».

« النزاهه آيه العفّه ».

« من اُتحف العفّه والقناعه حالفه العزّ ».

قال الإمام الباقر (عليه السلام) :

« ما عبد الله بشيء أفضل من عفّه بطن وفرج ».

« وقال لرجل : أى الاجتهاد أفضل من عفّه بطن وفرج ».

وقال أمير المؤمنين فى وصيّته لمحمّد بن أبى بكر لمّا ولاّه مصر :

« يا محمّد بن أبى بكر ، اعلم أنّ أفضل العفّه الورع فى دين الله والعمل بطاعته ، وإنّى اُوصيك بتقوى الله فى أمر سرّك وعلانيتك » (۱).

فهذه نماذج من الأخبار الشريفه ، وحقّاً كلام الأئمه أئمه الكلام ، وإنّ كلامهم نور فى الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، لا يستغنى السائر إليه منه.

وطالب العلم لا بدّ له من العفاف بكلّ ما للكمله من مغزى ومعنى ومصداق ، فإنّما ينال عزّه الدارين ، ويوفّق فى حياته العلميّه والعمليّه ، لو تمثّلت العفّه فى وجوده وحقيقته.

ولو عرف الدنيا لعفّ عنها وزهد فيها.

لقد سئل بعض العلماء عن رغبه الناس فى دنياهم مع شدّه إتعابها إيّاهم ، فقال : ذلك لقلّه معرفتهم بها ، كالصبىّ الغِرّ أعجبه من لين الرقشاء ـ الحيّه ـ لونها

۱- ۱. ميزان الحكمه ۳ : ۲۰۰۶ ، الطبعه الجديده.

ومسّـها ، فلم يبرح حتّى قتله نهشـها ، ولو أنّهم عرفوهـا حقّ معرفتهـا لنظروا إليهـا نظر المريض إلى وجوه العوّد ، نظر الجزور إلى أشفار الجازر ، فلا سماعه يطيق إن ذُكر بين يديه ، ولا إذا اُحضر أمكنه النظر إليه.

قال بعض الصالحين : من عرف عفّ ، ومن عفّ خفّ.

عجباً لقوم يعجبون برأيهم ***وأرى بعقلهم الضعيف قصورا

هدموا قصورهم بدار بقائهم ***وبنوا لعُمرهم القصير قصورا

أجـل إنّ عفّه النفس كرامه إنسـانيه ، وشـرف نبيـل ، وخلق رفيع ، وموهبه قدسـيّه ، كـان ولاـ يزال يتحلّى بهـا علماؤنـا الأعلاـم ، فعلّمونا بسـلوكهم وسـيرتهم الحسنه كيف يكون طالب العلم عفيف النفس ، حتّى يحسبهم الجهّال أغنياء من التعفّف ، فيقارعون الفقر ويكابدون الحرمان ويصبرون على البؤس بعفّه نفس وسداد.

نقـل المرحوم الاُسـتاذ جلاـل همـائى خلاـل مقـابله إذاعيّه معه القصّه التاليه : كنت مع آيه الله الشـيخ هاشم القزوينى نـدرس فى إصـفهان فتره شـبابنا ، فذات يوم كنّا نتباحث فى الدرس ، وإذا بالشـيخ يغمى عليه ، فأتيت بالطبيب مسـرعاً ، فسقاه الماء المحلّى بالسـكّر ، فشـرب قليلا ففتح عينه فجلس وفتح كتابه مباشـرةً وهو يسألنى : أين وصـلنا فى البحث؟ وكأنّه لم يحدث له طارئ! ثمّ الطبيب أشار علىَّ أنّ إغماء الشيخ من شدّه الجوع ، ناوله طعاماً فى أسرع وقت ، فلمّـا حقّقت أمره وجدته لم يتذوّق طعاماً لمدّه يومين لشدّه الفقر وتعفّفه وعدم إخباره أحداً عن حاله وجوعه (1).

فلذّه العلم تغنى طالب العلم ، وتعلّمه الإباء وعزّه النفس وصرف النظر عن

۱- ۱. تعليم وتعلّم : ۷۶ ، قصص وخواطر : ۲۴۶.

مال هذا وذاك وثروته ، فيصون كرامته ويحفظ شخصيّته وعزّته ، ويبقى متحرّراً من قيود الرقّيه لفلان وفلان.

فمن يطمع بمال الآخرين وعطائهم ويتقبّل هداياهم كيف يمكنه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويذبّ عن حياض الإسلام ويقف فى وجه الظالمين بشجاعه.

وسلفنا الصالح من أخلاقهم الحسنه العفّه والسداد ، وكانوا يرفضون هدايا أصحاب المناصب والأثرياء التى تشكّل فى الحقيقه وثيقه عبوديّه ذلك العالم لصاحب تلك الهديّه.

يقول الشهيد الثانى فى منيته : فممّا يلزم لكلّ واحد منهما (العالم والمتعلّم) بعد تطهير نفسه من الرذائل المذكوره وغيرها ، توجيه نفسه إلى الله تعالى والاعتماد عليه فى اُموره وتلقّى الفيض الإلهى من عنده ، ولا يعتمد على الأسباب فيتّكل إليها وتكون وبالا عليه ، ولا على أحد من خلق الله تعالى ، بل يلقى مقاليد أمره إلى الله تعالى فى أمره ورزقه وغيرهما ، يظهر عليه من نفحات قدسه ولحظات اُنسه ما يقوم به أوده ويحصل مطلبه ، ويصلح به أمره ، وقد ورد فى الحديث عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : إنّ الله تعالى قد تكفّل لطالب العلم برزقه خاصّه عمّا ضمنه لغيره ، بمعنى أنّ غيره يحتاج إلى السعى ، وطالب العلم لا يكلّف بذلك ، إن أحسن النيّه وأخلص العزيمه.

وعندى فى ذلك من الوقائع والدقائق ما لو جمعته بلغ ما يعلمه الله من حسن صنع الله تعالى بى ، وجميل معونته منذ اشتغلت بالعلم ... وبالجمله ليس الخبر كالعيان (۱).

۱- ۱. منيه المريد : ۶۱.

فعالم الدين لا بدّ له من أن يترفّع عن السفاسف ، مرفوع الهام محلّقاً فى سماء العفّه والعزّه والإباء ، غنيّاً بقناعته وزهده وورعه ، وفى نفس الوقت الذى يحرص على أن يكون متواضعاً ، فإنّه يكون أبىّ النفس عزيزاً عفيفاً قنوعاً ، ويدع الدنيا لأهلها.

اُنظر إلى قدوه العلماء شيخنا الأعظم الشيخ الأنصارى (قدس سره) لمّا دفع إليه أحد أثرياء إيران مالا ليبنى به بيتاً أو يشترى بيتاً لسكنه ، فإنّه لعزّه نفسه لم يصرف ذلك المبلغ فى شؤونه الخاصّه ، وإنّما صرفه جميعه فى شراء أرض وبناء مسجد عليها وهو أحد المساجد المعروفه فى النجف الأشرف باسم مسجد الشيخ الأنصارى.

وعندما رجع ذلك الثرىّ من الحجّ أراه الشيخ الأنصارى ذلك المسجد وقال له : هذا هو منزلى الذى كنت أنت السبب فيه.

كان الشريف الرضى (رحمه الله) شديد الالتزام بمبادئ الدين الحنيف وأحكام الشريعه ، فكان شديد الاجتناب للتملّق والمداهنه ، ولم يقبل الصِلات والهدايا من الملوك والسلاطين ، فكان عفيف النفس عالى الهمّه لم يقبل من أحد صله ولا جائزه.

يقول أحد الوزراء المعاصرين للسيّد الرضى (رحمه الله) :

ولِد للسيّد الرضىّ مولود ، فأرسلت إليه ألف دينار فى طبق على ما هو المتعارف فى مثل ذلك ، فردّه الرضىّ قائلا : الوزير يعلم أنّى لا أقبل من أحد شيئاً. أرسلت ذلك الطبق ثانيةً وقلت : إنّ هذا المبلغ للمولود ولا علاقه لك به ، فردّه ثانيةً وقال : أطفالنا أيضاً لا يقبلون من أحد شيئاً. أرسلته إليه ثالثةً وقلت : إعطِ هذا المبلغ للقابله ، فردّه وقال : إنّنا أهل بيت لا نطلع على أحوالنا قابلةً غريبه ، وإنّما عجائزنا يتولّين هذا الأمر من نسائنا ، ولسنَ ممّن يأخذن اُجره ، ولا يقبلنَ صله. أرسلته إليه رابعةً وقلت : هذا للطلّاب الذين يدرسون عندك ، فقال السيّد الرضىّ :

ها هم الطلّاب جميعاً حاضرون ليأخذ كلّ منهم ما يريد. عندها قام أحد الطلّاب وتناول ديناراً واقتطع منه مقداراً احتفظ به ثمّ ردّ الباقى إلى الطبق. وسأله السيّد الرضى عن سبب ذلك فقال : احتجت البارحه شيئاً من الزيت للمصباح ولم يكن المتولّى لنفقه المدرسه موجوداً ، فاستدنت من البقّال حاجتى من الزيت ، وقد أخذت هذا المقدار من الدينار لأداء دينى هذا ، ثمّ ردّ الطبق.

بعد ذلك أمر السيّد بأن يكون مع كلّ طالب من طلّاب المدرسه مفتاح لصندوق ماليّه المدرسه ليأخذ حاجته عند الضروره ، ولا يضطرّ أحد لمراجعه المسؤول عن ذلك (۱).

وهذا شيخنا القمى صاحب مفاتيح الجنان ، فى إحدى السنوات طلب أحد المحسنين من المحدّث القمّى أن يقبل التزامه بدفع مبلغ خمسين ديناراً عراقياً بإزاء مجلس وعظ المحدّث وخطابته ، وكان مصرف المحدّث آنذاك شهرياً ثلاثه دنانير ، إلّا أنّه رغم ذلك قال لهذا المحسن : أنا أرتقى المنبر لأجل الإمام الحسين (عليه السلام) ، ورفض قبول ذلك المبلغ.

هكذا كان سلفنا الصالح ، إلّا أنّه نسمع اليوم بين آونه واُخرى ما يحزّ القلب ويقطع أنياطه ، بأنّ فلان خطيب معروف يتعامل مع صاحب المجلس على منبره ، وفى بعض الأحيان لا يتّفق معه ، لأنّ هناك من يعطيه أكثر منه.

يحكى أنّ العالم الشيخ رضا الاسترآبادى قال : أيّام إقامتى فى كربلاء والتشرّف بملازمه الوحيد البهبهانى ، جاء أحد التجّار للزياره وأحضر قطعه قماش ثمينه هديّه لسماحته ، وحيث إنّه كان قد سمع أنّه لا يقبل شيئاً من أحد ، فقد حاول أن

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۳۳۷ ، وفيه قصص بديعه فى هذا المضمون ، فراجع.

يجد الطريقه المناسبه ليقبلها منه ، فقيل له : إذا توسّط لك فى قبول الهديّه الشيخ رضا الاسترآبادى فقد يقبلها الشيخ الوحيد لأنّه يكرمه ، فجائنى فلم أقبل وساطه ذلك لعلمى بعدم قبول الهديّه ، فقال التاجر : لو تمكّنت لأهديت له قطعةً اُخرى ، فرضيت فأتيت الشيخ ، وبعد أن فتح الباب وأخبرته بالواقعه ، قبل أن اُكمل كلامى أغلق الباب علىَّ وقال : تصوّرت أنّك أتيت فى هذا الحرّ الشديد لحلّ مشكله علميّه ، فطرقت الباب مرّه اُخرى وقلت له : لو قبلتها لأهدى إلىَّ قطعةً اُخرى فلا تجعلنى أخسرها ، فضحك الشيخ وقال : بُنى ، عليك بالدرس ولا تصرف وقتك فى هذه الاُمور العبثيّه ، ثمّ قبل الهديّه وقال : بشرط أن لا تتوسّط بعد فى مثل هذه الاُمور.

وأخيراً يقول العارف بالله الشيخ محمّد البهارى من تلامذه آيه الله الشيخ حسينقلى الهمدانى الكبار ، ومن الواصلين إلى حريم القرب الإلهى ، يتحدّث عن صفات العالم :

الثالث : لا بدّ أن يكون متوكّلا على مولاه ، آيساً عمّـا فى أيدى الناس ، فلا يتملّق لأحد من الأغنياء ، ويسمّى ذلك تواضعاً ، فإنّ تواضع الفقير هو التكبّر عليهم من حيث أنّهم أغنياء.

الرابع : أن لا يداهنهم بالخوض فى الباطل طمعاً بما فى أيديهم من حطام الدنيا ...

السابع : ما يعطيه إيّاه غيره من المال ، إن علم أنّه حرام وجب عليه الامتناع ، وإن علم أنّه مشتبه أو حلال فيه منّه فردّه له راجح ، وإن علم أنّه هديّه محلّله بغير منّه استحبّ له القبول تأسّياً بالنبىّ والأئمه (عليهم السلام) ، وإن كان من الصدقات وهو مستحقّ ، فإن علم أنّه يعطى رياءً وسمعةً يمكن أن يقال بعدم جواز الأخذ إذا صدق أنّه إعانه على الإثم.

وينبغى له التعفّف عن السؤال ما استطاع ، فإنّه فقر معجّل وحساب طويل لعدم خلوّه من الآفات غالباً ، إذ هو متضمّن للشكوى وذهاب ماء الوجه ، والذلّ عند غيرالله وإيذاء المسؤول ، وإعطائه استحياءً أو رياءً أو إلجاءً أمر يورث شتم السائل وإيذاءه ، إلى غير ذلك من الآفات ، ولذا روى : « أنّ مسأله الناس من الفواحش » ، نعم لو كان فى مقام الاضطرار ، فله ذلك ، بل قد يجب ، إلّا أنّ تشخيص درجات هذه المقامات فى غايه الإشكال والصعوبه (۱).

هذه بعض النماذج والوصايا من سيره علمائنا الأعلام فى عفّه النفس وعزّتها ، والعفّه تعدّ من اُمّهات الأخلاق الحسنه ، كما جاء فى المحجّه البيضاء ، قال بعض الأعلام :

« كما أنّ حسن الصوره الظاهره مطلقاً لا يتمّ بحسن العينين دون الأنف والفم والخدّ ، بل لا بدّ من الحسن فى جميعها حتّى يتمّ حسن الخلق ، فإذا استوت الأركان الأربعه واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق ، وهى : قوّه العلم ، وقوّه الغضب ، وقوّه الشهوه ، وقوّه العدل بين هذه القوى الثلاث ، وحسن القوّه الغضبيّه واعتدالها يعبّر عنه بالعفّه ، فإن مالت قوّه الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزياده سمّى ذلك تهوّراً ، وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمّى ذلك جُبناً وخوراً ، وإن مالت قوّه الشهوه إلى طرف الزياده سمّى شرهاً ، وإن مالت إلى النقصان سمّى خموداً ، والمحمود هو الوسط وهو الفضيله ، والطرفان مذمومتان. والعدل إذا فات فليس له طرفان زياده ونقصان ، بل له ضدّ واحد وهو الجور ، وأمّا الحكمه فيسمّى إفراطها عند الاستعمال فى الأغراض الفاسده خبّاً وجربزه ، ويسمّى تفريطها بلهاً ، والوسط هو

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۳۴۹.

الذی یختصّ باسم الحکمه ، فإذن اُمّهات الأخلاق واُصولها أربعه : الحکمه والشجاعه والعفّه والعدل ، فمن اعتدال هذه الاُصول الأربعه تصدر الأخلاق الجمیله کلّها (۱).

قال أمیر المؤمنین (علیه السلام) : لا تکمل المکارم إلّا بالعفاف والإیثار (۲).

ویقول الشهید الثانی فی منیته فی الآداب التی یشترک فیها المعلّم والمتعلّم :

الخامس : أن یکون عفیف النفس عالی الهمّه منقبضاً عن الملوک وأهل الدنیا ، لا یدخل إلیهم طمعاً ، ما وجد إلی الفرار منهم سبیلا ، صیانه العلم عمّا صانه السلف. فمن فعل ذلک ، فقد عرض نفسه وخان أمانته ، وکثیراً ما یثمر عدم الوصول إلی البُغْیه ، وإن وصل إلی بعضها لم یکن حاله کحال المتعفّف المنقبض ، وشاهده مع النقل والوجدان.

قال بعض الفضلاء لبعض الأبدال : ما بال کبراء زماننا وملوکها لا یقبلون ولا یجدون للعلم مقداراً ، وقد کانوا فی سالف الزمان بخلاف ذلک؟ فقال : إنّ علماء ذلک الزمان کان یأتیهم الملوک والأکابر وأهل الدنیا ، فیبذلون لهم دنیاهم ، ویلتمسون منهم علمهم ، فیبالغون فی دفعهم وردّ منّتهم عنهم ، فصغرت الدنیا فی أعین أهلها ، وعظم قدر العلم عندهم ، نظراً منهم إلی أنّ العلم لولا جلالته ونفاسته ما آثره هؤلاء الفضلاء علی الدنیا ، ولولا حقاره الدنیا وانحطاطها لما ترکوها رغبهً عنها ، ولمّا أقبل علماء زماننا علی الملوک وأبناء الدنیا ، وبذلوا لهم علمهم التماساً لدنیاهم ، عظمت الدنیا فی أعینهم ، وصغر العلم لدیهم لعین ما تقدّم.

۱- ۱. میزان الحکمه ۳ : ۱۴۴.

۲- ۲. المصدر : ۱۴۷.

وقد سمعت جملةً من الأخبار فی ذلک سابقاً ، کقول النبیّ (صلی الله علیه وآله) : « الفقهاء اُمناء الرسل ، ما لم یدخلوا فی الدنیا. قیل : یا رسول الله ، وما دخولهم فی الدنیا؟ قال : اتّباع السلطان ، فإذا فعلوا ذلک فاحذروهم علی دینکم » ، وغیره من الأحادیث.

واعلم أنّ القدر المذموم من ذلک لیس هو مجرّد اتّباع السلطان کیف اتّفق ، بل اتّباعه لیکون توطئةً له ، ووسیله إلی ارتفاع الشأن ، والترفّع علی الأقران وعظم الجاه والمقدار ، وحبّ الدنیا والرئاسه ونحو ذلک ، أمّا لو اتّبعه لیجعله وصلةً إلی إقامه نظام النوع ، وإعلاء کلمه الدین ، وترویج الحقّ ، وقمع أهل البدع ، والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ، ونحو ذلک ، فهو من أفضل الأعمال فضلا عن کونه مرخّصاً ، وبهذا یجمع بین ما ورد من الذمّ وما ورد أیضاً من الترخیص فی ذلک ، بل عن فعل جماعه من الأعیان کعلیّ بن یقطین وعبد الله النجاشی وأبی القاسم بن روح أحد الأبواب الأربعه الشریفه ، ومحمّد بن إسماعیل بن بزیغ ونوح بن درّاج وغیرهم من أصحاب الأئمّه ، ومن الفقهاء مثل السیّدین الأجلّین المرتضی والرضی وأبیهما والخواجه نصیر الدین الطوسی والعلاّمه بحر العلوم جمال الدین بن المطهّر وغیرهم کالعلاّمه المجلسی والشیخ البهائی قدّس الله أسرارهم الزکیّه.

وأخیراً ، یا طالب العلم ـ زاد الله فی توفیقک ـ إجعل شعارک فی الحیاه قوله تعالی :

(یَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِیاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) (۱).

۱- ۱. البقره : ۲۷۲.

الدرس الثامن

الأمر الرابع عشر : الدعاء والتوسّل وصلاه الليل

قال الله تعالى :

(ادْعونى أسْتَجِبْ لَكُمْ) (۱).

(قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعاؤُكُمْ) (۲).

(وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاّ لِيَعْبُدونِ) (۳).

ورد فى الحديث النبوىّ الشريف :

« الدعاء مخّ العباده ».

« أفضل العباده الدعاء ».

۱- ۱. غافر : ۶۰.

۲- ۲. الفرقان : ۷۷.

۳- ۳. الذاريات : ۵۶.

« الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرضين » (۱).

ونتيجه الآيه الكريمه والروايه الشريفه : أنّ فلسفه الحياه العباده ، وأصل العباده الدعاء. فمن حكمه الحياه الدعاء ، وما أكثر الآيات والأخبار التى تحثّ الإنسان على الدعاء وابتغاء الوسيله إلى الله سبحانه وتعالى ، وما أكثر فوائد الدعاء الفرديّه والاجتماعيّه ، فإنّ الدعاء قرآن صاعد ، وإنّه حلقه وصل بين العبد وربّه ، ومحضر اُنس وحديث العشّاق وكلام المحبّين.

وطالب العلم فى سيرته الأخلاقيه منذ البدايه وحتّى آخر لحظه من حياته العلميّه والعمليّه لا بدّ أن يستأنس بالأدعيه والأذكار والأوراد ، فإنّه بدعائه يشفع العلم ليكون نافعاً له ولغيره ، وإنّما تزداد بركات العلم وثمراته بمثل الدعاء والتوسّل بالله وبرسوله وأوليائه (عليهم السلام) ، وإنّه يفلح الطالب فى الحياه وفى تحصيل العلوم والفنون.

يقول أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) :

« الدعاء مقاليد الفلاح ومصابيح النجاح ».

« الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح ».

« الدعاء مفتاح الرحمه ومصباح الظلمه ».

« أحبّ الأعمال إلى الله فى الأرض الدعاء ».

وأخطر شىء على طالب العلم هو الشيطان ووساوسه وحبائله وحزبه وأعوانه ، ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « أكثر من الدعاء تسلم من سوره الشيطان » ، وكان هو (عليه السلام) رجل دعّاء.

۱- ۱. الروايات من ميزان الحكمه ۳ : ۲۴۵.

فالدعاء سلاح المؤمن وسلاح الأنبياء (عليهم السلام) ، وكلّما ازداد الإنسان علماً ازداد دعاءً ، قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « أعلم الناس بالله سبحانه أكثرهم له مسألةً ».

والجهل يُعدّ من أمرّ الداء ، ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« عليك بالدعاء فإنّ فيه شفاء من كلّ داء ».

كما أنّه علينا أن نسأل الله فى كلّ الأشياء صغارها وكبارها ، حتّى شسع النعل ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« سلوا الله عزّوجلّ ما بدا لكم من حوائجكم حتّى شسع النعل ، فإنّه إن لم ييسّره يتعسّر ».

« يا موسى سلنى كلّ ما تحتاج إليه حتّى علف شاتك وملح عجينك ».

وموسى هذا من أنبياء اُولى العزم ، والعلماء ورثه الأنبياء ، وأولى الناس باتّباعهم والاقتداء بهم ، فلا بدّ أن يدعو الله فى كلّ شىء حتّى ملح الطعام.

وأمّا التوسّل وابتغاء الوسيله بمحمّد وآله الطاهرين ، فما أكثر النصوص الدينيه والقضايا التأريخيه والحوادث الواقعيّه تدلّ على أهميّه ذلك فى حياه المؤمن ، لا سيّما طالب العلوم الدينيّه.

كما إنّ الأذكار والأوراد والنوافل والأعمال المستحبّه ، لا سيّما صلاه الليل لها دور عظيم جدّاً فى توفيق وسعاده طالب العلم ، والانتفاع بعلمه المبارك ، وتكامله فى حياته العلميه والعمليّه.

ومن هذا المنطلق نجد حياه أسلافنا فى العلم والعمل مشحونه بالحكايات والخواطر ذات العبر والدروس ، كما إنّها مليئه بالوصايا والاهتمام البالغ بهذا الجانب الروحى الملكوتى.

يقول العلاّمه الطباطبائی صاحب المیزان فی تفسیر القرآن : کنت أیّام شبابی فی النجف الأشرف حین کسب علوم أهل البیت (علیهم السلام) أتردّد علی المرحوم آیه الله العارف بالله السیّد علی القاضی ، فذات یوم کنت واقفاً عند باب المدرسه ، فمرّ بی المرحوم القاضی ، فلمّا اقترب منّی وضع یده علی کتفی وقال : بنیّ ، إن کنت ترید الدنیا فعلیک بصلاه اللیل ، وإن کنت ترید الآخره فعلیک بصلاه اللیل. یقول السیّد : لقد أثّرت هذه المقوله الروحیّه فی نفسی غایه التأثیر ، فصرت اُلازم السیّد القاضی لیل نهار لاُدرک فیضه وکمالاته الروحیّه.

ویحدّثنا مؤسّس حوزه قم المبارکه آیه الله العظمی الشیخ عبد الکریم الحائری أنّه حین کان فی سامراء یتلقّی العلوم من اُستاذه آیه الله العظمی المجدّد الشیرازی ، دخل علیه فی یوم آیه الله السیّد محمّد الفشارکی منقبض الوجه قلقاً وکان مضطرباً من مرض الوباء الذی اجتاح العراق تلک الأیّام ، فقال المجدّد لتلامذته : هل ترونی مجتهداً؟ فقالوا : نعم. ثمّ قال : وهل ترونی عادلا؟ فقالوا : نعم. فلمّا أقرّوا باجتهاده وعدالته ، قال : آمر کلّ امرأه ورجل من الشیعه بأن یقرأوا زیاره عاشوراء نیابه عن اُمّ صاحب الزمان (علیه السلام) السیّده نرجس خاتون ، فیتوسّلون بها بحقّ ولدها عجّل الله فرجه الشریف أن یشفع عند الله بنجاه المسلمین من الوباء.

وبمجرّد صدور هذا الحکم التزم شیعه سامراء بالزیاره ، فدفع الله عنهم الوباء.

وفی عصرنا هذا حدث لنا مثل هذه الواقعه حیث کان صدّام الکافر یقصف مدن إیران ومنها قم المقدّسه ، فأمر آیه الله العظمی السیّد محمّد رضا الکلبایکانی أن یتوسّل الناس بسیّده نساء العالمین فاطمه الزهراء (علیها السلام) ، فدفع الله شرّ صدّام.

« إنّ هـذه التوسّـلات تساعـد الإنسان مساعـدةً عظيمه جـدّاً فى تحصـيل العلم وكسب الإخلاص وتهذيب النفس وترك الذنوب والمعاصى ، وحتّى المكروهات والمباحات.

فهذا الإمام الخمينى قائد الثوره الإسـلاميه طيله إقامته فى النجف الأشـرف لم يترك زياره حرم أمير المؤمنين على (عليه السـلام) كلّ ليله ، كان يقصد ضـريح سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وكان يقرأ دائماً زياره عاشوراء مع تكرار الفقرات التى ينبغى تكرارها مئه مرّه.

كـان عابـداً متهجّـداً مسـتغفراً فى الأسـحار ، وابنه يقول : ذات ليله وقع فى العراق انقلاب عسـكرى ، وفرضت الأحكام العرفيّه ، وجاء وقت زياره الإمام ، فتبيّن أنّه ليس موجوداً فاضـطربت وفتّشت عنه الغرف فوجدته على السـطح أمام قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) مشغولا بالزياره ، كان يقرأ زياره الجامعه فى كلّ ليله إلاّ عند الضروره.

وفى أواخر أيّامه فى طهران بعد انتصار ثورته كان كلّ يوم يتمشّـى ساعتين أو ثلاثه والسبحه بيده ، وهو مشغول بالذكر أو بزياره عاشوراء.

وكان بمجرّد أن يسمع كلمه (يا حسين) يبكى لعشقه بأهل البيت (عليهم السلام).

ذات يوم قال أحـد طلّاب مـدرسه الرفاه للإمام : لماذا لا تذكرون فى أحاديثكم الإمام المنتظر إلاّ قليلا ، وبمجرّد أن سـمع الإمام ذلـك وقف وقـال : مـاذا تقول؟ ألا تعلم أنّ كـلّ ما عنـدنا هو من الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه ، وكلّ ما عنـدى هو من الإمام صاحب الزمان ، وكلّ ما عندنا من الثوره هو من الإمام صاحب الزمان (عليه السلام).

وهذا العلّامه الأمينى (قدس سره) صاحب الغدير ، من خصائصه العشق والولاء

الكامل لآل محمّد (عليهم السلام) عشقاً كان مشهوراً تتناقله الألسن ، بحيث يمكن القول أنّ الغدير أثر من آثار العشق العارم ، ومن هنا كانت له علاقه خاصّه بسماع مصائب الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه الكرام والتأمّل فى مصائبهم ، وكان يبكى بصوت عال بكاءً مريراً ومتفجّعاً.

وهذا العبقرى العظيم الشيخ الوحيد البهبهانى صاحب مدرسه فى الأُصول ، كان عندما يتشرّف بحرم سيّد الشهداء (عليه السلام) للزياره يقبّل أوّلا عتبه الباب (الكفشداريّه) « محلّ نزع الأحذيه » ويمسح وجهه المبارك ولحيته الشريفه ، وبعد ذلك يتشرّف بدخول الحرم بخضوع وخشوع وبكاء ، ثمّ يقرأ الزياره.

يقول المحدّث القمّى : حيث إنّ السيّد نعمه الله الجزائرى لم يكن يستطيع فى بدء دراسته أن يشترى مصباحاً للمطالعه ، فقد كان يطالع فى ضوء القمر ، ونتيجه كثره المطالعه ، ضعف بصره ، ولذلك بدأ يمسح بتربه سيّد الشهداء وتربه سائر الأئمه (عليهم السلام) على عينيه ، ومن بركه تلك التربه كان نور بصره يزداد ويقوى.

ويضيف المحقّق القمّى : وليس هذا الأمر غريباً ، لأنّ الدميرى فى (حياه الحيوان) وغيره ، ينقلون أنّ الأفعى عندما تصاب بالعمى تمسح عينيها بنبات معيّن فتبصر ، وإذا كان الله تعالى يجعل تلك الخاصّيه فى نبته ما ، فما العجب فى أن يجعل مثلها فى تربه ابن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ويضيف قائلا : وهذا الحقير أيضاً كلّما ضعف بصرى بسبب كثره الكتابه أتبرّك بتراب مراقد الأئمه (عليهم السلام) ، وأحياناً بمسّ كتابه الأحاديث والأخبار ، وبحمد الله فإنّ يمينى فى غايه القوّه ، وأملى إن شاء الله أن تقرّ عينى ببركتهم فى الدنيا والآخره.

يقول ابن المحدّث القمّى : حينما كنّا فى النجف الأشرف سنه ١٣٥٧ ه قبل وفاه الوالد بسنتين استيقظ والدى وقال : اليوم تؤلمنى عيناى ولا أستطيع المطالعه

والكتابه ، فـذهبت إلى الدرس ، ولمّـا رجعت ظهراً وجدته يطالع ويكتب ، فسألته عن ذلك فقال : توضّأت وجلست تجاه القبله ومسحت كتاب الكافى على عينى فارتفع الألم ، والعجيب أنّه لم يبتلِ بعدها بألم العينين طيله عمره.

وقد كان الفقيه العادل المرحوم الشـيخ جواد مشـكور مرجع تقليد قسم من الشيعه فى العراق ، وفى ليله ۲۶ صفر ۱۳۳۶ ه ق رأى فى منـامه فى النجف الأشـرف عزرائيـل سـلام الله عليه ، وبعـد السـلام سـأله من أين جئت؟ قـال : من شـيراز ، وقـد قبضت روح المرحوم الميرزا إبراهيم المحلّاتى. فسأله : ما حال روحه فى عالم البرزخ؟ فقال : فى أحسن الحالات وفى أحسن حـدائق البرزخ ، وقد وكّل الله به ألف ملك يطيعون أوامره. فقال : بأىّ سبب وصل إلى هذا المقام؟ فأجابه عزرائيل : بسبب قراءه عاشوراء. وفى اليوم التالى جاءت برقيه من شيراز إلى النجف تحمل نبأ وفاه الميرزا المحلّاتى ، وثبت صدق منام الشيخ.

كان آيه الله العظمى الشـيخ عبد الكريم الحائرى مؤسـس الحوزه بقم قبل التدريس يأمر خطيباً أن يقرأ العزاء على سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) أوّلا ، ثمّ كان يدرّس ، وكان يشترك حافى الأقدام فى مواكب اللطم والعزاء ، وكان يقول : كلّ ما عندى فهو من الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكيف نجّاه من الموت أيّام شبابه.

وهذا السيّد مير حامد حسين صاحب عبقات الأنوار ، كان يغشى عليه عندما يسمع مصائب سيّد الشهداء (عليه السلام).

كما امتاز العلّامه الطباطبائى صاحب تفسـير الميزان بولائه وعشـقه الخاصّ بأهل البيت (عليهم السـلام) ، وحينما كان يدخل حرم الإمام الرضا (عليه السـلام) كان يقبّل عتبه الباب ، وكان يشترك فى عزاء سـيّد الشـهداء (عليه السلام) ، وفى بعض الأحيان حتّى السحر وكان يبكى بكاءً مريراً وبصوت عال ، ولا شكّ أنّ كثير من توفيقاته وليده هذه الخصله.

فسيره علمائنا الكرام ـ رحم الله الماضين وحفظ الباقين ـ هى التوجّه والتوسّل بالأئمه الأطهار (عليهم السلام) وقراءه الأدعيه والأوراد والأذكار والزيارات (۱).

وهذا سيّدنا الأُستاذ يقول فى وصيّته (۲) :

وأُوصيه بتهذيب النفس والمجاهدات الشرعيّه ، فإنّى نلت به ما نلت ، ورزقنى ربّى الكريم ما لم تره أعين أبناء العصر ، ولا طرقت أسماعهم ، ولا سمعت آذانهم ، فالحمد لله تعالى على هذه الموهبه العظيمه والفضل الجسيم.

وأُوصيه ونفسى الخاطئه بتقوى الله فى السرّ والعلن والاهتمام فى الورع والزهد فى زخارف هذه الدنيا الدنيّه ، وأن لا يترك زياره أهل القبور والاعتبار بهم ، فإنّهم من كانوا بالأمس فما صاروا اليوم؟ وأين كانوا فإلى أين صاروا؟ وكيف كانوا فكيف صاروا؟ الأموال قد قسمت ، والأكفاء قد زوّجت ، والدور قد سكنت ، وما بقى لهم إلاّ ما كانوا يفعلون ويعملون ، وأن لا يترك تلاوه القرآن ومطالعه الأحاديث والتدبّر فيهما والاستناره من أنوارهما ... وأن لا يترك صلاه الليل والتهجّد فى آنائه والاستغفار فى أسحاره ، فقد قال مولانا سيّد المظلومين أمير المؤمنين روحى له الفداء فى وصاياه : عليك بصلاه الليل ...

وأُوصيه بمداومه قراءه زياره الجامعه الكبيره ولو فى الأُسبوع مرّه.

وأُوصيه بقراءه سوره (يس) بعد فريضه الفجر كلّ يوم مرّه ، وبقراءه سوره (النبأ) بعد فريضه الظهر كذلك ، وبقراءه (العصر) بعد فريضه العصر كذلك ، وبقراءه سوره (الواقعه) بعد فريضه المغرب ، وبقراءه سوره (الملك) بعد فريضه العشاء كذلك ، وأُؤكّد عليه بالمداومه على ما ذكرت ، فإنّى أروى هذه الطريقه عن

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۱۷۰.

۲- ۲. قبسات من حياه سيّدنا الأُستاذ : ۱۲۲ ـ ۱۳۱.

مشايخى الكرام وجرّبتها مراراً ...

وأُوصيه بمداومه تسبيحات جدّتنا الزهراء البتول روحى لها الفداء.

وأُوصيه بالتوسّل ومداومه الأدعيه والأذكار.

وأُوصيه بالاستغفار فى آناء الليل والنهار.

وأُوصيه أن يجعل على صدرى فى كفنى المنديل الذى نشفت دمعاتى فى رثاء جدّى الحسين المظلوم وأهل بيته المكرمين سلام الله عليهم أجمعين.

وأُوصيه بالمداومه على السنن والمستحبّات وترك المرجوحات والمكروهات مهما أمكن.

وأُوصيه بتلاوه القرآن الشريف وإهداء ثوابه إلى أرواح شيعه آل الرسول الذين لا وارث لهم أو لا متذكّر فى حقّهم ، فإنّى قد جرّبت هذه الحسنه مراراً ووفّقنى ربّى الكريم بما وفّقنى بسببها ، فالموفّقيه والرشد والتقدّم فى التضرّع والدعاء :

(وَإذا سَألَكَ عِبادى عَنِّى فَإنِّى قَريبٌ اُجيبُ دَعْوَهَ الدَّاعِ إذا دَعانِ فَل ْيَسْتَجيبوا لى وَل ْيُؤْمِنوا بى لَعَلَّهُمْ يِرْشُدونَ) (١).

وأمّا صلاه الليل ، فإنّ القلم ليعجز عن بيان فضلها وتأثيرها فى حياه طالب العلم ، فإنّها سرّ النجاح ومفتاح الفلاح ، ويكفى فى فضلها أنّها كانت واجبه على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

يا طويل الرقاء والغفلات ***كثره النوم تورث الحسرات

إنّ فى القبر إن نزلت إليه ***لرقاداً يطول بعد الممات

ومهاداً ممهّداً لكَ فيه ***بذنوب عملت أو حسنات (٢)

١- ١. البقره : ١٨۶.

٢- ٢. المحجّه البيضاء ٢ : ٢٩٧.

« من الاُمور التی یجب علی جمیع المسلمین ، لا سیّما طلّاب العلوم الدینیّه ورجال الدین أن یهتمّوا بها غایه الاهتمام قضیّه قیام الأسحار والتهجّد والتضرّع فیها.

وقد أشار القرآن الکریم فی أکثر من عشر مواضع علی هذا الأمر الخطیر ، وقد ورد الثناء والإطراء الإلهی علی المتهجّدین بالأسحار بعبارات مختلفه.

ویقول العارف بالله المیرزا جواد الملکی التبریزی صاحب (المراقبات) : إنّ الروایات فی فضیله صلاه اللیل وذمّ ترکها قد بلغت حدّ التواتر (۱).

یقول الإمام الصادق (علیه السلام) : لیس من شیعتنا من لم یصلّ صلاه اللیل.

ویری علماء الأخلاق أنّ من الواجبات الأخلاقیه علی الطلّاب أن یهتمّوا بهذا المستحبّ ویلتزموا به لإناره قلوبهم والاختلاء بالله حبیب القلوب.

یقول المرحوم الملکی التبریزی : وحکی لی شیخی فی العلوم الحقّه : أنّه ما وصل أحد من طلّاب الآخره إلی شیء من المقامات الدینیه إلّا إذا کان من المتهجّدین.

وکیف کان ، فإنّ من له أدنی تتبّع فی أخبار أهل البیت (علیهم السلام) وأحوال السلف من مشایخنا العظام (رحمهم الله) ، لا یشکّ فی أنّ صلاه اللیل لیست ضدّ تحصیل العلم ، بل هی من أسبابه القریبه والقویّه ، وکثیراً ما رأینا من المحصّلین من کان من المتهجّدین وصار ذلک سبباً لاستقامه فهمه وجوده ذهنه فی الوصول إلی المطالب الحقّه فی المسائل العلمیّه ، وارتقی إلی المراتب العالیه فی العلم بخلاف الطلّاب المجدّین

۱- ۱. أسرار الصلاه : ۲۹۳ ، وقد تناول المصنّف أهمیّه صلاه اللیل وکیفیّتها بالتفصیل ، فلیراجع. کما ذکرنا ذلک فی کتاب (التوبه والتائبون) ، فراجع.

فی مطالعه الکتب العلمیّه ـ غیر المتهجّدین ـ فقلّما خرج منهم صاحب ملکه مستقیمه ، نعم ، ربما یوجد فیهم مشکّک مدقّق ، ولکن لا یکون محقّقاً ، ولا یکون فی علمه برکه کامله ، بل یقلّ خیره ونوره ولا یوفّق لفوائد هذا العلم.

وهذه زینب الکبری ، الصدّیقه الصغری ، العالمه غیر المعلَّمه ، فی مثل لیله الحادی عشر من یوم الطفّ وتلک الرزیّه العظمی تصلّی صلاه اللیل من جلوس لانهیار طاقتها ، فلم تترک التهجّد.

وما ألذّ تلک السویعه الروحانیّه التی یقوم فیها طالب العلم لأداء صلاه اللیل ولیخلو بحبیبه ربّ العالمین.

وهذا السیّد الإمام الخمینی (قدس سره) منذ شبابه وحتّی آخر أیّامه لم یترک صلاه اللیل سواء فی حاله الصحّه أو المرض ، وفی السجن وغیره ، حتّی فی الطائره التی نقلته إلی إیران أیّام الثوره.

وهذا سیّدنا الأُستاذ آیه الله العظمی السیّد النجفی المرعشی یوصی ولده أن یدفن معه سجّادته التی صلّی علیها سبعین سنه صلاه اللیل.

وجاء فی ترجمه آیه الله الملکی التبریزی أنّه قبل أذان الصبح کان یقوم لصلاه اللیل بالبکاء والنحیب.

والمحدّث القمّی (قدس سره) کان فی کلّ أیّام السنه فی الفصول الأربعه یستیقظ قبل طلوع الفجر بساعه علی الأقلّ ، ویشتغل بالصلاه والتهجّد. یقول ابنه الکبیر : فی حدود ما أتذکّر لم یفته قیام آخر اللیل حتّی فی الأسفار ، کان ملتزماً بذلک.

کان الشیخ محمّد الأشرفی علیه الرحمه من تلامذه سعید العلماء ، یشتغل من منتصف اللیل حتّی الصباح بالتضرّع ومناجاه الله عزّ وعلا ، ویلطم علی صدره ورأسه ، وعندما یطلع الصباح یکون فی غایه الضعف ، بحیث أنّ من لا یعرفه کان

يتصوّر إذا رآه أنّه غادر فراش المرض الآن.

أجل ، كما يقول مولانا أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) : قد براهم الخوف بَرْى القداح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض (۱).

كان آيه الله العظمى الشيخ جعفر كاشف الغطاء فى العباده وصفاء الباطن وحاله التضرّع والبكاء بين يدى الله تعالى والتهجّد وقيام الليل والدعاء والمناجاه أحد أوتاد الدهر ، وكان يبذل جهده مهما استطاع حتّى لا يفوته عمل مستحبّ.

وفى إحدى أسفاره زار (رشت) من مدن إيران فأُخبر أنّ أئمّه الجماعات لا يصلّون النوافل ، فقال : لا تقتدوا خلف من لا يصلّى النوافل ، وعندما سمع أئمه الجماعه ذلك التزموا بالنوافل.

ويقول ولده الشيخ حسن : كان من عاده والدى كلّ ليله قبل السحر أن يوقظ العيال والأطفال جميعاً لصلاه الليل ، وكان الجميع يستيقظون.

وآيه الله النجفى القوجانى صاحب (سياحه الشرق وسياحه الغرب) ، يقول عن أيّام دراسته فى إصفهان : فى هذه الغرفه الجديده التى كانت متّصله بغيرها من الغرف ، فتحنا فى وسط المشكاه ثقباً ، ومددنا منه حبلا ، كان أحد طرفيه فى غرفه صديقى ، وطرفه الآخر فى غرفتى ، كان صديقى وقت النوم يربط ذلك الطرف بيده ، وأربط أنا هذا الطرف بيدى ، حتّى إذا ما استيقظ أحدنا سحراً لصلاه الليل يستيقظ الآخر بواسطه هذا الحبل بدون أىّ صوت حذراً من أن يستيقظ طالب آخر على صوتنا ، ولا يكون راضياً بذلك.

كان بعض الأعلام يقرأ دعاء أبى حمزه الثمالى فى صلاه الليل.

۱- ۱. نهج البلاغه ، صبحى الصالح : ۳۰۴ ، خطبه همام ۱۹۳.

هنيئاً لهذه الكواكب الدرّيه فى الليالى المظلمه الذين كانوا مصداق قوله تعالى :

(كانوا قَليلا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعونَ وَبِالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ) (۱).

يقول آيه الله الملكى التبريزى (رحمه الله) : كان لى شيخ جليل عارف قدّس الله تربته ـ المراد آيه الله الشيخ حسينقلى الهمدانى ـ ما رأيت له نظيراً ، سألته عن عمل مجرّب يؤثّر فى إصلاح القلب وجلب المعارف ، فقال قدّس سرّه العزيز : ما رأيت عملا مؤثّراً فى ذلك مثل المداومه على سجده طويله فى كلّ يوم وليله مرّه واحده يقال فيها :

(لا إلـه إلاّ أنْتَ سُبْحانَكَ إنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمينَ) .

يقوله وهو يرى نفسه مسجونه فى سجن الطبيعه ، ومقيّد بقيود الأخلاق الرذيله مقرّاً بأ نّك يا إلهى لم تفعل ذلك بى ولم تظلمنى وإنّما أنا الذى ظلمت نفسى ، وأوقعتها فى هذه الهوّه ، بالإضافه إلى قراءه سوره القدر فى ليله الجمعه وفى عصرها مئه مرّه. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول : عن بعض مشايخى فى السير والسلوك ، إنّ هذه الآيه والتى تسمّى بالذكر اليونسى من قالها كما وردت فإنّه يبتلى بالهمّ والغمّ ، بل لا بدّ من إكمالها إلى قوله تعالى :

(وَكَذلِكَ نُنْجى المُؤْمِنينَ) .

ثمّ فيها أعداد خاصّه ، فمنها أربعمائه ، وأُخرى ألف وواحده ، وربما أربعه آلاف مرّه ، فيحتاج الذاكر إلى أُستاذ وحكيم يرشده ويجيزه ، فإنّ فى ذلك الأثر

۱- ۱. الذاريات : ۱۷.

البالغ ، يقف عليه من كان من أهله.

يقول العلّامه الطباطبائى (قدس سره) ضمن تعداد الاُمور التى يجب أن يلتزم بها السالك :

الثانى والعشرون : الورد هو عباره عن الأذكار والأوراد اللسانيّه ، وكيفيّتها وكمّيتها منوطتان برأى الاُستاذ ، لأنّ لها حكم الدواء الذى ينفع البعض ويضرّ الآخرين ، وأحياناً قد يشتغل السالك بذكرين أحدهما يوجّهه إلى الكثره والآخر إلى الوحده ، وفى حاله اجتماعهما تبطل نتيجه كلّ منهما ولا ينتفع بشىء طبعاً ، إذن الاُستاذ شرط فى الأوراد التى لم يرد فيها إذن عامّ ، وأمّا ما ورد فيه إذن عامّ فلا مانع منه.

فلا بدّ لطالب العلم فى سيرته الأخلاقيه أن يواظب المواظبه التامّه على التهجّد وقيام السحر والاشتغال بنافله الليل مع كمال حضور القلب والإقبال والاشتغال بالتعقيب وقراءه القرآن إلى طلوع الشمس والاستغفار لا سيّما سبعين مرّه أو مئه مرّه صباحاً ومساءاً والتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والصلاه على محمّد وآله الطاهرين.

هذا وقد كتب آيه الله التبريزى رساله إلى الفيلسوف والاُصولى المشهور الشيخ محمّد حسين الاصفهانى ، نقل فيها تعليمات عن اُستاذه المرحوم العارف بالله الهمدانى (قدس سرهما) ، جاء فيها :

يجب أن يقلّل الإنسان الطعام والنوم أكثر من المتعارف قليلا ، ليضعف البعد الحيوانى فيه ويقوى البعد الروحى ، وميزان ذلك كما بيّنه سماحته هو :

أوّلا ـ : أن لا ـ يتناول الإنسان الطعام فى اليوم والليله إلّا مرّتين ـ كما ورد فى الأخبار ـ ويترك حتّى المتفرّقات التى يتناولها بين الطعامين.

ثانياً : عندما يأكل يجب أن يكون ذلك بعد الجوع بساعه مثلا ، ثمّ يأكل بحيث لا يشبع تمام الشبع ، هذا فى كمّ الطعام ، وأمّا كيفيّته ، فبالإضافه إلى الآداب المعروفه ، أن لا يأكل اللحم كثيراً ، بمعنى أن لا ياكله فى وجبتى اليوم والليله معاً ، ويتركه فى كلّ أسبوع مرّتين أو ثلاثاً فى الليل وفى النهار ، ويتركه مرّه إذا استطاع للتكيف ، ويجب أن لا يكون ممّن اعتاد غلى تناول البزورات (المخلوطه) ولا يترك صيام ثلاثه أيّام فى كلّ شهر إذا استطاع.

وأمّا تقليل النوم فكان يقول : أن ينام فى اليوم والليله ستّ ساعات ، ويهتمّ طبعاً بحفظ اللسان واجتناب أهل الغفله كثيراً.

هذه الأُمور تكفى فى إضعاف البعد الحيوانى ، وأمّا فى تقويه البعد الروحانى :

أوّلا : يجب أن يكون دائماً متّصفاً بالهمّ والحزن القلبى لعدم وصوله إلى المطلوب.

ثانياً : أن لا يترك الذكر والفكر ما استطاع لأنّ هذين هما جناح سير سماء المعرفه.

وفى الذكر كان عمده ما يوصى به : أذكار الصبح والعشاء ، أهمّها ما ورد فى الأخبار ، وأهمّ ذلك تعقيبات الصلوات ، والأكثر أهمّيه ذكر وقت النوم المأثور فى الأخبار ، لا سيّما أن يغلب عليه النوم حال الذكر متطهّراً.

وحول قيام الليل كان يقول :

فى الشتاء ثلاث ساعات ، وفى الصيف ساعه ونصف ، وكان يقول : لقد لمست آثاراً كثيرةً فى سجده الذكر اليونسى (لا إلـهَ إلاّ أنْتَ سُبْحانَكَ إنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمينَ) ، أى فى المداومه على ذلك بحيث لا تترك فى اليوم والليله ، وكلّما كانت أكثر ، كلّما ازداد تأثيرها ، وأقلّ ذلك أربعمائه مرّه ، وأنا العبد جرّبت ذلك ، كما إدّعى

تجربتها عدّه أشخاص ، وواحده أيضاً قراءه القرآن بقصد هديّته إلى خاتم الأنبياء محمّد (صلى الله عليه وآله) (۱).

وأخيراً : قال الله تعالى :

(إنَّ المُتَّقينَ فى جَنَّات وَعُيون آخِذينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إنَّهُمْ كانوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنينَ كانوا قَليلا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعونَ وَبِالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ) (۲).

(تَتَجافى جُنوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ يَدْعونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما اُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أعْيُن جَزاءً بِما كانوا يَعْمَلونَ) (۳).

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَكَ عَسى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً) (۴).

من وصايا النبىّ (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) :

« عليك بصلاه الليل » ـ يكرّره أربعاً ـ.

« يا علىّ ، ثلاث فرحات للمؤمن : لقى الإخوان ، والإفطار من الصيام ، والتهجّد فى الليل ».

« ما زال جبرئيل يوصينى بقيام الليل حتّى ظننت أنّ خيار اُمّتى لن يناموا ».

« ما اتّخذ الله إبراهيم خليلا إلّا لإطعامه الطعام ، وصلاته بالليل والناس نيام ».

قال الإمام الباقر (عليه السلام) :

۱- ۱. من سيماء الصالحين : ۱۷۵ ـ ۲۰۰.

۲- ۲. الذاريات : ۱۸.

۳- ۳. السجده : ۱۶.

۴- ۴. الإسراء : ۷۹.

« كان علىّ (عليه السلام) يقول : إنّا أهل بيت اُمرنا أن نطعم الطعام ، ونؤدّى فى النائبه ، ونصلّى إذا نام الناس ».

« شرف المؤمن صلاته بالليل ، وعزّ المؤمن كفّه عن أعراض الناس ».

« لا تدع قيام الليل ، فإنّ المغبون من حرم قيام الليل ».

يا طلاّب علوم آل محمّد (عليهم السلام) ، ويا تلامذه الإمام الصادق (عليه السلام) ، هذا الإمام الناطق يقول : « إنّى لأمقت الرجل قد قرأ القرآن ، ثمّ يستيقظ من الليل فلا يقوم حتّى إذا كان عند الصبح قام يبادر بالصلاه ».

وهذا ليس بالطالب نفسه ، بل قوا أهليكم ناراً ، ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« إذا أيقظ الرجل أهله من الليل ، وتوضّيا وصلّيا ، كتبا من الذاكرين لله كثيراً والذاكرات ».

« عليكم بقيام الليل ، فإنّه دأب الصالحين قبلكم ، وإنّ قيام الليل قربه إلى الله ومنهاه عن الإثم ».

« عليكم بصلاه الليل فإنّها سنّه نبيّكم ، ودأب الصالحين قبلكم ، ومطرده الداء من أجسادكم ».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) :

« قيام الليل مصحّه للبدن ، وتمسّك بأخلاق النبيّين ، ورضى ربّ العالمين ».

« ما تركت صلاه الليل منذ سمعت قول النبىّ (صلى الله عليه وآله) : صلاه الليل نور ، فقال ابن الكوّاء : ولا ليله الهرير؟ قال : ولا ليله الهرير ».

قال الإمام الصادق (عليه السلام) فى قوله تعالى : (إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) ، قال :

« صلاه المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار ».

هذا وكما ورد فی الخبر الشریف :

« لیس العلم بکثره التعلّم ، إنّما العلم نورٌ یقذفه فی قلب من یشاء هدایته ، وصلاه اللیل نور ، ممّا یزید فی العلم النافع صلاه اللیل ».

« صلاه اللیل تبیّض الوجه ، وصلاه اللیل تطیّب اللیل ، وصلاه اللیل تجلب الرزق ».

سئل الإمام علیّ بن الحسین (علیهما السلام) : ما بال المتهجّدین باللیل من أحسن الناس وجهاً؟ قال : لإنّهم خلوا بالله فکساهم الله من نوره.

وأمّا العمل الذی یحرم الإنسان من توفیق صلاه اللیل ، فقد جاء رجلٌ إلی أمیر المؤمنین (علیه السلام) فقال : إنّی قد حرمت الصلاه باللیل ، فقال : « قد قیدتک ذنوبک ».

وقال الإمام الصادق (علیه السلام) :

« إنّ الرجل لیکذب الکذبه فیُحرم بها صلاه اللیل ».

« إنّ الرجل یذنب الذنب فیُحرم صلاه اللیل ، وإنّ العمل السیّئ أسرع فی صاحبه من السکّین فی اللحم » (۱).

یا طالب العلم ، بالله علیک هل تغمض العین فی الأسحار لمن یقرأ هذه الآیات القرآنیه والروایات الشریفه ، ویسمع حالات علمائنا الأعلام؟!

فمن هذه اللیله توکّل علی الله سبحانه وصمّم علی أن لا تترک صلاه اللیل ، وعلیک بالدعاء والمناجاه والأذکار ، ومن الله التوفیق والسداد والرشاد ، وهو نعم المولی ونعم النصیر.

۱- ۱. الروایات من میزان الحکمه ۵ : ۴۱۶.

وهـذا شـيخنا الأنصـارى (قـدس سـره) إضـافه على العبـادات التى كـان مواظبـاً عليها يومياً إلى آخر عمره الشـريف من الفرائض والنوافل الليليّه والنهاريّه والأدعيه والتعقيبات إضافه على ذلك ، كان يقرأ فى كلّ يوم جزء من القرآن ويصلّى صلاه جعفر الطيّار ويقرأ الجامعه الكبيره وزياره عاشوراء.

وهذا هو العلاّمه الطباطبائى صاحب الميزان يحدّثنا عنه تلميذه ، أنّه كان من أهل الذكر والدعاء والمناجاه ، كنت أراه فى الطريق كان فى الغالب مشـتغلا بذكر الله ، وفى الجلسات التى اشتركت فيها بين يديه ، عندما يخيّم السـكوت على المجلس كانت شفتاه تتحرّكان بذكر الله ، وكان متلزماً بالنوافل ، وكان أحياناً يرى فى الطريق يصـلّى النافله. كان يحيى ليالى شهر رمضان ، يطالع قليلا ، ويقضى باقى الوقت فى الدعاء وقراءه القرآن والصلاه والأذكار.

وهـذا صـاحب الريـاض على كبر سـنّه دخـل الحوزه ، ونـال مـا نـال من العلم بالـدعاء والعبـاده والتوسّل بأهل بيت النبوّه (عليهم السلام).

ولو أردنا أن نـذكر تراجم سـلفنا الصالح فى توجّههم للعباده والدعاء والأذكار لاسـتدعى ذلك إلى مؤلّفات قطوره ، إنّما نكتفى بهذه النماذج الطيّبه ، ومن أراد الله هدايته يشرح صدره للإسلام ولنور العلم النافع والعمل الصالح ، وتكفيه هذه المواعظ إن كان من أهلها ، والله الموفّق والمعين.

ثمّ لاـ يخفى أنّ بعض الطلاّـب بمجرّد أن تعلّم بعض المصـطلحات يبتلى بـالتكبّر ، فيترك جـانب العبـاده مـدّعياً أنّ ذلك شـغل العجـائز ، وأنّه أمرٌ مسـتحبّ ، ولا يـدرى أنّ فطاحل العلم وأساطين الفقه والاُصول كان من دأبهم الـدعاء والعبادات والزيارات ، والبعض الآـخر يـدّعى أنّ العلم هو الحجـاب الأكبر فيفرط فى العبادات غافلا عن العلم والتعليم والتعلّم ، فلا يـدرسون أو يكتفوا بدرس واحد ، ويقضون

أكثر أوقاتهم بالبطاله ، هؤلاء كالصنف الأوّل أخطأوا الطريق أيضاً ، وينطبق عليهما معاً كلام أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « لا ترى الجاهل إلاّ مفرطاً أو مفرّطاً » ونتيجه ذلك أنّ الإفراط والتفريط كلاهما خطأ ، بل كما قال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) : « اليمين والشمال مضلّه ، والطريق الوسطى هى الجادّه ».

فعلى الطالب أن يسلك طريقه الاعتدال ، فيشتغل بالدراسه بكلّ جهده وطاقته ويبذل ما فى وسعه فى طلب العلم ، وبجنبه يشتغل بالعبادات والزيارات والأدعيه والأذكار ، فهما جناحان لطالب العلم يحلّق بهما فى آفاق الكمال وسماء السعاده ، وهما عباره اُخرى عن التزكيه والعلم ، والتربيه والتعليم ، فعباده من دون دراسه يجرّه جهله إلى وادى الهلاك ، وعلم بلا عباده يؤدّيه إلى وادى الشقاء ، فالعلم والعباده معاً جنباً إلى جنب (۱).

قال الله تعالى :

(يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمْهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَهَ) (۲).

۱- ۱. مقتبس من سيماء الصالحين : ۱۴۸.

۲- ۲. آل عمران : ۱۶۴ ، الجمعه : ۲.

الدرس التاسع

الأمر الخامس عشر : مداراه الناس ورعايه الآداب الاجتماعيه

قال الله سبحانه وتعالى :

(خُذِ العَفْوَ وَأمُرْ بِالعُرْفِ وَأعْرِضْ عَنِ الجاهِلينَ) (۱).

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فى الأمْرِ) (۲).

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الُمحْسِنينَ) (۳).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« أمرنى ربّى بمداراه الناس كما أمرنى بالفرائض ».

« جاء جبرائيل إلى النبىّ (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمّد ، ربّك يقرئك السلام ويقول لك : دارِ خلقى ».

۱- ۱. الأعراف : ۹۹.

۲- ۲. آل عمران : ۱۵۹.

۳- ۳. المائده : ۱۳.

« مداراه الناس نصف الإيمان ، والرفق بهم نصف العيش ».

« إنّ الأنبياء إنّما فضّلهم الله على خلقه بشدّه مداراتهم لأعداء دين الله ، وحسن تقيّتهم لأجل إخوانهم فى الله ».

« ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتمّ له عمل : ورعٌ يحجزه عن معاصى الله ، وخلقٌ يدارى به الناس ، وحلمٌ يردّ به جهل الجاهل ».

يقول أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) :

« المداراه أحمد الخِلال ».

« ثمره العقل مداراه الناس ».

« رأس الحكمه مداراه الناس ».

« مداراه الرجال من أفضل الأعمال ».

« دارِ الناس تأمن غوائلهم وتسلم من مكائدهم ».

« سلامه الدين والدنيا فى مداراه الناس ».

« من دارى أضداده أمن المحارب ».

سئل الرضا (عليه السلام) : ما العقل؟ قال : التجرّع للغصّه ، ومداهنه الأعداء ، ومداره الأصدقاء.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « إنّ قوماً من قريش قلّت مداراتهم للناس فنفوا من قريش ، وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس ، وإنّ قوماً من غيرهم حسنت مداراتهم فأُلحقوا بالبيت الرفيع ، ثمّ قال : من كفّ يده عن الناس ، فإنّما يكفّ عنهم يداً واحده ويكفّون عنه أيادى كثيره » (۱).

۱- ۱. الروايات من ميزان الحكمه ۳ : ۲۳۸.

طالب العلم يمثّل بزيّه وسلوكه زيّ وسلوك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والناس يتقرّبون إليه ويتبرّكون به ويقتدون بفعله ويهتدون بعمله وقوله ، فهو الأُسوه والقدوه ، والقائد الناجح الموفّق من كان يحمل صدراً رحباً وسيعاً ، وخُلقاً سمحاً ، وروحاً لطيفه شفّافه ، وأحاسيس ظريفه مرهفه ، يحسّ آلام الناس ويعيش مشاكلهم وقضاياهم ، ويشاورهم فى الأمر ، يفتح لهم صدره ويستقبلهم بثغر باسم ، ووجه بشوش ، وقلب عطوف رؤوف.

فلا بدّ له أن يراعى شعور الناس ويداريهم بخير مداراه ، فإنّ التودّد إلى الناس نصف العقل ، وربما يضيّع علمه بسوء خلقه ، وحتّى أهله وعياله لا بدّ لهم حفظاً لمقام والدهم من مراعاه الآداب والأحكام الشرعيّه.

فحسن الخلق ورعايه آداب المعاشره والقضايا الاجتماعيه أصل مهمّ فى حياه طالب العلم ، وكان سلفنا الصالح يبالغون فى حفظ ذلك ، ورعايه حال الناس لا سيّما الفقراء والمحرومين.

يقول شيخنا الأُستاذ آيه الله الشيخ فاضل اللنكرانى دام ظلّه : رافقت أُستاذى آيه الله العظمى السيّد البروجردى عليه الرحمه إلى المياه المعدنيّه فى مدينه محلاّت ، وهى تنفع لعلاج آلام العظام والمفاصل ، وكان السيّد الأُستاذ مصاباً بألم فى رجله. بقينا هناك عدّه أيّام وكان الناس يزورون السيّد بشوق ولهفه ، فأمر السيّد بشراء كمّيه من الأغنام وذبحها وتوزيع لحمها بين الفقراء ، وعزلوا شيئاً من اللحم لطعام الظهر يعملون منه كباباً للسيّد ، وحينما وضعوا الكباب فى المائده اكتفى السيّد بخبز ولبن وخيار ، ولم يأكل من الكباب ، قالوا للسيّد بأنّ الفقراء أخذوا سهمهم ، وهذا من حقّكم. فأجاب السيّد : من المستحيل أن آكل من كباب استنشق رائحته الفقراء ، فتركنا أكل الكباب احتراماً للسيّد وأُعطى للفقراء مرّه أُخرى.

قيـل لبعض العرفـاء المرتاضـين : إنّ رجلاـ من المتصـوّفه بلـغ فى ترويضه لنفسه إلى حـدّ أنّه يمشـى على المـاء! فقـال العـارف : وكـذلك يفعله الضـفدع. فقيل له : وإنّ واحـداً منهم يطير فى الهواء! فقال : وكذلك يفعله الذباب. قيل له : ومنهم من يسـير من بلد إلى بلد فى لحظه بطىّ الأرض! فقال : وكذلك يفعل الشـيطان ، يسـير من المشـرق إلى المغرب ، ثمّ قال : ليس بهذه الأشياء قيمه الرجل ، بل الرجل كلّ الرجل مَن كان يخالط الناس بحسن ويعاشرهم بمعروف ويخدمهم ولا يغفل عن الله طرفه عين.

وإليك ما فعله العلاّمه آيه الله السـيّد محسن العاملى صاحب (أعيان الشيعه) ، فإنّه كان يمشى خلف جنازه أحد كبار علماء السنّه فى سوق الحميديه بالشام ، ثمّ صـلّى عليه فى المسـجد الاُموى ، ثمّ أقبل الناس يقبّلون يد السيّد. فسئل السيّد : كيف هؤلاء السنّه يقبّلون يدك؟ فأجاب : هذه ثمره حسن معاشـرتى مع الناس لمدّه عشره أعوام ، فإنّى لمّـا قدمت إلى الشام حرّض بعض الجهله أشـدّ الأعـداء علىّ ، فكـان أطفالهم يرموننى بالحجاره ، وأحيانا يجرّوا عمامتى من الخلف ، ولكنّى صبرت على الأذى وعاملتهم بلطف وإحسان ، وشاركت فى تشييع جنائزهم ، وعدت مرضاهم ، وتفقّدت أحوالهم ، كنت أبتسم معهم دائماً اُظهر لهم حنانى ، إلى أن استبدلوا العداء بالمحبّه (۱).

وهاك ما فعله العلاّمه المجلسـى (قدس سره) عندما التجأ إليه أحد المؤمنين بأنّ جاره من المطربين وشقاوات إصفهان يؤذيه فى الليالى ، فطلب منه العلاّمه أن يدعوهم إلى العشاء ويحضر هو أيضاً ، ولمّـا دخل المطربون المجلس وجدوا فى زاويه الدار

۱- ۱. قصص وخواطر : ۱۲۷.

العلاّمه المجلسی ، فتعجّب من حضوره ، فجلس بجواره ، فأراد أن یسخر من العلاّمه لیضحک أصحابه علیه فقال : یا شیخ ، سجاباکم أفضل أم سجایانا؟ فإنّا وإن کنّا من الفاسقین إلاّ أنّ لنا صفه وسجیّه تفقدونها أنتم المؤمنون. فقال العلاّمه : وما هی؟ فقال : نحن معاشر الشقاوات من أخلاقنا أنّه إذا أکلنا من طعام أحد لا نکسر مملحته ولا نخونه (کنایهً عن رعایه الذمّه والملح وعدم الخیانه بمال وناموس مَن یأکلون زاده). فقال له الشیخ : لا تصدق فی کلامک. فغاض الشقیّ وقال : أنا وأصحابی کلّنا ملتزمون بهذه السجیّه ، فإمّا أن تثبت خلاف ذلک وإلاّ ... فأجابه العلاّمه : یا هذا ، ألست طیله عمرک تأکل ملح الله وزاده وتکسر المملحه وتخالفه وتعصیه؟! ما أن سمع الرجل هذه الکلمه التی خرجت من الأعماق ، إلاّ وارتعدت فرائصه وأمر حاشیته بالخروج من المجلس ، وعند السحر أتی العلاّمه مع جماعته ، وقال له : یا شیخ ، حتّی الفجر فکّرنا فی مقولتک هذه ، فوجدنا الحقّ معک وکسرنا المملحه ، وهذه لیست من شیمتنا ، والآن أتیناک تائبون مستغفرون ، فهل لنا توبه؟ فرحّب بهم العلاّمه ، واهتدی هو وأصحابه علی یدیه ، فحسن حالهم (۱).

وقد دخل سارق بیت أحد العلماء ، فأخذ یفتّش فی کلّ زاویه من البیت فلم یجد شیئاً ، فلمّا هم بالخروج ناداه العالم : إنّک جئت فی طلب الدنیا فلیس عندنا منها شیء ، فهل ترید من الآخره؟ فقال السارق : نعم ، فاحتضنه العالم وعلّمه التوبه حتّی أسفر الصباح ، وبعد الصلاه ذهب إلی المسجد للدرس ، فسأل التلامذه عن الرجل ، فأجاب : أراد أن یصیدنی ولکنّی اصطدته فجئت به إلی المسجد ، وهکذا أصبح السارق من التائبین المؤمنین.

۱- ۱. قصص العلماء : ۲۳۳.

وما أجمل المنطق الـذى تحلّى به شـيخنا الأعظم الأنصارى ، حينما اجتمع تجّار بغـداد يوماً وجمعوا من أموالهم مبلغاً ، فجاؤوا به إلى الشـيخ وقالوا : هـذا المال ليس من الحقوق الشـرعيّه (الخمس والزكاه) ، إنّما هو تبرّع وهـديّه منّا إليك لتحسن به معيشـك وترتـاح فى أواخر عمرك. رفض الشـيخ ذلـك وقـال : يؤسف علىّ بعـد عمر من مواسـاه الفقراء أن أعيش غنيّاً فى آخر العمر ، فيمحى اسمى من قائمه الفقراء ، وأتخلّف عن مكانتهم الساميه التى أعدّها الله لهم يوم القيامه فى جنّه عرضها السماوات والأرض (١).

وإليـك هـذه الحكـايه الرائعه عن سـلوكيّه مرجع من مراجعنا العظام : حكى أحـد العلماء : كنت جالساً قرب تلّ الزينبيّه وبجانبى رجلٌ واقف ، وفى الأثناء وقعت عينى على المرحوم آيه الله العظمى السيّد أبى الحسن الإصـفهانى أكبر مرجع زمانه للشـيعه ، قد خرج مع مرافقيه من حرم الإمام أبى عبد الله الحسـين (عليه السلام) ، والتفتّ فجأه إلى الرجل الذى كان واقفاً عندى فرأيته انطلق منفعلا نحو السيّد الإصـفهانى وهو يقول بصوت عال : « سوف أشـتمه بئس شتيمه » وبعد دقائق رأيته عاد باكياً عليه آثار الخجل والنـدامه! سألته عن السـبب لهـذه المفارقه بين الموقف الأوّل وهذا الموقف؟ فأجاب : لقد شـتمت السيّد حتّى باب منزله ، وعند الباب طلب منّى الانتظار ، فرجع وبيـده مبلغاً من المال ، أعطانى ذلك وقال لى : راجعنا لدى كلّ مضـيقه تعترضك ، إذ أخشـى أن تراجع غيرنا فلا يقضى حاجتك ، ولى إليك حاجه ، هى أنّنى أتحمّل كلّ شتيمه موجّهه إلىَّ شخصياً ، ولكن أرجوك أن لا تشتم عرضى وأهل بيتى ، فإنّى لا أتحمّل ذلك (٢). وبمثل هذا الخلق الرفيع تغيّر الرجل.

١- ١. المصدر : ١٩٨.

٢- ٢. قصص وخواطر : ٢٢٢.

وأمّا سيّدنا الأستاذ آيه الله العظمى السيّد النجفى المرعشى (قدس سره) ، فأتذكّر يوماً أنّه حينما كان صدّام اللعين يقصف مدينه قم المقدّسه وأكثر مدن إيران بالصواريخ والقذائف ، وقد خرج أهالى قم من المدينه خوفاً ورعباً وحفظاً للنفوس ، بقى سيّدنا لابثاً مع من كان ، وكان يركب من قبل السياره من داره إلى الحرم الشريف لأداء صلاه الجماعه ، ولكن فى تلك الأيّام العصيبه ، على كبر سنّه وشيخوخته ، كان يأتى إلى الحرم الشريف فى مواعيد الصلاه مشياً على الأقدام ، فسئل عن ذلك؟ فأجاب : أُريد أن يرانى الناس حتّى تطمئنّ القلوب ويرتاح البال ولو جزءاً يسيراً.

كنت جالساً فى غرفته بجواره ، فدخل عليه رجل طاعن فى السنّ من عوامّ الناس ، فقال بعد السلام والترحيب : سيّدى ، أُعرّفك بنفسى ، أنا غلام الدلّاك ، وأودّ أن أذكر لك قصّه من حياتك ، كنت دلّاكاً فى حمّام عامّ ، وكنت أيّام شبابك تأتى مع أولادك الصغار السيّد محمود والسيّد جواد إلى ذلك الحمّام ، فدخلتم يوماً ورأيت أطفالا فسألتنى عنهم ، فأخبرتكم أنّهم أيتام ، فقلت لأولادك لا تنادونى بكلمه (بابا) رعايةً لمشاعر هؤلاء اليتامى ، ثمّ أعطيتنى نقوداً لأشترى لهم لوازم قرطاسيه لمدرستهم ، فاشتريت لهم ذلك. أجل ، لم يكن بينه وبين الناس حاجب ، كان بابه مفتوحاً دائماً للوافدين والمراجعين ، رجالا ونساءً ، لا أنسى تلك الساعه التى كنت عنده قبل رحلته بيومين حينما دخلت عليه عجوز لأداء خمسها ، فطلبت منه أن يشفع لها يوم القيامه ، فقال (قدس سره) : إن كنت من أهل الشفاعه سأشفع لكِ. كان شفيقاً بأعدائه ، فكيف لا يدارى أحبّائه وأصدقائه؟

حدّثنى يوماً عمّا جرى عليه من حسّاده وأعدائه ، حيث كان يأتمّ به عشرات الصفوف فى الصحن الشريف ، وآل الأمر إثر وشايه الأعداء وسعايه الحسّاد أن يأتمّ به نفرٌ قليلٌ من المؤمنين ، فصبر وقاوم حتّى عادت الألوف تصلّى

خلفه. قال : فی تلک الأیّام المرّه دخلت مجلساً ، کان فیه شخص من المعمّمین ، فجلست بجنبه ، ولکن من شدّه عداوته أدار ظهره علیَّ أمام الناس ، فهضمت ذلک فی نفسی واحتسبتها لله ، وحینما أردت الخروج ، من حیث لا یشعر ألقیت فی حجره بعض المال ، وبعد هذا کان یحدّث الناس أنّه فی تلک اللیله لم یکن عنده شیء من المال وکان فی حیره ، وأنّه من کراماته قد وجد مالا فی حجره ، ولم یشعر أنّه أنا الذی وضعت فی حجره المال. کان یقضی حوائج الناس بالمقدار الممکن ، ولا تثنی عزیمته کبر سنّه ، ولا الأمراض والأسقام ، ولا الهموم والأحزان ، ولا القیل والقال ، بل بکلّ صلابه وقوّه وحول من الله سبحانه یقاوم المصاعب والمشاکل. فکان خیر مثال للخلق الاجتماعی ، وأفضل آیه للآداب الاجتماعیه ومداراه الناس ، وبمثل هؤلاء الفقهاء العظام وعلمائنا الکرام نقتدی ونتأسّی فی رعایه حقوق الآخرین ، وملاطفه الناس ، وإداره شؤونهم ، بثغر باسم ، ووجه بشوش ، وصدر رحب ، وقلب وسیع ، وأخلاق رفیعه ، وسجایا حمیده ، نتقرّب إلی الله سبحانه بذلک ، ولنا اُسوهٌ حسنه برسول الله (صلی الله علیه وآله) : (وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُق عَظیم) (۱).

الله الله فی مداراه الناس ، والتواضع فی المجتمع ، فما أعظم الإمام الخمینی ، مع علوّ مقامه الشامخ یتواضع للمجاهدین فی الجبهات قائلا : اُقبّل أیادیکم وسواعدکم ، لأنّ الله معها ، وأفتخر بذلک.

ویقول سماحته مخاطباً نوّاب مجلس الشوری الإسلامی : فکّروا جمیعاً بالناس دائماً ، هؤلاء هم عباد الله ، هؤلاء هم الذین یقتلون الآن علی الحدود ، هم الذین یواجهون صعوبات الحرب ، وهم الذین تشرّدوا ، وهم یعیشون فی هذه الأماکن

۱- ۱. القلم : ۴.

وهـذه الخيم دون أبسـط المقوّمات ، هؤلاء هم عباد الله وهم أفضل ، هم أفضل منّى ، ويحتمل أن يكونوا أفضل منكم ، فلماذا لا نفكّر بهم دائماً.

كـان يقول (قـدس سـره) : « أنـا طلبه » أى طـالب علم ، أنـا خـادم الناس ، لا تقولوا لى قائـداً ، يا ليتنى كنت أحـد حرّاس الثوره الإسلاميه ...

وهـذا الآخونـد الخراسانى المحقّق الكبير كان متواضـعاً جدّاً خصوصاً مع أهل العلم ، كان يبادر أصـغر الطلّاب بالسـلام ، ويقف لهم فى المجـالس احتراماً ، كان يجلّ أهل العلم كثيراً. وعنـدما يطرق أحـد الطلبه داره بعـد منتصف الليل ليرسل خادمه معه إلى قابله لوضع حمل زوجته ، فيأبى الآخونـد على أنّ الخادم نائم وأنا شخصـيّاً أذهب معك ، فيـذهب معه حاملا الفانوس ينتقل معه من زقاق إلى زقاق حتّى قضى حاجته.

وهذا الشـيخ الأنصارى الشـيخ الأعظم كان يدارى الناس ويعاملهم معامله جميله ، لا سـيّما طلّاب العلوم الدينيه ، فى بعض الأيّام كان يتأخّر عن وقت الدرس المحدّد ، فسئل عن سبب ذلك؟ فأجاب : أحد الساده الهاشميّين يحبّ دراسه العلوم الدينيّه ، وفاتح بـذلك عـدّه أشـخاص ليـدرّسوه المقدّمات ، إلّا أنّ أحداً منهم لم يوافق ، واعتبروا أنّ شأنهم أجلّ من أن يتصدّوا لهذا الدرس ، وقد تولّيت تدريسه.

رأى أحـد زوّار أمير المؤمنين (عليه السـلام) المقـدّس الأـردبيلى فى الطريق ولم يعرفه ، وكـان ذلك الزائر يبحث عمّن يغسل له ثيابه ، فقال للمقـدّس : خـذ ثيابى واغسـلها وائتنى بها ، فأخـذها وغسـلها وجاء بها ليدفعها إليه ، فعرف بعض من كان بما جرى ، فعاتب ذلك الزائر وأنكر عليه ، فقال المقـدّس (قدس سـره) : ولِمَ تلومه ، وماذا حدث؟ إنّ حقوق المؤمن على المؤمن أكثر من هذا بكثير.

كان العلّامه الشـيخ محمّـد جواد البلاغى (رحمه الله) يتواضع لله ، فكان يـذهب بنفسه إلى السوق ويشترى ما يحتاجه ويحمله فى الشارع والزقاق كسائر الناس ، ولم يكن

يرضى أبداً أن يساعده أحد فى شؤونه ، وكان يقول : المرء أولى بحمل متاعه _ كما ورد فى الخبر الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) _.

كان مراجعنا الكرام من تواضعهم يصدّرون أسمائهم فى التوقيع بقولهم : الأحقر ، أقلّ الطلاّب ، وكان صدر المتألّهين يكتب بعض الفقراء من الاُمّه المرحومه.

كان آقا رضا الهمدانى ، ذلك الرجل المحقّق الكبير ، من شدّه تواضعه يقوم للطلاّب جميعهم حتّى فى أثناء الدرس ، وكان يشترى لوازم بيته بنفسه ، ويعيش بين الناس ، وهكذا رجال الدين اقتداءً برسول الله من الناس وإلى الناس ومع الناس ، كان فينا كأحدنا ، من دون امتياز واستعلاء ، بل فى خدمه الناس ، فخير الناس من نفع الناس ، تقرّباً إلى الله تعالى ، وبهذا يمتاز طالب العلم فى سيرته الأخلاقيه عن الباقين.

فرجل الدين يحمل هموم الناس : (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ) .

فيعاملهم معامله الأب العطوف الذى يتمنّى لأبنائه الصالحين السعاده الأبديّه. ويشهد التأريخ أنّ أنفع الناس للناس ، وأشدّهم خدمهً لهم ، يشاركونهم فى أفراحهم وأحزانهم بعد الأنبياء والأوصياء هم العلماء ، فإنّهم تحمّلوا المشاقّ والصعاب وواجهوا التحدّيات وأنواع الجور والظلم والجنايات ، وبذلوا جهوداً جبّاره فى خدمه الناس وحلّ مشاكلهم ، وفى سبيل تحريرهم من نير الفقر والظلم ، وإحياء القيم الإلهيه والإنسانيه ، ووضع إصر الأغلال عن الناس.

فالعالم جماهيرىّ العقليّه والروح ، يكنّ بين أضلعه حبّ الناس.

كان والدى (قدس سره) حينما تسأله والدتى عن كثره لقائه بالناس ليل نهار ، فكان فى خدمتهم حتّى منتصف الليل ، فأجابها تكراراً : من حين لبسنا هذا الزىّ _ العمّه والعباءه _ فإنّا وقف للناس ، وصاحب الزمان (عليه السلام) يرضى منّا بذلك.

كان الشيخ زين العابدين المازندرانى من أوتاد الأرض ، يروى ولده أنّه

يوماً جاءته امرأه بعد صلاه المغرب ، وبعد سويعه تحرّك والدى وذهب إلى بيت ، فطرق الباب فخرج صاحب مقهى ، ما أن رأى الشيخ إلّا انحنى على يده يقبّلها ، فأمره الشيخ أن يرجع زوجته ، فعرفنا أنّ الرجل قد طلّق زوجته مع أنّ لها أولاد وأخرجها من المنزل ، فاستنجدت بالشيخ ليتوسّط لها مع زوجها ، فرجع إليها.

وعندما طغى الماء فى كربلاء خرج الشيخ من المدينه وبدأ بنقل التراب بعباءته ليضعه فى طريق الماء ، فعندما رأى الناس ذلك من الشيخ خرجوا جميعاً ينقلون التراب ، فأقاموا سدّاً بقى لعدّه سنوات.

كان الشيخ الأعظم كاشف الغطاء يرهن بيته من أجل الفقراء والمساكين ، وكان الشيخ الأنصارى آيه فى مساعده الفقراء والمحرومين ، كان يصلّى استيجاراً ليسهّل عليهم إمرار المعاش ولقمه العيش.

فيا طالب العلم ، الله الله بمداراه الناس وخدمتهم ، لا سيّما البؤساء والفقراء ، فهم عيال الله سبحانه وتعالى ، فكن مباركاً ومنشأً للخيرات والمبرّات والمشاريع الخيريّه والاجتماعيه ، وعند الله الحساب ، جنّات عدن تجرى من تحتها الأنهار ورضوان الله أكبر ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وليتنافس المتنافسون.

فرجل الدين كالأنبياء دائماً يفكّر فى الناس ، ويعيش مثل أفقرهم.

من طريف ما يحكى عن حياه السيّد الإمام (قدس سره) ، أنّه عندما كان قبيل انتصار الثوره الإسلاميه فى إيران كان فى ضاحيه باريس ، وظهرت أزمه نفط فى إيران ، فلم يعد باستطاعه الناس تدفئه بيوتهم إلّا بمشقّه وعسر ، قال الإمام : اتركوا غرفتى بدون تدفئه مواساهً للناس (1). وجاءه شخص وقال له : إنّ عباءتى ممزّقه فساعدنى ،

---

۱ - ۱. سيماء الصالحين : ۳۸۵ ، وفى هذا الكتاب قصص نافعه وكثيره ، اُوصى الطلّاب بمطالعته ولو تكراراً كما فعلت. ومثله كتاب (قصص العلماء) للمحقّق التنكابنى ، و (قصص وخواطر).

فتناول الإمام عباءته وقال له : اُنظر إنّ عباءتى أيضاً ممزّقه.

كان صاحب المعالم ابن الشهيد الثانى (رحمهما الله) لا يدّخر أبداً ما يزيد على قوته لمدّه اُسبوع ، مواساةً للفقراء والمحتاجين وحرصاً على عدم التشبّه بالأثرياء.

وكان صدر المتألّهين يقول : حيث إنّ قسماً من الذنوب ينشأ من كثره الأكل والاهتمام بالبطن ، فيجب التقليل من الطعام ، وكان دائماً يردّد بيتاً لسعدى _ الشاعر الإيرانى _ مضمونه : (إبقِ داخلك خالياً من الطعام ، لترى فيه نور المعرفه). كان يعيش البساطه ، وكان يتحدّث مع الناس مباشرةً ومن دون حاجب وكاتب.

بلغ زهد الوحيد البهبهانى حدّاً بحيث أنّ ثيابه كانت من (الكرباس الردى) _ نوع من القماش ينسج باليد _ وغالباً ما كانت زوجته المكرّمه هى تهيّؤها وتنسجها ، ولم يكن يرغب أبداً بألبسه الدنيا وأقمشتها.

لم يبالِ أبداً بجمع زخارف الدنيا التى كانت فى متناول أصغر طلّابه وبأدنى التفاته منه ، اعتزل الذين يكنزون الذهب ، اجتنب معاشرتهم ومحادثتهم ، وكان يأنس بالفقراء ويواسيهم فى مأكلهم وملبسهم ، وكان يطلب من اُسرته أن يراعوا ذلك لكى يقتدى الناس به وبعائلته ، ولا ينتقدوا اُسره الروحانيين ، كما نرى ومع كلّ الأسف هذه الظاهره الخطره على الحوزه والعلماء والدين فى مجتمعنا الحاضر.

اللهمّ أصلح كلّ فاسد من اُمور المسلمين ، ووفّقنا وعوائلنا للزهد والعلم النافع والعمل الصالح.

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ***تالله ما لخراب الدهر عمران

ودع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ***فصفوها كِدرٌ والوصل هجران

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ***فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

الدرس العاشر

الأمر السادس عشر : الزهد والحياه المتواضعه

قال الله سبحانه وتعالى :

(إذْ تصْعدونَ وَلا تَلــْوونَ عَلى أحَد وَالرَّسولُ يَدْعوكُمْ فى اُخْراكُمْ فَأثابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أصابَكُمْ وَاللهُ خَبيرٌ بِما تَعْمَلونَ) (۱).

(لِكَيْلا تَأسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحوا بِما آتاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتال فَخور) (۲).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى قول الله تعالى : (وَآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا) ، يعنى الزهد فى الدنيا. وقال الله تعالى لموسى : « يا موسى ، إنّه لن يتزيّن المتزيّنون بزينه أزين فى عينى مثل الزهد » ، « ما اتّخذ الله نبيّاً إلاّ زاهداً ».

۱- ۱. آل عمران : ۱۵۳.

۲- ۲. الحديد : ۲۳.

وورد فی الخبر : « العلماء ورثه الأنبیاء » ، وهذا یعنی أنّ کلّ عالم لا بدّ أن یکون زاهداً ، فإنّه یرث النبیّ فی زهده ، وإذا أراد أن یتوفّق فی حیاته العلمیّه فمن أقرب الوسائل الزهد. قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) : « النار لمن رکب محرّماً ، والجنّه لمن ترک الحلال ، فعلیک بالزهد ، فإنّ ذلک ممّا یباهی الله به الملائکه ، وبه یقبل الله علیک بوجهه ، ویصلّی علیک الجبّار ».

قال أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) :

« الزهد أقلّ ما یوجد وأجلّ ما یعهد ، ویمدحه الکلّ ویترکه الجُلّ ».

« الزهد شیمه المتّقین وسجیّه الأوّابین ».

« الزهد متجر رابح ».

« إنّ علامه الراغب فی ثواب الآخره زهده فی عاجل زهره الدنیا ».

« الزهد أصل الدین ».

« الزهد ثمره الدین ».

« الزهد أساس الیقین ».

« علیک بالزهد فإنّه عون الدین ».

« إنّ من أعون الأخلاق علی الدین الزهد فی الدنیا ».

« الزهد کلّه فی کلمتین من القرآن ، قال الله تعالی :

(لِکَیْلا تَأسَوْا عَلی ما فاتَکُمْ وَلا تَفْرَحوا بِما آتاکُمْ) .

فمن لم یأسَ علی الماضی ولم یفرح بالآتی فهو الزاهد ».

« أیّها الناس ، إنّما الناس ثلاثه : زاهد وراغب وصابر ، فأمّا الزاهد فلا یفرح بشیء من الدنیا أتاه ولا یحزن علی شیء منها فاته ، وأمّا الصابر فیتمنّاها بقلبه فإن أدرک منها شیئاً صرف عنها نفسه لما یعلم من سوء عاقبتها ، وأمّا الراغب فلا یبالی

من حلٍّ أصابها أم من حرام ».

« يا ابن آدم ، لا تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت ، ولا تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت ».

« الزهد تقصير الآمال وإخلاص الأعمال ».

« أصل الزهد حسن الرغبه فيما عند الله ».

« أيّها الناس ، الزهاده قصر الأمل والشكر عند النعم ، والتورّع عند المحارم ، فإن عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم ».

قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« جُعِل الخير كلّه فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا ».

عماد طالب العلم زهده فى الدنيا ، ولا بدّ له من ذلك ، فإنّ ما يطلبه هو علم الآخره ، علم الله والأنبياء والأولياء ، ولا يتأتّى ذلك مع الرغبه بما يكرهه الله ، وإنّ الله ليبغض الدنيا الدنيّه وزخرفها وزبرجها ، فهى التى تبعد عباده عن ساحه قدسه وفيض لقائه ، فيحبّ من زهد فيها ، ورسول الله يقول :

« الزهد فى الدنيا قصر الأمر وشكر كلّ نعمه ، والورع عن كلّ ما حرّم الله ».

« الزهد ليس بتحريم الحلال ، ولا إضاعه المال ، ولكنّ الزهاده فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق منك بما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبه إذا أنت أُصبت بها أرغب فيها لو أنّها أُبقيت لك ».

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : الزهد مفتاح باب الآخره ، والبراءه من النار وهو تركك كلّ شىء يشغلك عن الله ، من غير تأسّف على فوتها ولا إعجاب فى تركها ، ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمده عليها ، ولا عوض منها ، بل ترى

فوتها راحه وكونها آفه ، وتكون أبداً هارباً من الآفه ، معتصماً بالراحه.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سئل عن الزاهد فى الدنيا؟ قال : الذى يترك حلالها مخافه حسابه ، ويترك حرامها مخافه عذابه.

ويقول زين العابدين (عليه السلام) : إنّ علامه الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخره تركهم كلّ خليط وخلل ، ورفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون ، ألا وإنّ العامل لثواب الآخره هو الزاهد فى عاجل زهره الدنيا.

عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) فى حديث أنّه قال : قلت : يا جبرائيل : فما تفسير الزهد؟ قال : الزاهد يحبّ من يحبّ خالقه ويبغض من يبغض خالقه ، ويتحرّج من حلال الدنيا ولا يلتفت إلى حرامها ، فإنّ حلالها حساب وحرامها عقاب ، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ، ويتحرّج من الكلام كما يتحرّج من الميته التى قد اشتدّ نتنها ، ويتحرّج عن حطام الدنيا وزينتها كما يتجنّب النار أن تغشاه ، ويقصر أمله ، وكان بين عينيه أجله.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : الزاهد الذى يختار الآخره على الدنيا ، والذلّ على العزّ ، والجهد على الراحه ، والجوع على الشبع ، وعاقبه الآجل على محبّه العاجل ، والذكر على الغفله ، ويكون نفسه فى الدنيا وقلبه فى الآخره.

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « لا يكون زاهداً حتّى يكون متواضعاً ».

« ويقول فى صفه الزهّاد ، كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها ، فكانوا كمن ليس منها ، عملوا فيها بما يبصرون ، وبادروا فيها ما يحذرون ، تقلّب أبدانهم بين ظهرانىّ أهل الآخره ، يرون أهل الدينا يعظمون موت أجسادهم ، وهم أشدّ إعظاماً لموت قلوب أحبّائهم ».

« إنّ الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم ، وإن ضحكوا أو يشتدّ حزنهم وإن

فرحوا ، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا ».

هـذه بعض صـفات الزاهـدين ، ولا بـدّ لأهل العلم منها ، ومقـدّمتها التفكّر والتزهّد ، بمعنى أن يلقى نفسه فى الزهد حتّى يزهد ، وهذا حكم جار فى كلّ الصفات الحميده ، فإنّ الحليم فى بدايه أمره يتحلّم حتّى يحلم.

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« أوّل الزهد التزهّد ».

« التزهّد يؤدّى إلى الزهد ».

وأصل الزهد اليقين وحسن الرغبه فيما عند الله ، وثمرته السعاده ، وإنّما يزهد الإنسان بمقدار علمه بالله سبحانه ، وكيف يزهد فى الدنيا من لا يعرف قدر الآخره؟

ويقول أمير المؤمنين على (عليه السـلام) فى وصيّه لولـده الإمـام الحسن (عليه السـلام) : « أكثر ذكر الآـخره ومـا فيهـا من النعيم والعذاب الأليم ، فإنّ ذلك يزهدك فى الدنيا ، ويصغّرها عندك وقد نبأّك عنها ، ونعتت لك نفسها ».

« من صوّر الموت بين عينيه هان امر الدنيا عليه ».

« أحزمكم أزهدكم ».

يقول الإمام الباقر (عليه السلام) : أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلّا زهد فى الدنيا.

وعن مولانا الكاظم (عليه السـلام) ، عند قبر حضـره : إنّ شـيئاً هذا آخره لحقيقٌ أن يزهد فى أوّله ، وإنّ شـيئاً هذا أوّله لحقيقٌ أن يخاف آخره.

ثمّ الزهد كلّى مشكّك له مراتب طوليّه وعرضيّه ، يتعرّض لها علماء السير والسلوك والأخلاق.

وقد ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) : الزهد عشره أجزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع ، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين ، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا ... ».

وأمّا ثمرات الزهد وآثاره فى حياه المؤمن ولا سيّما طالب العلم فأوّلها :

الحكمه والعلم المبارك النافع ، والمخزون فى القلوب والنفوس من لدن حكيم عليم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأبى ذرّ : « يا أبا ذرّ ، ما زهد عبدٌ فى الدنيا إلّا انبت الله الحكمه فى قلبه وأنطق بها لسانه ، ويبصّره عيوب الدنيا وداءها ودواءها ، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام ».

« من يرغب فى الدنيا فطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها ، ومن زهد فيها فقصر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلّم ، وهدىً بغير هدايه ، وأذهب عنه العماء وجعله بصيراً ».

« يا أبا ذرّ : إذا رأيت أخاك قد زهد فى الدنيا فاستمع منه ، فإنّه يلقى الحكمه ».

يقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « من زهد فى الدنيا ولم يجزع من ذلّها ، ولم ينافس فى عزّها هداه الله بغير هدايه من مخلوق ، وعلّمه بغير تعليم ، وأثبت الله الحكمه فى صدره وأجراها على لسانه ».

ومن ثمرات الزهد شرح الصدر ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى قوله تعالى : (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُور مِنْهِ) ، إنّ النور إذا وقع فى القلب انفسخ له وانشرح. قالوا : يا رسول الله ، فهل لذلك علامه يعرف بها؟ قال : التجافى عن دار الغرور ، والإنابه إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت.

ومنها : المكاشفه ورؤيه ملكوت الأشياء وحقائقها كما هى ، وإنّ علمائنا الأعلام نالوا فى هذا المقام درجات من الحديث المستصعب ، أعطاهم الله الكرامات والمقامات الرفيعه وفتح سمعهم وأبصارهم ، فكانوا يسمعون ما لا يسمع غيرهم ويبصرون ما لا يبصر غيرهم.

عن سلام ، قال : كنت عند أبى جعفر (عليه السلام) فدخل عليه حمران بن أعين ، فسأله عن أشياء ، فلمّا همّ حمران بالقيام قال لأبى جعفر (عليه السلام) : أُخبرك أطال الله بقاك وأمتعنا بك ، أنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى ترقّ قلوبنا وتسلوا أنفسنا عن الدنيا ، ويهون علينا ما فى أيدى الناس من هذه الأموال ، ثمّ نخرج من عندك ، فإذا صرنا مع الناس والتجّار أحببنا الدنيا؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : إنّما هى القلوب مرّه يصعب عليها الأمر ومرّةً يسهل. ثمّ قال أبو جعفر (عليه السلام) : أما إنّ أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالوا : يا رسول الله ، نخاف علينا النفاق! قال : فقال لهم : ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا : إنّا إذا كنّا عندك فذكرتنا روعنا ووجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا فيها حتّى كأ نّا نعاين الآخره والجنّه والنار ، ونحن عندك. وإذا دخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والمال يكاد أن نحوّل عن الحال التى كنّا عليها عندك ، وحتّى كأ نّا لم نكن على شىء؟ أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) : كلّا ، هذا من خطوات الشيطان ليرغّبكم فى الدنيا ، والله لو أنّكم تدومون على الحال التى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكه ومشيتم على الماء ».

وفى خبر آخر : « لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع ».

قال الحواريّون لعيسى (عليه السلام) : ما لَكَ تمشى على الماء ونحن لا نقدر على ذلك؟

فقال لهم : وما منزله الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا : حسن. قال : لكنّهما عندى والمدر سواء.

ومن ثمرات الزهـد تسـهيل الطريق إلى الله سبحانه ، فإنّ أمير المؤمنين على (عليه السـلام) يقول : « العلم يرشدك إلى ما أمرك الله به ، والزهد يسهّل لك الطريق إليه ».

ومن ثمراته : معرفه الدنيا وعيوبها ، عن أمير المؤمنين : « إزهد فى الدنيا يبصّرك الله عوراتها ، ولا تغفل فلست بمغفول عنك ».

ومن ثمراته : أنّ كلّ واحد يجب أن يكون من الصلحاء فى حياته ، وأن يصلح حاله ودنياه وآخرته ، فمفتاح الصلاح الزهد ، قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « الزهد مفتاح صلاح ، الورع مصباح نجاح ».

ومنهـا : نزول الرحمـه وشـمولها ، فعـن أمير المـؤمنين (عليه السـلام) : « إزهـد فى الـدنيا تنزل عليـك الرحمه » ومعلـوم أثر نزول الرحمه على طالب العلم أن يوفّق فى حياته ويرى بركات علمه.

ومنها : سـعاده الدنيا ، والسعاده كلّ واحد يطلبها (۱) ، وأمير المؤمنين (عليه السـلام) يقول : « إنّكم إن زهدتم خلصـتم من شقاء الدنيا وفزتم بدار البقاء ».

ومنهـا : الحرّيه ، وهى أُنشوده الأحـرار فى العـالم ، ومـا أكثر الـدماء التى سـفكت من أجلها ، ولكنّ أمير المؤمنين (عليه السـلام) يقول : « من زهد فى الدنيا أعتق نفسه وأرضى ربّه ».

۱- ۱. ذكرت مفهوم السـعاده ومن هو السـعيد من خلال آراء الأعلام والروايات والآيات فى كتاب (السعيد والسعاده بين القدماء والمتأخّرين) ، وهو مطبوع ، فراجع.

ومنها : العزّ والكرامه ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أفلح الزاهد فى الدنيا ، حظى بعزّ العاجله وبثواب الآخره ».

ومنها : الراحه واستهانه المصيبات ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« الزهد فى الدنيا الراحه العظمى ».

« السلامه فى التفرّد ، الراحه فى الزهد ».

« من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ».

« من زهد فى الدنيا هانت عليه مصائبها ولم يكرهها ».

« من زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات ».

« الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبه فيها تتعب القلب والبدن ».

« الرغبه تورث الهمّ والحزن ».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إنّ الزاهد فى الدنيا يريح ويريح قلبه وبدنه فى الدنيا والآخره ، والراغب فيها يتعب قلبه وبدنه فى الدنيا والآخره ».

قال الإمام علىّ (عليه السلام) : « من زهد فى الدنيا لم تفته ، من رغب فيها أتعبته وأشقته ».

وفى وصاياه لولده الحسن (عليه السلام) يقول : « يا بنى ، فإن تزهد فيما زهّدتك فيه وتعزف نفسك عنها ، فهى أهل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتى إيّاك فيها ، فاعلم يقيناً أنّك لن تبلغ أملك ولا تعدو أجلك ، فإنّ فى سبيل من كان قبلك ، فخفّض فى الطلب وأجمل المكتسب ».

ومنها : الغنى ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « لن يفتقر من زهد ».

ومنها : الحكمه التى هى ضالّه المؤمن ، أين وجدها أخذها ، وإنّها من الخير الكثير ، وتزيد على الدنيا وما فيها ، فإنّها متاع قليل ، فمن ثمرات الزهد الحكمه ،

وإنّما تثمر مع الزهد ، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « مع الزهد تثمر الحكمه ».

ومنها : الصبر ، الذى هو أساس الأخلاق ، قال الإمام الكاظم (عليه السلام) : « إنّ أصبركم على البلاء لأزهدكم فى الدنيا » ، فبين الزهد والصبر تلازم ، فمن صبر زهد ، ومن زهد صبر.

ومنها : اجتناب الحرام وترك المعاصى ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أزهد الناس من اجتنب الحرام » ، فالزهد يوجب ترك الحرام وترك الحرام يوجب الزهد.

وهناك فوائد وثمرات كثيره لمن زهد فى هذه الدنيا الدنيّه وزخرفها وزبرجها ، ويكفى فى دناستها وخسّتها ، أنّها مطلوبه الظالمين والفاسقين والكفّار والمنافقين.

الله الله فى الزهد ، فلا يفتنك يا طالب العلم ، أيّها الأخ العزيز ، فكما قال مولانا وإمامنا الصادق (عليه السلام) : « ألا من صبّار كريم ، وإنّما هى أيّامٌ قلائل ».

فعلينا أن نصبر فى هذه الأيّام القلائل لسنين ، صبروا أيّاماً قليله وأعقبتهم أيّاماً طويله فى راحه وجنّه نعيم ، عند مليك مقتدر فى مقعد صدق ، يطوف عليهم الحور العين والولدان المخلّدين بأكواب وأباريق ، تجرى من تحتهم الأنهار ــ رزقنا الله وإيّاكم ــ.

فكن يا طالب العلم الإلهىّ زاهداً وابحث عن الزهّاد وعاشرهم وصاحبهم وخذ الحكمه والعلم منهم ، وافعل كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، إذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه » ، ولا تقل فى الدنيا قول الزاهدين وتعمل فيها عمل الراغبين ، فكن الأُسوه الحسنه والقدوه الصالحه ، ولا تفعل ما تندم عليه فى الدنيا والآخره.

هذه جمله من الروايات الشريفه فى فضل الزهد ومقامه الشامخ وآثاره فى

الدنیا والآخره ، وسلفنا الصالح جسّدوا آیات الزهد فی حیاتهم.

فهذا شیخنا الأعظم الشیخ الأنصاری (قدس سره) لمّا اشتهر بالزعامه الدینیه والمرجعیه بعثت الحکومه العثمانیه مندوباً إلیه ، فلمّا دخل علیه وکان یتوقّع أن یعیش فی القصور الزاهیه حوله الحشم والخدم ، إلّا أنّه رأی شیخاً جالساً علی حصیر عتیق وعلی رأسه عمامه بیضاء لابساً جبّه زهیده الثمن ، ثمّ رآه قام بنفسه وصبّ حلیباً فی قدح وأضاف علیه قلیلا من الماء وقدّمه إلیه ، ولمّا شرب الحلیب استاذن منه الشیخ علی أنّ تلامذته بانتظاره للدرس فودّعه ، ولمّا رجع المندوب فأخبر القوم قائلاً : وجدت الشیخ زاهداً کما أوصی نبیّ الإسلام بالزهد (۱).

کان صدر المتألّهین یعتقد بأنّ طالب العلم یجب أن لا یفکّر فی المال والجاه إلّا ما کان ضروریاً لمعاشه ، وکان یقول : من طلب العلم للمال والجاه فإنّه موجودٌ خطر ، یجب الحذر منه.

وفی جلسات درسه کان یقول : تعلّم العلم والفنّ بدون جوهره أشبه ما یکون بتمکین قاطع الطریق من الخنجر ، إنّ تمکین الزنجی السکران من الخنجر أفضل من وقوع العلم بید من لیس أهلا له.

وسلفنا الصالح کان یطلب العلم للعلم ، ولتبلیغ الرساله وهدایه الناس ، وللأجر والثواب ، لا للمال والمنال والجاه والمقام واحترام الناس وما شابه ، فکانوا یدرسون لیصبحوا علماء صلحاء حتّی إذا علموا بأنّهم سیعیشون الفقر والحرمان المادّی حتّی آخر یوم من حیاتهم.

فالزهد عنوان رجل الدین ، وخلقه الأوّل والأخیر ، وإلیکم هذه القصّه فی

۱- ۱. قصص وخواطر : ۲۲۸.

الزهد : لمّـا وضع الاسكندر فى تابوته ، قيل للعلماء : تكلّموا فقد كان يسمع إليكم وينصت لكم ، وكان اثنى عشر عالماً.

فقال الأوّل : يا أيّها الساعى المتعصّب! جمعت ما خانك عنـد الاجتماع ، وودّعك عنـد الاحتياج ، فلا قرابه يعضدك ، ولا وزير يفتقدك.

وقال الثانى : قد ذهبت زهره بهجته كما ذهب شعاع الشمس بنور النبات.

وقال الثالث : هذا الاسكندر صاحب الأُسراء أصبح اليوم أسيراً.

وقال الرابع : قد أمنك من كان يخافك ، فهل أمنت من الذى كنت تخافه؟

وقال الخامس : بل هل أمنت ما كنت تخاف نزوله بك؟

وقال السادس : اُنظروا إلى حلم النائم كيف انقضى ، وإلى ظلّ الغمام كيف انجلى.

وقال السابع : قد كان هذا الشخص يسأل عمّا قبله ، ولا يسأل عمّـا بعده.

وقال الثامن : ورد علينا هذا الجسد بما كان يستبقيه.

وقال التاسع : ما أرغبنا فيما فارقت وأغفلنا عمّـا عاينت!

وقال العاشر : ما أبعد شبه مكانك الذى أنت به اليوم من مكانك الذى كنت به الأمس!

وقال الحادى عشر : لم يقضِ هذا الجسد نهمته من هذه الدنيا حتّى قضت الدنيا نهمتها منه.

وقال الثانى عشر : أنت أمس كان أنطق منك اليوم ، وأنت اليوم أوعظ منك بالأمس.

من الديوان المنسوب لأمير المؤمنين على (عليه السلام) :

أضحت قبورهم من بعد عزّهم ***تسفى عليها الصبا والحرجف الشمل

لا يدفعون هواها عن وجوههم ***كأنّهم خشب بالقاع منجدل

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ***أين الأسرّه والتيجان والحلل؟

أين الوجوه التى كانت منعّمه ***من دونها تضرب الأستار والكلل؟

فأفصح القبر عنهم حين ساءله ***تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قال طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ***فأصحبوا بعد طول الأكل قد أُكلوا (۱)

أجل ، من نظر إلى حقيقه الدنيا ، فإنّه يزهد فيها لا محاله.

ومن زهد طالب العلم أن لا يعجل للتصدّى إلى مسؤوليه التدريس وإمامه الجماعه ، وما شابه ذلك ، بل لا يكون منه ذلك حتّى تكمل أهليّته ، ويظهر استحقاقه لذلك على صفحات وجهه ونفحات لسانه ، وتشهد له به صلحاء مشايخه وأساتذته. ففى الخبر الشريف : « المتتبّع لما لم يعطَ كلابس ثوبى زور » ، وقال بعض الفضلاء : من تصدّر قبل أوانه فقد تصدّى لهوانه ، وقال آخر : من طلب الرئاسه فى غير حينه ، لم يزل فى ذلّ ما بقى ، وأنشد بعضهم :

لا تطمحنّ إلى المراتب قبل أن ***تتكامل الأدوات والأسباب

إنّ الثمار تمرّ قبل بلوغها ***طعماً وهنّ إذا بلغن عِذاب (۲)

وقد شاهدنا فى عصرنا هذا كم من أشخاص ادّعوا المرجعيّه قبل أوانها فذلّوا ، وكم تصدّى لتدريس درس الخارج وهو شابّ لم يبلغ الحلم فى العلم والأدب فأهان نفسه ، وأصبح فى خبر كان.

وكم من مرجع ورع تقى قد زهد فى الرئاسه ، وفرّوا منها ، فأتتهم ذليله

۱- ۱. آداب النفس : ۱۰۰.

۲- ۲. منيه المريد : ۱۷۹.

حقیره ، وتصدّوا لها لأداء التکلیف الشرعی ، لا طمعاً بها وحبّاً لها ، فاعتبروا یا ذوی النهی.

ومن الواضح جدّاً أنّ أبرز خصیصه فی القاده الإلهیّین فی الشرائع السماویّه المختلفه ، ولا سیّما فی دین الإسلام الحنیف ، هی البساطه والزهد واجتناب مظاهر الترف والکمالیّات.

وکان السلف الصالح یوصون أهل العلم دائماً باجتناب البذخ والترف ، واختیار بساطه العیش ، والتزهّد فی حطام الدنیا ، ومظاهرها الخلّابه.

وخیر ما نقتدی به سیره المعصومین (علیهم السلام) ، فکانوا یعیشون بمنتهی البساطه والزهد ، والتأریخ حافل بالشواهد علی ذلک.

فهذه فاطمه الزهراء سیّده نساء العالمین (علیها السلام) ، جاء فی حدیث طویل حولها : « فنهضت والتفّت بشمله لها خَلِقَه (بالیه) قد خیطت فی اثنی عشر مکاناً بسعف النخل ، کلّما خرجت نظر سلمان الفارسی إلی الشمله ، وبکی وقال : وا حزناه ، إنّ بنات قیصر وکسری لفی السندس والحریر ، وابنه محمّد (صلی الله علیه وآله) علیها شمله صوف خلقه قد خیطت فی اثنی عشر مکاناً.

فلمّـا دخلت فاطمه الزهراء (علیها السلام) علی النبیّ (صلی الله علیه وآله) قالت : یا رسول الله ، إنّ سلمان تعجّب من لباسی : فوالذی بعثک بالحقّ ما لی ولعلیّ (علیه السلام) منذ خمس سنین إلّا مسک کبش نعلف علیها بالنهار بعیرنا ، فإذا کان اللیل افترشناه ، وإنّ مرفقتنا لمن أدم حشوها لیف ، فقال النبیّ (صلی الله علیه وآله) : یا سلمان ، إنّ ابنتی لفی الخیل السوابق (۱).

یقول السیّد الإمام الخمینی (قدس سره) : « یجب أن تکون حیاه الروحانیین بسیطه ،

۱- ۱. سیماء الصالحین : ۳۷۹ ، عن البحار ۴۳ : ۸۸.

الذى حفظ الروحانيّه وجعلها تتطوّر إلى هنا ، بساطه العيش ، اُولئك الذين كانوا منشأ آثار كبيره فى الحياه التزموا ببساطه العيش ، اُولئك الذين كانوا موجّهين لدى الناس ، وكان الناس يلتزمون بتعاليمهم ، التزموا ببساطه العيش.

كلّما مشيت خطوه واحده باتّجاه أن يكون بيتك أحسن ، نقص من معنويّتك من قيمتك بنفس ذلك المقدار ، قيمه الإنسان ليس بالبيت ، ولا بالحديقه ، لو كانت قيمه الإنسان بمثل هذا لاهتمّ به الأنبياء ، قيمه الإنسان ليست بأن يكون له ضجيج وعجيج وسياره فخمه ، أن يكون كثير الذهاب والإياب ، قيمه الروحانيه ليست بأن يكون للروحانى جهاز ، مكتب ومفكّره ».

يقول بعض خواصّ الإمام عليه الرحمه : كان الحرّ فى النجف الأشرف شديداً جدّاً ، وكانت تصل درجه الحراره أحياناً إلى ۵۰ درجه ، وذات يوم ذهبت مع عدد من الإخوه للإمام وقلنا : سيّدنا الحرّ شديد وأنت مُسنّ ، وبما أنّ حرّ الكوفه معتدلا فلماذا لا تذهب إليها كما يذهب الآخرون.

قال فى الجواب : وكيف أذهب إلى الكوفه من أجل بروده هوائها ، وإخوانى فى إيران فى السجن.

نقل عن بنت الشيخ الأنصارى أنّها قالت : فى أيّام الطفوله ، عندما كنت أذهب إلى المدرسه ، كان الأهالى يرسلون الطعام أحياناً إلى المدرسه ليتناول الطالبات الطعام مع المعلّمه ، ذات يوم قلت لوالدتى : إنّهم يحضرون معهم ألوان الأطعمه وأنت ترسلين لى الخبز والكرّاث فقط ، إنّى أخجل من ذلك ، سمع الشيخ كلامى فقال منزعجاً : من الآن فصاعداً أرسلى لها خبزاً فقط ، حتّى تصبح تتذوّق الخبز والكرّاث.

لم يكن الشيخ الأعظم قدوتنا فى العلم والعمل يملك أيّه ثروه ، وكان يكتفى

دائماً بأقلّ ما يقنع به ، كما كان أليف الضائقه المادّيه والإعسار ، كان يقول : أنا شخص فقير ، يجب أن أعيش كواحد من الفقراء (۱).

وكان رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله) يقول : أنا مسكين وأحبّ المساكين وأُجالس المساكين.

فماذا تقول أنت يا طالب العلم فى حياتك وسيرتك _ الذاتيّه والأخلاقيّه _؟

فاصبر صبراً جميلا ، وعليك بالجهاد الأكبر ، وتخليه القلب من الصفات الذميمه ، وتحليه الروح بالسجايا الحميده ، وتجليتها فى سيرك إلى الله سبحانه ، حتّى تصل إلى كمالك المنشود ومقامك المحمود ، ليس ذلك إلاّ التخلّق بأخلاق الله عزّوجلّ والتحلّى بصفات الأنبياء والأئمه الأطهار (عليهم السلام) ، فأنت وارثهم فيما يحملون من المسؤوليّات الثقيله والمقامات الرفيعه.

وإنّما تنال ذلك بالعلم والعمل الصالح ، بالورع والتقوى.

وقد ذكر علماء الأخلاق مراتب أربعه للورع ، بين الواحده والأُخرى ممّا عليه الناس وطلاّب العلوم الدينيّه مسافات بعيده المدى ، فالورع يتفاوت بين الناس فى مراحل :

۱-المرحله الأُولى سمّيت بورع التائبين : وذلك حين يمنع العبد إيمانه من ارتكاب المحرّمات خوفاً من المولى تبارك وتعالى أن تنطبق عليه صفه الفسق فى دينه ، واتّباع الشيطان ، وهذا ما يسمّى بتقوى العامّ _ كما مرّ _ فإذا ترقّى فيه ذلك الخوف اتّصف :

۲-بورع الصالحين : وذلك حين يمتنع عن اقتحام الشبهات خوفاً من ارتطامه فى المحرّمات ، لأنّ من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه ، فيدع ما يريبه

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۳۹۴.

إلى ما لا يريبه ، وهذا ما يسمّى بتقوى الخاصّ ، ويترقّى عنده هذا الشعور أو الخوف فيصبح ورعه :

٣-ورع المتّقين : وذلك حين يبتعد عن المباحات خوفاً من أن تجرّه إلى المحرّمات والمكروهات كمن يتوقّف عن ذكر أحوال الناس ـ المباح ـ خشيةً من أن يجرّه إلى الغيبه المحرّمه ، وهذا يسمّى بتقوى الخاصّ الخاصّ ، ويترقّى هذا الخلق فى بعضهم حتّى يكون من المقرّبين فينهيه إلى :

٤-ورع السالكين : إذ يكون حينئذ قد توحّدت غاياته فى غايه واحده ، والتقت أهدافه فى هدف واحد هو ذكر الله تعالى والعمل بما يحبّه الله تعالى ، فيتجنّب كلّ خوض فى غير ذلك الله ، ويستغفر من كلّ لذّه ليس فيها اسم الله ، ويمتنع عن كلّ سعى إلّا ما يحبّه الله تبارك وتعالى له.

فهى وإن كانت مباحه لا يخشى أنّها تجرّه إلى المحرّمات ، ولكن فلسفته فى الحياه المستمدّه من إيمانه العميق تزهّده فى كلّ أمر لا يؤدّى إلى الغايه التى من أجلها خلقه المولى وبها امتنّ عليه.

فكلّ حديث غير الله عزّوجلّ يعدّ عنده لغوٌ فارغ ، لأنّه لا يحقّق الهدف الأسمى الذى يسعى لتحقيقه ، أو لأنّه يحجبه عن محبوبه الذى لا يرغب أن يحجبه شىء عنه ، وكلّ حركه وسكون فى غير ما يحبّ الله فضول لا يرضاه لنفسه ، وهو يأخذ نفسه بالجدّ والحزم فى اُموره كلّها (١).

وأنتم يا طلّاب العلوم الدينيه والفضائل دعيتم فى سيرتكم الأخلاقيّه ـ العلميّه والعمليّه ـ إلى مثل هذا الورع السامى والكامل ، وإلى ربّك المنتهى ، ولا حول ولا قوّه إلّا بالله ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

١- ١. من مقدّمه كتاب (الطريق إلى الله) : ١٢.

الفهرست

الإهداء..... ٣

المقدّمه..... ٥

الدرس الأوّل : ما هو الأدب ولماذا الآداب الإسلاميه؟..... ٢١

الدرس الثانی..... ٣٧

الأمر الأوّل : حسن النيّه والإخلاص وطهاره النفس..... ٣٧

الدرس الثالث..... ٥٥

الأمر الثانی : اغتنام الفرصه..... ٥٥

الأمر الثالث : قطع العلائق المانعه من تحصيل العلم..... ٦١

الأمر الرابع : عدم الزواج المبكّر..... ٦٢

الدرس الرابع..... ٦٣

الأمر الخامس : ترک العِشره ومدح العزله..... ٦٣

الدرس الخامس..... ٧١

الأمر السادس : الحرص علی التعلّم..... ٧١

الأمر السابع : علوّ الهمّه..... ٧٣

الأمر الثامن : رعايه ترتيب العلوم..... ٧٤

الدرس السادس..... ٧٧

الأمر التاسع : اختيار المعلّم الصالح..... ٧٧

الأمر العاشر : تعظيم المعلّم والتواضع له..... ٨٥

الأمر الحادی عشر : رعايه آداب محفل الدرس..... ١٠٢

الدرس السابع..... ۱۰۷

الأمر الثانی عشر : حسن الخلق والحلم..... ۱۰۷

الأمر الثالث عشر : عفّه النفس وعزّتها..... ۱۱۵

الدرس الثامن..... ۱۲۷

الأمر الرابع عشر : الدعاء والتوسّل وصلاه الليل..... ۱۲۷

الدرس التاسع..... ۱۴۷

الأمر الخامس عشر : مداراه الناس ورعايه الآداب الاجتماعيه..... ۱۴۷

الدرس العاشر..... ۱۵۹

الأمر السادس عشر : الزهد والحياه المتواضعه..... ۱۵۹

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹